

لوكيوس أبوليوس

هل هذا هو
الحب؟

رواية





هل هذا هو الحب

هل خُلق الإنسان باحثاً عن الحب، أو عدوانياً تحت ما يسمى بالكراهية، هل فطرة الإنسان تتبع ذلك أو ذلك، أنحن نمتلك قرار الحب والكراهية أم أنّ سببها خفيّ ويأتي دونما استئذان؟!

«الخب والكراهية» كما الليل والنهار قد نميل لأحدهما، ولكن فلسفة الأضداد هي سر الحياة، وهذا هو قانون الكون، فكلّ وظيفته داخل مسرح الحياة.



حلل هذا هو الحب؟

لويس أبو لوس

هل هنالك هو الحب؟

رواية

أبو يوسف

الديوان الوطني لحقوق المؤلف و الحقوق المجاورة ONDA

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف وطنيا و دوليا من طرف الديوان الوطني لحقوق المؤلف و الحقوق المجاورة ONDA.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي و التسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات و استرجاعها من دون إذن خطي من المؤلف.

إهداء

إلى زوجتي الغالية التي دائماً ما تردد عليّ عندما أكون مُكبّاً على

الكتب قول زوجة بن شهاب الزهري لزوجها:

"والله لهذه الكتب أشدّ عليّ من ثلاث ضرائر"

تنويه:

من لم يكن عاشقا أو لم يذق طعم الحب قط فلا حاجة له بقراءة هذه الرواية، لأنه لن يفهمها، و من كان كذلك فحسي به قارئاً.

والسلام

" من يرغب في الورد لا

يخشى أشواكه،

و من يسعى إلى الحب لا

يهرب من ذاته"

جلال الدين الرومي

الفهرس

- 12..... الفصل الأول: إزمير
- 27..... الفصل الثاني: القيصر
- 47..... الفصل الثالث: الوصيّ
- 70..... الفصل الرابع: الإنتحار
- 91..... الفصل الخامس: خطبة طويلة
- 105..... الفصل السادس: أنت سكرة
- 124..... الفصل السابع: نيار الصغير
- 140..... الفصل الثامن: الخطبة
- 155..... الفصل التاسع: العمل
- 177..... الفصل العاشر: أنت لى
- 192..... الفصل الحادي عشر: الحب فوق كل الظروف
- 207..... الفصل الثاني عشر: المكيدة
- 225..... الفصل الثالث عشر: الحادث
- 238..... الفصل الرابع عشر: شارع رين
- 260..... الفصل الخامس عشر: مخبر التحاليل الطبية

274.....	الفصل السادس عشر: بيت الرّعب.....
287.....	الفصل السابع عشر: عقد سري.....
309.....	الفصل الثامن عشر: أنا بريئة.....
324.....	الفصل التاسع عشر: بروكلين.....
336.....	الفصل العشرون: زهرتي.....
348.....	الفصل الواحد والعشرون: الجريدة.....
361.....	الفصل الثاني والعشرون: المؤتمر الصحفي.....
375.....	الفصل الثالث والعشرون: غير قاتلة.....
388.....	الفصل الرابع والعشرون: التسوّق.....
403.....	الفصل الخامس والعشرون: عدالة السماء.....
416.....	الفصل السادس والعشرون: قبلة.....

إزمير الحبيبة

— إنَّ القدر كعادته لا يعطينا الزهور إلا و معها
بعض الأشواك!

طرأت على بالها فجأة هذه المقولة التي لطالما
ردّدها والدها حين كان على قيد الحياة.

على أرض المطار، انطلق المسافرون جماعات و
فرادى، و ظهرت الفتاة بين الجموع كأنها وردة بين
الحشائش، فكانت كالإبتسامة التي تلقي النور على من هم
حولها، و راحت تنتظر بين حشود المنتظرين مترقّبة ثم
غمغت بانزعاج:

— اللعنة! كيف لي أن أنتظر هذا المعتوه، ترى أين
يكون؟

كانت تجول بنظرها بين الحشود الهائلة علّها تراه،
و قد كانت الساعة باللوحة الإلكترونية في المطار قد
جاوزت الثانية عشر، من اليوم الثاني من أبريل لسنة
2012، و بعد هنيهة لاح لها من بعيد السيد داوود سائق
العائلة.

الظاهر أنه لم يكلف نفسه مشقة استقبالها، لقد اكنفى
بإرسال السائق فقط.

تألقت شفاتها بابتسامة ساحرة خلاصة مدارية خيبة
أملها و قالت:

— مرحبا سيد داوود، أنت بمفردك؟

يبدو أنها لم تفقد الأمل بقدومه لاستقبالها، حتى و إن
كانت تمقته، لكنها تمنّت حضوره بالمطار من أجلها.

حتى السائق رأسه بالإيجاب ثم رد:

— أهلا خانم، حمدا لله على سلامتك.

لقد كانت هذه أطول جملة تسمعها الفتاة من العجوز الكتوم، فهو بطبعه قليل الكلام لا يهوى التثرثرة، بل يكتفي بابتسامة محترمة ودودة ترتسم على وجهه كلما قابل أحداً.

فتح لها الباب الخلفي لسيارة المرسيدس السوداء، ثم رفع حقائبها بكل حذر إلى الصندوق ثم انطلق. راحت الفتاة تستمتع من نافذة السيارة حين كانت تجوب مدينة إزمير، بين شوارعها الفخمة، و فنادقها المميزة، و مطاعمها المترصّة في شكل جلسات خارجية على الطرقات، و كانت تستمتع بجمال الفن المعماري للبيانيات، فامتأّت عيناها المشرقتان السوداوان دموعاً تتم عن شوق و حنين، و قد غابت عن مدينتها المحبوبة سنتين طويلتين.

لا مكان للحياة بالنسبة للإنسان، أجمل و أبهى من المكان الذي ولد فيه و ترعرع، و تفيّاً ظلّاله و ارتوى من فرات مائه، فالمكان هو تذكّر لمراتع الصبا، و ضحكات الطفولة البريئة، و هو جزء من كيان الإنسان.

فمهما ابتعد عنها و شطّت به الدار، فلا بد أن تبقى
أطلال بلاده في ثنايا مخيلته، و هذا جزء يسير من الوفاء
لهذه الأرض التي حملته على ظهرها و هو يحبو، ثم و هو
يخطو، ثم و هو يمشي، ثم بعد انتهاء الأجل يدفن فيها.

فما أرفها..!

اجتازت السيارة البوابة الحديدية للفيلا، ثم شقت
طريقها في ممر بين الأشجار التي تعانقت أعالي أغصانها،
و قد كان المنزل يُرى عن بعد في نهاية الممر، بجانبه
نافورة وسط بركة واسعة من ماء غير آسن، يسبح على
سطحها الإوز ، و تزقزق في سمانها الأطيّار، و قد انتشر
شذى العطر و أريج الزهر.

استقرت السيارة بجوار المنزل، فتسارعت خطوات
الحساء على السلم حتى زلت قدمها و كادت تسقط، لكنها
واصلت الجري مدفوعة بالشوق و الحنين، فابتسم السائق
و قد شاهد الفراشة تحلق.

مما لا شك فيه أنها زهرة يانعة، قد اكتمل طلوعها، و
سطع عبيرها، و ما إن بلغت التاسع عشرة من عمرها
حتى زها حسننها، و كأن الحسن يفخر بأن يُنسب إليها، و
تألق الجمال بسناها، و كأن الجمال يُعوزُهُ نور ينبثق من
ثناياها. ولجت منزلها الذي غابت عنه لسنتين كاملتين بعد
أن افتقدت كل ركن من أركانه، فقد شهدت ثناياه آمالها و
آلامها، و حضنت أفراحها و أحزانها، و صحتها و
أوجاعها.

و كثير من الناس من ارتشف شراب الهجرة و
الغربة في كؤوس من الحنين و الأشواق..

أسرعت الخادمت إلى البهو المترامي الأطراف و
قدّمن التحية للأنسة الأميرة، فحنت هامتها بلطف و احترام
و حيّت الجميع:

— مرحب، طاب مساؤكم.

تقدمت السيدة بيرنا كبيرة الخدم و مسيرة شؤون
المنزل بقوامها الممتلئ، و زيتها الرسمي الأبيض و الأسود

الذي طالما اعتادت عليه، حتى غدا جزءا لا يتجزأ من شخصيتها. هي صديقة ديلارا خانم، و خادمتها المطيعة، و قد أحضرتها الخانم معها بعد زواجها. هي جادة كمديرة المدرسة، أو هكذا تراها الحسنة.

اقتربت بييرنا و قالت بصوت ودود:

— حمدا لله على السلامة إنجي خانم.

أجابتها إنجي و هي تبتسم عن أسنان منتظمة ناصعة
البياض:

— شكرا لك بييرنا.

— غرفتك معدة إنجي خانم، و الحمام جاهز، أما
الطعام فسيكون جاهزا بعد نصف ساعة.

— من فضلك بييرنا، أرسلني الطعام لغرفتي فأنا
منهكة، و لا أستطيع النزول لقاعة الطعام.

حنت بييرنا رأسها بالموافقة ثم قالت:

— ديلارا خانم تبليغك أسفها لعدم قيامها بواجب استقبالك بالمطار، لأن هيفين خانم قد ارتفع ضغطها قبل وصولك، فنقلوها إلى المستشفى على جناح السرعة.

فقالمتسائلة:

— هيفين خانم، و كيف حالها؟

ثم صعدت إنجي إلى غرفتها من دون أن تعير أدنى اهتمام لجواب بيرنا حول حالة هيفين، فقد سألتها عن حالتها تلقائيا من دون أن تشعر، و لا يههما أمرها البتة، حتى و لو بلغ مسامعها أنها تُحتضر.

دلفت إنجي إلى غرفتها بعد غياب طويل، كانت غرفتها واسعة يتوسطها سرير ملكي، فراحت الحساء تجول ببصرها في أنحاءها، و قد كانت صورتها مع والديها لا تزال على المكتب المثبت في الزاوية، و بجانبها كتاب ثروة الأمم لأدم سميث، أهداها إياه والدها قبل انتقالها للجامعة.

وجدت الفتاة غرفتها الملكية كما كانت عليه، لم يُحرِّك أي شيء من مكانه، حيث لم يدخلها أحد في غيابها عدا الخادمة، أمّا ديلارا خانم فلا تتدخل في مثل هذه الأمور، و كل ما يهمها شؤونها الخاصة فقط كما تعلم إنجي.

كان البيانو الأسود لا يزال مثبتًا في الجهة المقابلة للمكتب، و قد كان هدية من أمها الحنون، فما إن رآته الفتاة حتى راحت تتحسسه بأناملها الرشيقة، و تستنشق عبير ذكريات أمها التي لا تزال صورتها محفورة في فكرها و وجدانها، فذكرها هي النور الذي تستمد منه حياتها، و بين لوعة الفقد، و أمواج الشوق التي انهكتها، أرسلت الحساء دمعة حارة على خدها.

أن يفقد الشخص أحد والديه معناه أن الحزن قد قام بسرقة ثلاثة أرباع روحه..

معناه أن غصن الشجرة الذي يرتاح تحته من عناء رحلة التحليق قد كُسِر..

معناه أن الظمأ استعبده و هو في وسط نبع ماء

زلال..

معناه أن يقتنع أخيرا أن الليل لا لون له..

فكيف بالحسناء و قد فقدت والديها معا؟ أيّ معنى قد

اكتسبته حياتها، إن صحّ أن تُسمّى حياة؟

وضعت حقيبتها اليدوية على الطاولة جنب سريرها،

و دخلت الحمام، فوجدت رائحة الليمون منشرة بأرجائه،

الظاهر أن بيرنا لم تنس أن توصي الخدم بأن الحسناء

تهوى الإستحمام بعبق الليمون.

بعد ربع ساعة، ظهرت إنجي من الحمام و قد بدا

نهداها في صدرها كهيئة تفاحتين على صحن مرمر،

بيضاء بشعر فاحم كجناحي غراب، تقدمت نحو سريرها

فاهتز الخلل في رجلها اليسرى، و قد كان من ذهب

خالص مرصّع بالجواهر النفيس.

لقد كانت في غرفتها كالكوكب الدرّي في ظلام الليل
الأليل، ثم لَفَّت فوطة من حريرٍ على خصرٍ يكاد ينقطع من
رقته، تمشي يمينا و شمالا نحو سريرها، تكاد تنقصف رقّةً
و ليناً.

ارتدت بيجامة وردية فاخرة، و اتجهت نحو شرفة
غرفتها، و سرّحت بصرها في أرجاء المدينة مستنشقة
الهواء الطلق.. إنّ من يَعدُّ هذا الملاك من جنس البشر،
كمن يعدّ الياقوت من جنس الحجر.

— طق! طق!

طرقات خفيفة على باب غرفتها، من الذي يزعج
الحسنا في خلوتها الملكية، فقالت برقة:

— ادخل.

أحضرت إحدى الخادِمات الجديّات الطعام قاتلة:

— معذرة على الإزعاج خانم، هذا طعامك.

وضعت الخادمة الطعام على الطاولة، و همّت
بالإنصراف فنادتها إنجي فجأة:

— ما هو اسمك؟

— أنا كلستان في خدمتك و طوع بنانك.

— أين كنت تشتغلين من قبل يا كلستان؟

— لقد كنت مرافقة ابنة زكي أزرجان بيك.

— وزير الإسكان؟

— أجل يا خانم، لقد تزوجتُ سيدتي السابقة و
ذهبت لألمانيا برفقة زوجها، فأوصت بي والدتها إلى
ديلارا خانم لأنها صديقتها، فأحضرتني الخانم و كلفتني
بالإعتناء بشؤونك.

حرّكت إنجي رأسها بلطف و قالت:

— حسنا كلستان، يمكنك الإنصراف.

— حاضر خانم.

كان على صينية الطعام حساء عروس الإيزو في طبق أبيض، ويُعتبر هذا الحساء من أشهى وأطيب ما يمكن أكله في المطبخ التركي، وقد سُمِّي تيمناً بزهرة بوزغبيك أو عروس الإيزو.

وقد عاشت هذه الشخصية الحقيقية في قرية صغيرة في الجنوب الشرقي لتركيا، قرب الحدود السورية في القرن الماضي، وقد تزوجت من قريب لها يسكن في سوريا، وعندما قامت الدولة التركية ورُسمت الحدود بين الدولتين، وجدت نفسها غير قادرة على زيارة أهلها وعاشت حياةً تعيسةً، وقد ماتت زهرة فقيرةً في سنِّ جد صغيرة، ويُقال أنها اخترعت هذا الحساء في الأوقات التي لم تكن تجد فيه ما تأكله. ويُعتبر هذا الحساء مهماً جداً للأتراك، حيث يوجد في كل المطاعم المتخصصة بالكباب التركي والأكل التركي التقليدي.

و كان بجانب طبق الحساء طبق كباب اسكندر الساخن، فيه قطع مشوية من لحم الضان، فوقها صلصة

الطماطم الحارة وصلصة الياغورت، ويُعتبر من أشهر الأطباق الرئيسية التركية حيث يُلقب بملك الكباب.

و بما أن المطبخ التركي لا يتم إلا بطبق الحلويات، فبيرنا لم تنس أن تُحضّر لإنجي طبق الحلوى المفضّل لديها، و هو حلوى كازان ديبى بالحليب و الكراميل، التي تعتبر من أعرق الحلويات التركية حيث تعود للعصر العثماني.

تناولت الحساء طعامها، ثم تذكرت فجأة أمرا فمهمت:

— ترى لماذا لم يحضر لاستقبالي بالمطار؟ أليس وصيِّي الشرعي؟ هل هناك أمر ما بينه و بين زوجة أبي؟

ساورتها الشكوك حول غياب وصيها عن استقبالها، و لم تقتنع بحجة زوجة أبيها في عدم استقبالها، ثم تذكرت فجأة يوم أجبرها وصيها و زوجة أبيها على مواصلة دراستها، بعد انقضاء أيام عزاء والدها الذي وافته المنية إثر سكتة قلبية أصيب بها شهر جويلية من سنة 2010، و

هدّدها باعتباره وصيّها القانوني بحرمانها من إرثها في حال لم تلتحق بجامعة من جديد، و هذا ما زاد لهيب نار حقدّها عليه.

إثر وفاة والدها، فقدت الحسنة آخر سبب كانت تعيش من أجله، و أظلمت الدنيا في وجهها، فصممت على التخلي عن الدراسة نهائياً، مما أدى بديلارا خانم إلى التدخل و رفض فكرة إنجي، و أجبرتها على مواصلة الدراسة و قد استعملت في هذا كل الطرق و الوسائل المتاحة. لقد كانت هذه أول مرة تتدخل فيها زوجة أبيها في حياتها بطريقة مباشرة بعد أن كانت علاقتهما جد حيادية، و كانت كل منهما تتجنب الأخرى رغم عيشهما تحت سقف واحد.

ترى مالذي دفع الخانم و الوصيّ إلى إجبارها على مواصلة الدراسة؟ أم أنّ هناك ما يحاك في الخفاء؟

القيصر

أيقظ إنجي من قبلولتها طرقات خفيفة على باب
غرفتها، فتفتّحت أجفانها الساحرة كاشفة عن عينين
نجلوين، ذواتا مقلتين صافيتين، و حدقتين شديديتي السواد
تتجلى في صفائهما الرقة و الذكاء، و هما أول ما يظهر
من حسنهما لعين الناظر إليها.

نظرت إلى الساعة جنب سريرها، و قد كانت تشير
إلى تمام السادسة مساءً، يبدو أنها نامت لخمس ساعات
متواصلة، فتعلمت بمكانها ثم جلست على طرف السرير
متكاسلة و هتفت:

-تفضل!

أطلت من الباب بابتسامة شابة، كانت في أواخر
العقد الرابع من عمرها، إلا أن إشراقها و بهاءها يختزلان

سنوات عمرها، و يوحيان بسيدة في ريعان شبابها، نزل
شعرها الأشقر على كتفها عندما أطلت ثم قالت:

-مرحبا إنجي، أسفة لأنني لم أكن بانتظارك
بالمطار.

و بشكل ينم عن ضجر و لا مبالاة، ابتسمت إنجي
قائلة:

- لا عليك ديلارا خانم، لقد بلغني ما حدث لهيفين
خانم.

لقد كانت إنجي و ديلارا خانم تعيشان تحت سقف
واحد لعدة سنوات دون أي علاقة بينهما، كل هذه السنوات
لم تكن كفيلة بربط خيط الألفة بينهما، و ما زاد الطين بلّة،
زواج ديلارا من والد إنجي بعد شهر واحد فقط من وفاة
أمها.

و قد ظل الوالد يحاول إقناع ابنته أن زوجته الجديدة
هي بمقام أمها، لكن البنت رفضت كل ذلك جملة و

تفصيلاً، وحسب رأيها فهيئات أن تكون هذه الأرستقراطية المتطفلة بمقام أمها مهما فعلت.

إن قميصاً من صوف تخطيطه الأم، أدفى من قميص حرير تخطيطه زوجة الأب، لكن هل كان حدس إنجي اتجاه زوجة أبيها صحيحاً؟ أم أن هناك من الأمور ما لا تعلمه البننت؟

ابتسمت ديلارا خانم قائلة:

- لقد ارتفع ضغطها بسبب ابنتها توبا.

- توبا! هل حدث لها مكروه؟

- لا، لا تقلقي لم يحدث شيء من هذا، كل شيء على ما يرام. أنا بانتظارك لنشرب القهوة معاً، و أقص عليك ما جرى.

قامت إنجي من سريرها فغسلت وجهها، و حضّرت نفسها بما يتناسب مع طقوس ديلارا، فقهوتها لا تتم إلا بملابس رسمية.

اكتفت إنجي بتمرير أصابعها بين خصلات شعرها
الحريرية حتى اعتدل و انساب على ظهرها، لقد كانت
بديعة المحاسن، مفرطة الجمال، مما أغناها عن التصنع و
الإهتمام بارتداء أفخم الملابس. كانت حياتها بسيطة غير
متكلفة، لا يههما لا التسوق، و لا زخم المدينة، أو
صالونات التجميل.

طفلة هي حتي في سن العشرين.

كان الخدم قد أنهوا تحضير القهوة في قاعة
الإستقبال، فدخلت إنجي ثم جلست بعد أن عدّلت كرسيها،
فقالت ديلارا بعد أن وضعت جانبا مجلة كانت تطالعها:

- أهلا بكِ بمنزلكِ إنجي !

ردت إنجي و هي تتأمل أناقة ديلارا خانم و شبابها
الذي لا ينضب فقالت:

- شكرا لك يا خانم.

- لقد ازددتِ نضارة و جمالا، و قد أصبحتِ أكثر

نضجا.

- أما أنتِ يا خانم، فكأنني بك لم تزديكِ الأيامِ إلا بهاءً

و أناقةً.

ابتسمتِ الخانم و قالت:

- و قد أصبحتِ أهدأ من ذي قبل، أم أنه هدوء يسبق

العاصفة؟

- أنتِ أعلم من الجميع بأنني لا أتعدى حدودي، و لا

أتعرّض لأحد بسوء يا خانم، و لست من النوع الذي يفقد
أعصابه بتلك السهولة.

- أجل، أجل أعلم هذا، لكنني أدرك جيدا أن هناك

من يفقدك أعصابك.

شعرت إنجي بأن الخانم قالت مقالتها هذه بكل مكر،

و أنها تريد استفزازها بشكل غير مباشر فقالت:

- لا تقلقي، فلن أسمح لأحد ما بأن يفقدني أعصابي

كائننا من كان.

رشففت الخانم رشفة من فنجانها ثم قالت:

- كينان بيك يبلغك اعتذاره لعدم قدومه للمطار، و لا داعي لأن اذكر لك السبب.

رفعت إنجي طرفها نحو ديلارا، و قطبت حاجبيها فبدا وجهها و كأنه شمس تحتجب خلف الغيوم، و ردت:

- لا أنتظر أية مجاملات من أحد!

- إنجي، لكنك تعلمين أنه مسؤول عنك و..

قاطعتها إنجي مغضبة و قالت:

- أنا مسؤولة عن نفسي الآن، و لا أحتاج لمن يسير

شؤوني!

- لا تزالين صغيرة يا إنجي، و إن يكن فهو وصيک.

- أنا لست صغيرة..!

ابتسمت الخانم ابتسامة المراوغ و أجابت:

- حسنا، فلنستمتع بقهوتنا.

إن ما يُغضب إنجي، و يحرق أعصابها، هي برود
أعصاب زوجة أبيها، و عدم اهتمامها أو هكذا تظنّ الفتاة.

استطردت الخانم حديثها قائلة:

- قد ذكرت لك سابقا أن هيفين خانم قد ارتفع
ضغطها بسبب توبا.

هيفين خانم هي ابنة عم اسكندر تورباش، قبل أن
تكون زوجته، و كينان بيك هو ثمرة زواجهما. و بعد أن
انفصل الزوجان لم يتزوج اسكندر بيك حتى وافته المنية،
أما هيفين خانم فقد تزوجت من شقيقه، الذي توفي بعد
زواجهما بعشر سنوات، لتعود الأرملة السوداء لبيت العائلة
بولدين و بنتين من زوجها الثاني.

اعتذلت إنجي في جلستها و قالت:

- أجل، لكن كيف حدث هذا؟ هلاً أخبريني بالتفاصيل
من فضلك؟

- بالطبع سأقص عليك الحادثة، فأنتِ فرد من العائلة
رغم أنكِ تنكرين هذا، و تقفين دائما ضد الفكرة.

اندهشت الفتاة من صراحة الخانم، و حاولت الرد
لكنها لم تجد ما تقوله فالتزمت الصمت.

و توبا هي البنت الثانية لهيفين من زوجها الثاني،
ولدت بعد أخيها البكر خليل، و يأتي بعدها التوأم يالدر و
إليف.

بقيت إنجي صامتة، فاستطردت الخانم كلامها:

- لقد قامت توبا بحماقة لا تليق بمستوى العائلة و
سمعتها.

- كيف ذلك؟

- لقد حاولت الهرب مع شاب تحبه.

- ماذا! هل أنت جادة، تهرب معه؟

- أجل، أجل و لو لا تدخل كينان الذي اكتشف الأمر
في آخر لحظة و أنقذ الموقف، لحدث المحذور.

- طالما يحبان بعضهما، فلمَ لمَ تقدّمه لعائلتها؟

ابتسمت ديلارا و قالت:

- لقد فعلت، لكن العائلة رفضت الشاب و العلاقة
بمجملها.

- أظنك تقصدين أن كينان القيصر هو الذي رفض
الشاب.

- كينان و هيفين، كلاهما رفض الأمر.

استغربت إنجي موقف العائلة و قالت:

- لكن لِمَ الرَّفض ما داما يريدان بعضهما؟
- الحب ليس كل شيء أحيانا، هناك أمور يجب أن
تؤخذ بعين الإعتبار إضافة للحب، كالمركز الإجتماعي و
سمعة العائلة.

بُهِتت إنجي من هذه المعايير و قالت:

- و ما ذنب توبا المسكينة و حبيبها؟
- أنت تعلمين أن توبا مندفعة جدا، و هي لم تكن
تحبه حقا بل كانت مجرد نزوة و طيش، أما الشاب الذي

ظنَّته حبيبها فقد كان يريد استغلالها، و كان يطمع في ثروة العائلة، و لتعلمي يا عزيزتي أنه قد تخلى عنها بمجرد استلامه شيكا بمبلغ زهيد من كينان، هل هذا هو الحب الذي كانت تريد التضحية من أجله؟ هل فهمت قصدي الآن؟

- لا أستطيع أن أصدق كل هذا، توبا جميلة جدا، و معظم الشباب يتمنون قربها و الإقتران بها.
- ما تقولينه صحيح، لكن المسكينة قد أوقعها حظها السيء في قبضة شاب انتهازي مخادع، لحسن حظها فقد عادت المياه إلى مجاريها. أمّا أمها فقد استعادت عافيتها، و عاد ضغطها لطبيعته، و أنا أعلمك بحالة هيفين رغم إدراكي لعدم اهتمامك بهذا.

بالنسبة لإنجي، فإن هيفين خانم عقرب في هيئة بشر، و الشر يتطاير من عيونها الماكرة، و إنجي تعلم أيضا أن ديلارا خانم تتملقها، و لا تتخلى عن صحبتها، فهيفين هي أم الرئيس أو هكذا كانت تظن إنجي.

ردت إنجي محاولة تبرير موقفها:

- لكن الكل يعلم كُنه و حقيقة هيفين، أليس كذلك؟
- أجل، لكن و في النهاية نحن عائلة يا إنجي، و
بالمناسبة قد نسيت إبلاغك تحيات التوأم، و تحيات توبا
التي أرسلتها لك من خلال دموعها.

ضحكت إنجي ثم قالت:

- سأتصل بها للإطمئنان عليها و مواساتها.

حركت الفتاة كرسيها للخلف برفق و قالت:

- بعد إذنك، سأذهب لغرفتي.

- لا تنسي أنك في منزلك يا إنجي، سنلتقي على
مائدة العشاء، و بالمناسبة فإنه سينضم إلينا ضيف.

- ضيف! من؟

- وصيك، كينان بيك.

لقد أصبحت ديلارا خانم المسؤول الرسمي عن حياة
إنجي بعد وفاة والدها، هذا طبعا بعد كينان تورباش، ابن
أخيها، و المسؤول الأول عن عائلة تورباش و ممتلكاتها

بعد والده، الذي توفي قبل ستّ سنوات. و كينان بيك يتربع على رأس مجموعة قابضة تتصدر مجال أعمالها بتركيا.

والد كينان كان صديقا مقربا من والد إنجي منذ أيام الجامعة، و بعد ذلك غديا شريكين عملاقين لا يشقّ لهما غبار في السوق التركية. و بعد أن اختبر والد إنجي كينان عن قرب، و رأى منه الصرامة و الجد في العمل، جعل منه الوصي الأمين على ابنته إنجي، لكن و لسوء الحظ فإن إنجي تمقت كينان منذ أن استلم زمام القيادة بعد والده و أضحى شريكا لوالدها، إنه يمثل كابوسا في حياتها، و قد كان يُشعرها دائما بأنها طفلة حمقاء خرقاء، لا تصلح لشيء.

فما مصير المسكينة، و قد وقعت بين فكّيه، و له الحق في التصرف بكل ممتلكاتها؟

هتفت إنجي مغضبة:

- اللعنة!

- من فضلك إنجي كوني فتاة طيبة، فهو ضيفنا.

دلفت إلى غرقتها تلعن و تناجي نفسها:

- لماذا لا يترك لي فرصة للتنفس حتى الغد؟ لماذا لا يهتم بشؤون الشركة، أو يسهر مع إحدى الغانيات و يتركني و شأني؟

طالما كينان بيك قادم، فهذا لا يعني إلا أن العاصفة قد اقتربت.

استلقت على سريرها، و اتصلت بتوبا مباشرة:

- مرحبا إنجي!

لقد كانت توبا مستيقية على سريرها، و الأفكار تتجمع حول همها، حتى أنهكت ملامح و جها الذي غطته الدموع.

-توبا، كيف حالك عزيزتي؟

- أظنني بخير، حمدا لله على سلامتكَ و آسفة لأنني شغلت الجميع بحماقتي.

- لا عليك هذا غير مهم، المهم أن تكوني بخير.

- لا أظن ذلك!

أجهشت توبا بالبكاء، ثم واصلت كلماتها باستياء:

- خدعني يا إنجي! خدعني و مثل عليّ، و أنا التي
وضعت فيه كل ثقتي، و ظننته يحبني إلا أن الوغد كان
معي من أجل ثروتي فقط!

- لا عليك يا توبا، أنت كالقمر و لا مناص من أنك
ستجدين فارس أحلامك الذي يفدرك قدرك، و يهتم بك.. لا
تضعي كل أحلامك في شخص واحد، و لا تجعلي رحلة
عمرك وجهة شخص تحببته مهما كانت صفاته، و لا
تعتقدني يا عزيزتي أن نهاية الأشياء هي نهاية العالم، فليس
الكون هو ما ترى عيناك.. لا تنتظري حبيبا باعك، و
انتظري ضوءا جديدا يمكن أن يتسلل إلى قلبك الحزين،
فينزع السهم المسموم، و يعيد لك الحياة و البسمة.

- إن اسم عائلتنا و ثروتنا لعنة علينا يا إنجي، لم

نحصد منها إلا التعاسة!

- لا تقولي هذا، ستتحسن الأمور و تعود المياه إلى مجاريها، المهم أن تهتمي بنفسك و تعتني بها.
- أشرك من كل قلبي حبيبي إنجي، سأتي لزيارتك قريبا حتى تقصي علي مغامراتك بالجامعة، لكن بعد أن أتصالح مع نفسي.
- و هل أساء لك كينان العظيم؟ هل قلل من احترامك؟

ضحكت توبا من تدمير إنجي بسبب كينان ثم أجابت:

- أظن أنني أستحق أكثر مما صنع معي، و أنا مدينة له بأن جعلني أرى الأمر على حقيقته.
- أجل، أجل طبعا القيصر دائما محق.

ضحكت توبا و كأنها نسيت مشكلتها و قالت:

- لم تتغيري يا إنجي، إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

أقفلت إنجي الخط و تمددت على سريرها، و
سرحت بذهنها لحظة و هي تتمتم و تغغم:

- كل شيء يقوله كينان لا يفتأ أن يصبح صوابا، و
الجميع ينحني له طاعة و إجلالا. لن أتمر بأمره، و لن
أتنازل عن مبدئي هذا أبدا.

ترى ما سبب زيارته و مالذي يطمح إليه؟ ماذا يريد
كينان من هذا العشاء؟ من المؤكد أنه سيحدثها عن ضرورة
التحاقها بالعمل في المجموعة، أمر منطقي على كل حال،
فكل أفراد العائلة يعملون هناك.

قررت إنجي عدم الإهتمام بمظهرها و هندامها،
حتى و إن وبّختها ديلارا خانم فهي لن تبدل ثيابها من أجل
العشاء، بل عزمت على النزول بنفس الثوب الذي حضرت
به وقت القهوة.

بعد فترة حضرت خادمتها إلى غرفتها و قالت:

- سيدتي، ديلارا خانم تعلمك أن كينان بيك قد حضر
و هو بصالة الضيوف، أما العشاء فسيكون جاهزا بعد
نصف ساعة.

- حسنا، شكرا كلستان.

- عفوا سيدتي، هل تريدين تغيير ملابسك؟

- لا ! تستطيعين الإنصراف الآن.

- لكن، سيدتي، أنتِ..

- كلستان! شكرا.

بعد لحظات، نزلت إنجي إلى قاعة الضيوف،
فوجدت كينان بيك مستلقيا على الكنب، مقابل ديلارا التي
اندهشت من هندامها و أمعنت فيه النظر.

ابتسم كينان ابتسامة غامضة، ثم قام من مكانه و هو

يتأملها:

- إنجي!

مدت له يدها فالتقطها بلطف، و قبلها باحترام كعادته

مع السيدات لكنه احتفظ بها قليلا بين يديه ثم قال:

- أهلا بك بيننا من جديد صغيرتي المزعجة.
- كينان! أنا لست صغيرتك و لا صغيرة أيّ كان،
أما لقب المزعجة فأرجو أن لا أسمعه ثانية.

ضحك بسبب انفعالها و قال:

- دماؤها تغلي، و أعصابها متوترة كالعادة يا ديلارا.

ابتسمت ديلارا بدورها و قالت:

- لو كانت فعلا قد تغيرت، كانت غيّرت هندامها و
لم تبخل عليك بذلك.

- لكنها لو قامت بغير ما قامت به الآن، لاعتبرها
شخصا آخر غير صغيرتي التي اعرفها.

ثارت ثائرة إنجي من كلامه، و اعتبرتها إهانة و
تحقيرا لشخصها، فتمتمت بكلمات تنذر بالشر و الوعيد:

- اللعنة! كينان! قلت لك لا تتنادني صغيرتي!

فغر فاهُ و تطلع إليها دون أن ينبس بينت شفة، ثم
ابتسم بعد ذلك ابتسامة زادت الطين بلة و أجابها:

- أعدك بأنني لن أناديك صغيرتي عندما تكبرين، فما
عليك إلا أن تكبري بسرعة.

حملت فيه طويلا بعينين طافحتين حقداء، و قد ملأ
وجدانها التشاؤم من هذه الزيارة.

لكن إلى أي مدى كان تشاؤمها صائبا، و هل كان
حقداء عليه و مقتها إياه نابعا من قلبها، أم مجرد أحاسيس
سطحية؟

ترى مالذي يخبُّوه القدر من أجلها؟

الوصي

فتح الليل أجنحته فغمر الأرض ظلام دامس، دخل
الثلاثة غرفة الطعام الأنيقة، التي أُعدّت إعدادا ينم عن بذخ
شديد و تم تجديدها تجديدا تاما. أجالت إنجي نظرها في
الغرفة التي لم ترها منذ مدة، فرأت أن كل شيء من
الأطباق إلى الفضيّات، و من الأواني إلى الكريستاليات
يحمل ذلك الطابع الخاص من الجودة الذي يراه المرء في
قصور الملوك.

تقدمت إلى كرسيتها و قالت:

- سألتزم الصمت.

ضحك كينان ثم قال:

- هذا يعني أنك أصبحت عاقلة يا صغيرتي.

قطبت حاجبيها و قالت مغضبة:

- أنا لست صغيرتك يا كينان، قلت لك ألف مرة بأن

لا تتاديني بهذا الإسم!

حاولت ديلا را تهدئة الوضع قائلة:

- تفضلا! قبل أن يبرد الطعام.

يبدو أنها نسيت أو تناست زي إنجي الذي لم تغيره،

لكنها تذكرته فجأة فقالت:

- آه لقد تذكرت! لماذا لم تغيري هندامك من أجل

العشاء يا إنجي؟

ضحك كينان و قال متهكما:

- بالله عليك يا ديلا را! هل فعلا تجهلين السبب؟

- ماذا تقصد يا كينان؟

- لقد علمت إنجي أنني ضيفكما لذا لم تتعب نفسها
بارتداء زي من أجل استقبالي.

هدأ الوضع قليلا و التزمت إنجي الصمت و الهدوء
أثناء الطعام، فهي تدرك جيدا طقوس زوجة أبيها، لأن
ديلارا خانم لا تحب الكلام أثناء الطعام، فما بالك
بالملاسنات و الصراعات.

الظاهر أن كينان بيك هو الآخر يدرك هذه الطقوس،
لذا التزم ببعض الكلمات مع عمته الأنيقة فيما يخص
العائلة و لم ينس الثناء على جودة الطعام.

و على حين غرة، التفتت الخانم إلى إنجي و سألتها:

- إنجي، لم لا تأكلين؟

- لقد أنهيت طعامي توا.

كان كينان يتأملها و يعمن النظر فيها ثم قال:

- لقد نحفتِ يا إنجي.

- هذا ليس من شأنك! من فضلك لا تقل لي بأنك وصي علي، و أن النحافة و البدانة من شؤون الوصي.

فاقترب ثغره عن ابتسامة تعصف بقلوب السيدات و تدفعهن للجنون، شاب أبيض يشده مرآه الناظرين إليه، و هو جواد لا منافس له في إزمير. أما ثراؤه فواسع، و أما جاهه فواسع الإنتشار و نفوذه لا يناظره نفوذ رجل أعمال آخر في تركيا، و لا مجال مسدود أمامه إذ أن تقدمه في مضمار الأعمال أمر لا مرية فيه.

- فلتعلمي أن كل شيء من اختصاص الوصي.

-أبدا..!

هتفت ديلارا مجددا حتى تخمد الصراع بينهما:

-يكفي! رجاء..

بعد العشاء اجتمع الكل من جديد بقاعة الإستقبال من أجل القهوة.

تناول كينان فنجانه بعد أن شكر الخادمة، أما ديلارا فقد آثرت أن تقدم لإنجي فنجاءها فشكرت لها صنيعها. و بعدها التفت كينان إلى إنجي و قال:

- أنا حقا فخور بك يا إنجي.. لقد أثبتت تفوقك في دراستك كالعادة.

- شكرا!

ها قد أنت اللحظة التي طالما شغلت بال إنجي و أعيت فكرها، و هو سبب قدوم كينان للعشاء، فسألها قائلاً:

- ها أنتِ قد أنهيت دراستك، و حصلت شهادتك عن جدارة و تفوق، فمالذي تنوين صنعه الآن؟

- في ماذا؟ ماذا تقصد؟

- أعتقد أن سؤالي واضح.. أعني ما الذي قررت القيام به في حياتك بعد الدراسة؟

- بكل بساطة، سأتزوج و أمكث بالبيت للإعتناء
بزوجي و أولادي فيما بعد.

ضحك كينان حتى استغرب ضحكا، و شاركته
ديلارا ذلك ثم قال:

- مزحة رائعة يا إنجي.

- عفوا لكنني جادة في كلامي.

اعتري الشاب ذهول شديد، و راح يتأملها بكل دهشة
فاستطردت كلامها:

- أجل، أجل سوف أتزوج.

فرد قائلا:

- كفافك مزاحا يا إنجي.

- مالذي دهاك؟ لقد قلت بأنني جادة فيما أقول.

- إن كنت حقا محقة فيما تقولين، فلا شك بأنك
جننت.

- أجننت لأنني أرغب بالزواج؟ و منذ متى أصبح
المتزوجون في عداد المجانين؟ كيف..

قاطعت ديلارا كلامها و قالت بحزم:

- إنجي! هذا ليس وقتا للدعابة.

- ها أنا أكلمكما بجد، أنا و أركان سننزوج و قد
قررنا هذا معا.

فأجاب كينان بحدة و خشونة:

- و من يكون أركان هذا؟

- أظنك تعرف باريش جينار أليس كذلك؟

- أتقصدين أركان نجل السيد باريش جينار رجل

الاعمال؟

- أجل..

كان كينان جالسا على الكنية فانتصب واقفا بقامته الطويلة، بمظهر يدل على العزم و القوة إلى جانب الصرامة و الحزم و أجاب:

- كيف تعرفت عليه.. و كيف..؟

- التقينا بالمطار عندما كنت متجهة نحو أمريكا، و قد كان في سفر عمل كلفه به والده، فتجاذبنا أطراف الحديث و تطورت علاقتنا، إلى أن أصبحت ما هي عليه الآن.

صرخ بوجهها و قد اشتد به الغضب، حتى احمر وجهه، و انتفخت عنقه، و برزت عروقه كأشجار الخريف، ثم انفجر غيظا بصوت غليظ كأنه هدير النهر في هيجانه:

- و كنت تخفين كل ذلك طيلة هذا الوقت و تكذبين!

- أكذب في ماذا؟!!

- تدخلين بعلاقات مع ذاك الشاب الحقير التافه دون علمي.. أقسم بأنني لن أتركه و شأنه!

- أنت!.. لا تتدخل بحياتي الخاصة! من سمح لك بهذا؟

- أنا وصيك! و مسؤول عنك أقسم أنك إن لم تلتزمي حدودك، فلن تتالي قرشا واحدا إلى أن تبلغني الحادية و العشرين من عمرك.

- و هل تريد حرمانني من أموالي و ممتلكاتي؟

- هذا بالضبط ما سأفعله، و أنا أعني ما أقول جيدا.. و بالمناسبة فإنك ستلتحقين بالمجموعة للعمل شئت أم أبيت، أما ذاك الحثالة الحشرة فإن لي معه شأن آخر، و الجواب ما ترين لا ما تسمعين!

انبرت إنجي و قالت بصوت أجش صارم:

- أنت! من تخال نفسك حتى تهددني؟.. لقد طلبت منك ألا تتدخل بخصوصياتي.

انتفض كينان و اتجه مسرعا نحو الباب دون أن يرد
عليها، أما هي فقد وجهت الكلام إلى ديلارا بلهجة حانقة:

- لن أترك أركان مهما حدث.. لا دخل لكم بي و

أعلى ما في خيلكم اركبوه!

همت الخانم بالقيام عن الكنبه، فانشق ثوبها الذي
يبدو أنه علق بين الطاولة و الكنبه، و ما إن أدركت ذلك
حتى هجست نفسها و حدثتها بالشر، يبدو أن الأمر لا يبشر
بخير فقالت لإنجي و هي تحاول تهدئتها و تسكين غضبها:

- اهدئي من فضلك..

قامت الفتاة صارخة من أعماق نفسها، و كأن
صرختها صادرة عن ألم جسدي حاد ثم قالت:

- حتى أنت! لقد طلبت منكم ألا تتدخلوا بشؤوني..

لن أهدأ، اتركوني و شأني..!

كان كينان يقود بسرعة جنونية و كله عصبية و
توتر، فاتصل بأحد الأرقام بهاتفه لكن الشخص لم يجب،
فاستشاط غضبا:

- اللعنة! أجب أيها الحقير!

عاود الإتصال ثانية فرد السيد:

- أهلا و سهلا كينان بيك.

- أين أنت؟

فرد السيد بتعجب و اضطراب:

- أنا.. أنا.. أقصد أنني بمكتبي أهم بالإنصراف فقد
تأخرت.

فرد كينان باللهجة نفسها:

- ابق حيث أنت، لا تتحرك من مكانك سأكون عندك

خلال دقائق!

لحظات حتى توقفت السيارة على رصيف شركة
السيد، خرج كينان مسرعا، و اتجه مباشرة نحو مكتب
السيد دون أن يلتفت، فهمّ السيد باستقباله:

- مرحبا كينان.

فأجابه بصوت سريع و عميق غير طبيعي:

- باريش جينار! اسمعني جيدا و لتعقل قلوي، أخبر
ابنك أن يبتعد عن ابنتي و ألا يقربها بتاتا.. إني أحذرك
لأول و آخر مرة.

- ابنتك؟

- أجل ابنتي..!

صمت السيد جينار هنيهة ثم قال:

- لكن.. كينان بيك أنا لا أفهمك.

- أنا وصي عن ابنة السيد قدسي آغا أوغلو، و أنا
المسؤول عنها أمام الجميع و أمام القانون، حتى أنت تعلم

هذا لذا فلتبلغ ابنك أنني أحذره من الإقتراب منها.. و إلا
أخبرني عن مكانه الآن..

- كينان بيك، لكن ابني يريد الارتباط بالفتاة رسمياً.

أخذ كينان بتلابيب السيد بعنف حتى كاد يخنقه، و
صاح بوجهه بصوت جهوري أجش:

- أنا الوصي عنها ألا تفهم؟ أمرها بيدي و أنا أرفض
ابنك و قرابتك فهل لديك اعتراض؟

فأجاب السيد جينار بصوت مرتعش:

- بلى.. لكن..

- دون لكن! لقد انتهينا و لتعلم ابنك بهذا و قد أعذر

من أنذر!

ترك كينان قميص الرجل، و انصرف يهدر و يتمتم
بكلام غير مفهوم، أما السيد فقد لزم مكانه لا يتحرك من
هول ما جرى.

كانت إنجي في غرفتها تحدث أركان عبر الهاتف:

- أنا متأكدة بأنه سيبحث عنك ليكلمك بالموضوع.

- أنا جاد بعلاقتنا حبيبتي فلماذا يرفضني؟

- إن كينان يريد مضايقتي، و هو يجد لذة في

إزعاجي و إخراجي عن طوري.

- لكنني أحبك إنجي، و لن أتخلى عنك مهما حدث.

- أركان! لكن كينان ليس أي شخص أرجوك كن..

قاطع حديثهما طرقات على باب غرفة أركان

فأجاب:

- أدخل!

دخل أبوه و علامات الأسى و الإنكسار و الهوان

بادية على وجهه، فارتاب الفتى مما رأى و قال:

- سأكلمك لاحقاً، إلى اللقاء.

جلس أبوه بجانبه و علامات الإرتباك بادية عليه ثم

قال:

- هل كنت تكلم ابنة السيد قدسي؟

- أجل يا أبي.

- أنا أريد أن أحدثك بأمرها يا بني.

- تقصد أنك تريد إبلاغي برفض كينان لعلاقتنا.

- فلتعلم يا بني أنه الوصي عليها، و أي شيء يخص

حياتها لا يتم إلا بعد إذنه، و إن رفض أمرا فأنت أدرى
بالنتيجة، و نحن في هذا المقام كمنلة تحارب فيلا.

- و لماذا الحرب يا أبي.. لأننا نحب بعضنا؟

- ليس هذا ما أقصد، لكن وصيها لا يريد هذه العلاقة

و هو يرفضها قطعاً.

رد الشاب بصوت خافت و لطيف آملا الوصول إلى

مبتغاه فقال:

- أنا لن أتنازل عن إنجي يا أبي و سأكلمه
بالموضوع.

- لكن.. يا بني..

- أرجوك يا ابي اترك لي فرصة للحديث معه و
إقناعه.

* * *

داخل القصر الفخم كان كينان قد عاد و غير
ملابسه، و بعد أن سكن عنه الغضب نوعا ما تلفت يمينا و
شمالا و تريث متمللا، و تساءل بينه و بين نفسه أليس
هناك ما يجدر به فعله؟

ضرب يده على جبينه و أدرك أنه لم ينس سوى
ولده الصغير، فتحرك مباشرة نحو غرفته.

نيار هو صغير كينان الوحيد، و قد كان ثمرة زواجه من زوجته السابقة جيندا ابنة صديقة هيفين خانم. و قد فعلت هذه الأخيرة المستحيل، و صنعت كل الحيل من أجل أن تزوجها منه، فتزوجها في نهاية المطاف بعد أن تعب من ملاحقتها إياه، و لعدة أسباب أخرى لا يعلمها إلا بعض المقربين منه.

بعد أن وضعت جيندا صغيرها، طلقها كينان و تنازلت له عن حضانة الطفل، لكنها حتى و بعد الطلاق لم تياس من عودة كينان إليها.

دخل كينان غرفة الصغير بكل هدوء مخافة إزعاجه، لقد كان نيار نسخة عن أبيه و هو نائم على سريره ملء أجفانه، بلون شعره البني الضارب للصفرة كلون خيوط الذرى و السكينة تملأ وجهه الأشقر.

قبله كينان بلطف و حنان ثم انسحب خارج الغرفة بهدوء.

عند السلم التقى كينان بيالذز شقيقه من أمه البالغ من العمر ثلاثة و عشرون سنة، حيث تخرج من كلية الإقتصاد منذ ستة شهور، ثم التحق بعدها بالعمل في المجموعة.

رفع يالذز طرفه نحو كينان، و نظر إليه بعينين هادئتين طموحتين ينزل عليهما شعره البني القاتم، ثم حياه بطلاقة:

- مرحبا كينان!

- أهلا يالذز، لماذا تأخرت اليوم؟

- كنت أحاول إنهاء ما كان على مكثبي من أعمال قبل عودتي.

أجاب كينان بابتسامة تتم عن التقدير و الإعجاب و قال:

- ليت كل أفراد المجموعة مثلك !

بادله يالذز الإبتسامة و قال:

- بلغني عودة إنجي من سفرها.

- أجل و قد أحضرت مشاكلها معها.

- لا عليك يا كينان.. ستصبح رصينة يوما ما.

فقال بتذمر:

- لا أظن ذلك.. تصبح على خير.

دخل كينان غرفته التي كانت مرتبة و منظمة على طريقة صاحبها في شؤون حياته، تفقد هاتفه الذي كان مبرمجا على وضعية الصامت احتراماً لطقوس عمته ديلارا، فوجد اتصالات عديدة فتلملم ثم وضع الهاتف غير مبال بالمتصل كأن لا أهمية له بحياته. رن الهاتف مرة أخرى فعلت وجهه أمارات السأم و الضجر و رد قائلاً:

- ألو! نعم..

- كينان، حبيبي.. أنا

- نعم جيندا، ماذا تريدین؟

- كينان! أنت تعلم أنني أحبك.. و طفلا..

- جيندا! من فضلك كفي عن هذه التفاهات، لقد أخبرتك أن ما بيننا قد انتهى و أصبح من الماضي، فأسدي إلي معروفًا و لا تفاتحيني بالموضوع مجددا.. أما طفلك فلن أحرملك منه، و لتأت لزيارته متى شئت، لكن لا تنسي أنك أنت من تنازل لي عنه حضانتَه بإرادتك.

سكتت هنيهة و قد اغرورقت عيناها بالدموع ثم أجابت:

-لقد تنازلت عن نيار الصغير من أجلك، و أنت تدرك جيدا بأنني أريد إرضاءك فقط، حتى أسهمي بالمجموعة بعنكها.

و على الرغم من جمال الحب و روعته و مدى تأثيره على الأشخاص، إلا أنه و في بعض الأحيان يؤلم جدا حد الموت، إنه يشعر صاحبه بالحزن و الغصة، خاصة إذا ابتعد عن حبيبه أوفرقتهما الأيام، و الأمر من هذا كله أن تكون العلاقة مثل علاقة كينان بجيندا، أحببت

شخصاً لا يحبها، و استمرت في حبه رغم عدم إحساسه بها، لكن هل أحبته فقط من أجل الحب أم من أجل أمور أخرى؟

- جيندا! أرجوك أنا مرهق و قد عدت لتوي بعد يوم عصب، لذا أريد أن أخلد للنوم الآن.

أغلق الخط، ثم جلس و أخذ يحدث نفسه قائلاً:

- اللعنة! يالها من مزعجة..

لم يكن كينان يريد جيندا و لم يحبها يوماً، لقد تزوجها فقط من أجل إرضاء أمه و الخلاص من ثرثرتها و نقيقتها، لقد ترك زوجته و أم طفله بكل بساطة.. أي قلب يملكه هذا الرجل؟

هل تستطيع أن تفعل إنجي مثله؟ و تتخلى عن حبها بعد أن أيقنت أن علاقتها مع أركان قد دنا أجلها، و حكم عليها بالزوال، هل يطاوعها قلبها لنسيان حبيبها؟

هل هي حقا تحبه أم مجرد كلمة قالتها زورا و
بهتاناً؟

في جميع الأحوال فالحب وحده ليس كافياً..

إن الوقوع في الحب تجربة رائعة..

في البداية تبدو العلاقة وريدية، و من المستحيل أن يرى الطرفان الأمور يوماً ما بشكل مغاير، لكن الحب لا يكفي من أجل الحفاظ على علاقة الحب نفسها على المدى الطويل.

إن أسهم إله الحب الروماني كيوبيد تستطيع أن تجعل الشخص يمضي وقتاً رائعاً في المساء، نهاية أسبوع ساحرة، أو حتى شهراً خرافياً مع الشخص الذي اختاره قلبه.. لكن و من أجل أن تكون علاقة نقية وفيه تستمر إلى أن يفرق الموت العاشقين، فهذه مسألة مغايرة تماماً، تتطلب أكثر بكثير من الحب نفسه.

الانتحار

خلدت إنجي إلى فراشها، لكن النوم جفاها بعد أن
كلمت أركان و قال لها بأنه قد عزم على محادثة كينان و
إقناعه بعلاقتهم.

لكن الحسنة غير متفائلة بنتيجة المفاوضات بين
وصيها و حبيبها، بل هي شبه متأكدة بفشل هذه المساعي.
كانت جنوبها تتجافى على سريرها هاجسة بما يعتمل في
صدرها من الغيظ و الهم، و قد لاحقها وجه أركان، فما إن
تسدل أجانها الساحرة على مآقيها حتى تراه شاخصا
أمامها.

و لا تفتح عينيها الجميلتين، إلا و يظهر لها وجه
وصيها كشرير متعجرف أو هكذا كانت راه.

هكذا اجتاحتها موجة عارمة من الحزن و الأسى،
فانهمرت الدموع من عينيها مدرارا، كنه جاري لا ينضب
ماؤه. لقد أثر عليها وصيها و ربما قرر قهرها فطالما
قالت:

- هو يكرهني و أنا أكن له كل البغض!

بقيت بين هواجس نفسها، و راحت شفتها تتمتان
بكلام غير مفهوم حتى غلبها سلطان النوم فغفت و أسلمت
نفسها الوادعة إليه.

جميلة هي..

جميلة عند سرورها..

جميلة حتى أثناء حزنها و انكسارها..

و من يستطيع أن يقارن الورد بالشوك؟ أو يقارن
المحبوب بالمكروه.

* * *

بدأت شمس الصباح تستيقظ من نومها، و علت
فاردة أشرعة نورها، فاستيقظت الحساء ما إن داعبت
أشعة الشمس الأولى بشرتها الذهبية الناعمة المشربة
بالحمرة من خلال نافذة غرفتها.

تفتحت أجفانها الساحرة، كاشفة عن عينين نجلاوين
و أدركت أنها قد نامت لوقت طويل، و لم يجراً على
يقاظها أحد. و حين كانت نازلة على درجات السلم
الرخامية الفاخرة أسرع نحوها خادمتها كلستان قائلة:
- صباح الخير يا خاتم.. أنا في الخدمة، و حمامك
جاهز منذ فترة.

- اطلبي لي إفطارا فقط.

- حاضر خانم.

عند دخولها قاعة الإستقبال، التقى وجهها بوجه
ديلارا خانم التي قابلتها بابتسامة قائلة:

- صباح الخير إنجي!

فأجابتها تلقائيا:

- صباح الخير.

- لا تزالين مرهقة جراء الرحلة يا إنجي.

فردت بلهجة لا تخلو من الأسى و العبوس:

- ليست الرحلة و حسب، فما حدث البارحة قد

أرهقني كثيرا.

- لكنك تدركين جيدا أن كينان لا يروم إلا مصلحتك

يا إنجي.

- حسنا! حسنا لا أريد أن يتردد إسمه ثانية على

مسامعي!

سكنت قليلا ثم استطردت قائلة بنفس اللهجة:

- أقسم أنه إن واصل رفضه لأركان، لحدث ما لا

يحمد عقباها!

- إنجي.. لكن..

فقاطعهما صوت سقوط إحدى مزهريات البيت و
انكسارها، خالج ديلا را نفس الإحساس السيء الذي هجست
به نفسها عند انشقاق ثوبها فأخذت نفسا طويلا ثم تنهدت و
هي تقول:

- عساه خير!

ثم التفتت إلى إنجي و واصلت كلامها:

- مالذي دهاك يا إنجي؟ أنت لم تعودي طفلة صغيرة

الآن!

- إذا و بما أنني لم أعد طفلة صغيرة، فإنه يحق لي

أن أختار الشخص المناسب لي!

جهز إيفار إنجي، فوضعتة كلستان على الطاولة و

انسحبت من القاعة اجتنابا لسخط إنجي. فانتفضت الفتاة

بعدها عن الكنبه و قد شعرت بالضيق و الأسى لحالتها، ثم

تمتمت في صدرها:

- اللعنة! تبا لهذه العائلة!

- إنجي! أنت لم تتناولى أي شيء..

- لا أريد!

- انتظري! إنجي..

لم تجب الفتاة بكلمة، و أسرعت نحو غرفتها فتعثرت و كادت تسقط عن السلم، لكنها لم تبال، فدخلت الغرفة و صفقت الباب بعنف.

كان هاتفها يرن لكنها لم تنتبه له من فورة غضبها، كان المتصل أركان، و قد اتصل بها عندما كان يهم بالدخول لمبنى المجموعة.

لقد شعر عند دخوله المبنى كشعور الداخل لعرين الأسد، كان المبنى الشامخ إمبراطورية مستقلة بذاتها، و لم يبلغ الشاب مكتب سكرتيرة كينان بيك إلا بشق الأنفس، و ما كان ليبلغه لو لم يسمح كينان بذلك، و يترك توصياته لرجال الأمن.

كانت داخل المكتب سيدة أنيقة زادتها نظارتها الطبية أنيقة و رونقا، و هي في عقدها الرابع، رحبت به قائلة:

- مرحبا سيد أركان!

- أهلا سيدتي.

- من فضلك، تستطيع الدخول بعد ربع ساعة.

- ماذا! ربع ساعة كاملة.

فردت بابتسامة لطيفة:

- أنت جد محظوظ سيدي، و لا بد أنك من المقربين من الرئيس، فغيرك كان لينتظر عدة أيام، و ربما أسابيع من أجل مقابلته لبضع دقائق.

فحدث نفسه قائلاً:

-أ هذه مقابلة بالمكتب البيضاوي أم ماذا؟

أحنى رأسه للسيدة بالموافقة، و طفق يتأمل المكان الذي يدخله لأول مرة، كل شيء بالمكتب يحمل طابع الفخامة و الهيبة ثم راح يتمتم:

- مؤكد أن كينان بيك يريد لإنجي حياة مميزة، و لم لا فإنجي تستحق ذلك، و هي ليست أية فتاة حتى أنا أستحق أن أقاسمها حياتها الفاخرة..

و بين شد و جذب بينه و بين نفسه، انتشلته فجأة صوت السكرتيرة من خلوته:

- سيدي!.. سيد أركان!

- نعم!. نعم عذرا.

- تفضل! كينان بيك في انتظارك.

دخل الشاب، فوجد نفسه وجها لوجه مع صاحب المكان، إنه القيصر كينان بيك ملك عائلة تورباش، و ملك

السوق التركية.. أخذته الرعشة و أجم لسانه ثم قال بعد مشقة:

- مرحبا كينان ببيك.

- تفضل بالجلوس!

- كينان ببيك.. من بعد أمرك، أنا أود التحدث معك

فيما يخص إنجي و..

- إسمها إنجي خانم، و ليس كل من هب و دب

يستطيع التحدث عنها، أو يبيت في أمرها غيري.

- لكن.. كينان ببيك ألدك شيء ضدي؟ أتتهمني بأمر

ما؟

- و من تكون حتى أبحث في شؤونك لأجد شيئا

ضدك؟

ثم نظر إليه بنظرة استصغار و احتقار، و استطرد

قائلا:

- لا تناقشني كثيرا فجدول اعمالى لا يسمح بوقت

أكثر، أما عن الموضوع فبكل بساطة لست الرجل المناسب

لها.

- و هل يعينى شيء أو..

- لا تهمنى مميزاتك أو عيوبك! لكنك لست الرجل

الذى أنشده لها، و أنت لا تتناسب مع معاييرى يا أركان..

رافقتك السلامة.

- كينان بيك أرجوك!
- أركان! أنت غير مناسب لإنجي.. لست الرجل
الذي سأزوجها إياه.
- و من هو الرجل المناسب لها برأيك و حسب
معاييرك؟

- هذا ليس من شأنك!
- لكنني أحبها..
- ترهات.. أو هام و أباطيل.. الحب..!
- ستتذوقه يوما لتعلم كنهه يا بيك.

أعرض عنه كينان في اتجاه آخر، كأنما لا يريد
متابعة الحديث معه و قال دون التفات:

- رافقتك السلامة و لا تدفني لتغيير رأيي بك.

قاطع كلامهما طرقات شبه مضطربة على الباب مما
أزعج كينان، فالتفت بوجهه نحو الباب، و مازاد الطين بلة
دخول السكرتيرة دون إذن منه فاستشاط غضبا:

- مالأمر؟ مالذي دهاك.. كيف تدخلين مكتبي هكذا؟
- كينان بيك..
- ما بك؟ تكلمي..!

حاولت الكلام فقالت و الإضطراب يملأ وجهها:

-ديلارا خانم اتصلت بك عدة مرات لكنك لم تجب

..و

فقاطعها قائلاً:

-و ما شأنك بهاتفني؟ منذ متى تتدخلين في هذه الأمور؟ هل جننت أم ماذا؟

تسمرت السيدة بمكانها لا تقوى على الحركة و كأن لسانها اعتقل و قلبها قد ذاب.. فقال لها بنفس الحدة:

-تحدثي! مالخطب؟

-إنها إنجي يا بيبك..

تطاير الشرر من عينيه، و نفرت عروق رقبته و تصابت عضلاته، و قال مزمجراً:

-مالذي دهاكم؟ كلكم تتحدثون عن إنجي! إنجي..

إنجي..

استجمعت السيدة قواها، و قالت دفعة واحدة و بسرعة:

-ديلارا خانم تقول بأن إنجي قد انتحرت بغرفتها.

أظلم المكتب عليه فجأة من وقع هذا الخبر، كأن المكان لم يعد يسعه، فترك مكتبه مسرعاً لا يدري إلى أين

يتجه، و لا ما الذي يجب عليه فعله، ثم تفتن فجأة إلى هاتفه فاتصل بعمته:

- كينان! أين أنت؟ هي لا ترد يا كينان..! ابنتي إنجي.. استيقظي أرجوك.
- عمتي! أرجوك اهدئي و اشرحي لي.. أين أنتما.. ماذا جرى؟

- لا أدري ما الذي حدث! لقد وجدتها كلستان فاقدة للوعي داخل غرفتها، و علبة الدواء فارغة بجانبها!
- أين أنتم..؟ أنا قادم.

كانت ديلارا تبكي و قد سكنها الرعب فقالت بارتعاش:

- في المستشفى! أسرع تعال أرجوك.

في هذا الوقت، أخذت الهواجس تساور أركان الذي تجمد في مكانه، و ذعر مما سمع، فعلا وجهه الشحوب و اصفر لونه..

انطلق كينان إلى المستشفى و تبعه أركان، لكن رجال كينان منعه من الدخول للمستشفى فأخذ يصيح:

- اتركوني! كينان أتركني أريد رؤيتها!

لم يولِه كينان أي اهتمام و واصل طريقه، لكن الصحفيين كانوا قد تجمعوا حوله و أعاقوا سبيله، و تناثرت الأسئلة من حوله:

- كينان بيك، ما الأمر؟

- سيد تورباش! هل صحيح أن إنجي قد انتحرت؟

- يا بيك، ما هو سبب انتحارها؟

تملص كينان من بينهم، و أسرع نحو الداخل حيث لمحته ديلارا فأسرعت نحوه و قالت باضطراب:

- ستكون ابنتي بخير أليس كذلك يا كينان؟ أرجوك

أجبنني.. قلها يا كينان قلها!

انتشر الهلع و الفرع في قلوب العائلة، و كانت ديلارا ترتجف كالقصبلة لشدة خوفها، و الدموع تنهمر على خديها، و هي متشبثة بقميص كينان الذي كان يحاول تهدئتها مع أن ساقاه كانتا غير قادرتين على حمله..

لم يسمح لأي شخص بالدخول لغرفة الإنعاش، و ما زاد الأمر سوءاً أنهم لم يتلقوا أي تعليق أو تفسير من الأطباء الذين كانوا يدخلون و يخرجون مسرعين.

كانت أروقة المستشفى ممتلئة بالمرضى، كأن كل أهالي إزمير أصبحوا مرضى و تجمعوا هنا، أحدهم كان

يحمل طفلاً إبتلع شيئاً سد مجرى التنفس لديه، فأدخلوه على جناح السرعة إلى غرفة الإستعجالات. و آخر كان قد أحضر صديقه محمولاً على سرير يتلوى من شدة الألم، سألته الممرضة التي تبدو بزيها الأبيض كالملاك عن حال صديقه فرد بأنه لا يعلم و أنه قد دخل عليه في شفته ووجده في هذه الحال، فسألته كم يوماً مر عليه و هو على هذه الحال، فأجابها بأنه لم يره منذ عدة أيام.

يبدو أن الفتاة في حالة حرجة..

جمد الدم في عروق زوجة أبيها، و غاب صوتها
فراحت تتاجي نفسها:

- مستحيل أن تموت ابنتي.. إنها لا تزال واردة ندية!

- المسكينة.. لا تزال زهرة يانعة !!

خرجت المرأة عن طورها، و ضاقت عليها الدنيا
بما رحبت، لا مال و لا جاه، لا حبيب و رقيب..

أحياناً تكون البلية جنونا، و إن لم يكن أحد أسمائها
الجنون، على أن ديلارا خانم لم تر ملجأً من الله إلا إليه،
فطفقت تدعوه، بعد أن ضرب الذهول بينها و بين الكلمات
كأنها لم تتكم قط، فلم تجد إلا هذه الكلمات:

- يارب! ابنتي المسكينة ماذا جنت..؟

حينها كان كينان يتمايل من الذلة و الإنكسار، و قد نهشته أرحاء الزمان بأنيابها، فيراه الناظر إليه كأنما ذهب بعضه و بقي بعضه..

لقد تركته الأقدار أسود الحظ لا مال و لا جاه يفرج هذه الكربة و ينفس الهم الذي ألمّ به.

و بينما هم كالسكارى و ما هم بسكارى من هول الفاجعة، لاحت في الأفق إليف شقيقة كينان منشرحة الصدر و عيناها تلمعان بومضات بهجة و سرور، و ما إن رأتها ديلارا حتى أسرع نحوها تتوسل إليها:

- إليف! أرجوك أنت طيبة هنا، اسألي أحد زملائك عن حالة ابنتي.. أرجوك! قل لي لي بأنها لم تمت يا إليف..

تتهدت إليف بجسمها المليء في التفاف، و قوامها المهيب، و راحت تنفي أمرا ما بيديها الجميلتين و قد انساب شعرها الغزير على ظهرها، ثم قالت لديلارا بابتسامة عريضة مشرقة كانت قد ارتسمت على شفثيها الورديتين الممتلئتين:

- لا تقلقي عمتي! اطمئنوا فكل شيء على ما يرام!

تهللت أسارير كينان، و ارتسمت أمارات البشر على تقاطيع وجهه و قال:

- هل أنت جادة يا إليف؟ هل هي بخير؟

أما ديلارا خانم فقد ملاً كيائها سرور فريد لم تعرفه من قبل، و نبض من السعادة لا يوصف، فرفعت رأسها و قالت:

- حمدا لله! شكرا لك يا رب..!

و بعد أن انجلى الهم عن كينان و عاد إلى رشده، التفت إلى عمته و قال:

- لم أكن أعلم بأنك تحبينها بهذا القدر يا عمتي!
- إنجي هي ابنتي الوحيدة.. و ليس لي في هذه الدنيا غيرها!

فأجابت إليف:

- المهم هو أنها بخير، و قد قال البروفيسور أنها لم تأخذ جرعة كبيرة من الأدوية، و إلا لكانت القاضية.

عاد كينان لعناده و قال:

- ستدفع ثمن حماقتها هذه! أنا..

فصاحت به عمته فجأة:

- لن تتعرض لها أبدا منذ الساعة!

- لكن يا عمتي أنت..
- كفى يا كينان! لقد انتهى الأمر.

وفي اللحظة التي كان فيها قرص الشمس يختفي
خلف الأفق الغربي، بمرأى من إنجي و ديلارا خانم التي
كانت جالسة جنب سريرها في جناحها الخاص بالمستشفى،
قالت الفتاة بصوت هادئ و رصين:

- صحيح أنك كنت جد قلقة بشأني يا خانم؟

تأملتها الخانم للحظات، ثم أجابت بصوت هادئ
حنون:

- لا وقت لهذا الآن.. يجب أن تأكلي الآن كما أوصى
الدكتور.

- لكن.. يا خانم..

- دون لكن! كلي الآن هيا..

اتكأت الفتاة على ظهر السرير، فسمعت طرقات
على باب الغرفة ثم دخل كينان مباشرة:

- أف لك! ألا تستطيع الإنتظار حتى يؤذن لك
بالدخول؟

- طالما أنك رجعت لعادتك و ثرثرتك، فأنت بخير و
لا جدوى من سؤالي عن حالتك.

التفتت إليه الخانم و قالت:

- كينان! اسمعني الآن و هذا بحضور إنجي، إنني أقول و بما أن إنجي تريد أركان، فأنا أريد موافقتك على زواجهما.

سقطت الملعقة من يد إنجي غير مصدقة لما تسمع،
و صاح كينان:

- ما الذي تقولينه يا ديلارا هل أنت جادة؟
- هي تريده فلماذا كل هذه المشاكل؟

حاولت إنجي الجلوس لكنها لم تستطع، فانقضت
مزمجرة:

- تبثون في أمري و تتحدثون في شؤوني دون
استشارتي و كأني طفلة صغيرة!
- أنت حقا طفلة! و رأيك لا يهم..
- سأنتحر في كل مرة حتى أموت و أتخلص من
وصايتك.

نظرت إليهما ديلارا شزرا و صاحت بهما:

- كينان! إنجي! انتهينا.. أما أنت يا كينان، اتبعني
فأنا أحتاجك بالخارج.

صرخت الفتاة:

- لكن يا خانم..

- هيا يا كينان! قم..

قام كينان على عجلة، فراحت تتأملهما إنجي و هما ينصرفان من الغرفة، ثم حاولت الانتصاب واقفة حتى تلحق بهما لكنها لم تستطع، و خانتها قواها فمكثت على سريرها متحرقة لمعرفة ما يدور في الخارج، ثم واصلت طعامها اجتنابا لتوبيخ ديلارا.

بعد دقائق عاد كينان و عمته التي ابتسمت قائلة:

- ممتاز إنجي! لقد أنهيت طعامك.

- عما كنتما تتحدثان؟ أنا متأكدة بأن الأمر يخصني.

ردت الخانم بارتياح مبتسمة:

- موضوع شخصي فلا تقلقي، لو كان يخصك

لأشركناك بالحوار.

- أنا أدرك جيدا أنكما تحاورتما بشأني.

ابتسم كينان كعادته و أجابها:

- كما قالت لك عمتي، و حتى لو تحدثنا بشأنك

فالأمر لا يعنينا طالما قد تحدثنا لوحدها.

- و هل أنا طفلة حتى تعاملاني بهذه الطريقة؟

ابتسمت الخانم و رد كينان:

- أنت حقا طفلتنا يا إنجي.

و أردفت الخانم قائلة:

- حسنا يا إنجي، فيما يخص أركان فإننا سنتوصل

لاتفاق فيما بعد.

- أي اتفاق؟

- لقد سمح الطبيب بخروجك في الغد، و بعدها

نتحدث بالموضوع.

قاطع الحوار طرقات إليف على باب الغرفة و قد

أطلت برأسها:

- مرحبا!

ردت الخانم بابتسامة:

- أخيرا أتيت.

- لكنني لست وحدي يا عمتي، معي توبا و يالدر، و

هما ينتظران الإذن بالدخول.

- فليتفضلا! نحن عائلة واحدة.

- مرحبا إنجي حمدا لله على سلامتكم!

-شكرا لكم.. المعذرة لأنني شغلت تفكيركم و
أتعبتكم معي.

ابتسم كينان بطلعة بهية، و مظهر أنيق تتوق إليه كل
امرأة، و تغنو لسحره الحياة و قال:

- من الرائع أنك مدركة بأنك تتعبين الجميع.
- كلامي لا يشملك وصيي العظيم.

تعالت الضحكات في أرجاء الغرفة، و عم السرور
الجميع و قال كينان:

-وصيك العظيم هو أكثر شخص تتعبينه أميرة
إنجي.

أشاحت بوجهها عنه، و ضحك الجميع بسبب
عنادهما.

عندما يؤول كل شيء إلى الوضع السيء، نجد
بعض الأشخاص يقفون إلى جانبنا بصدر رحب من دون
أي مقابل، هؤلاء هم العائلة الحقيقية المتماسكة، و لا يمكن
لأي شخص أن يتخلى عن عائلته مهما كان الأمر.

لكن ما سر الحوار الذي دار بين كينان و عمته؟ و
ما سر انقلاب رأي كينان حول زواج إنجي من الرفض
التام إلى القبول اللامشروط؟

خطبة طويلة

في صبيحة يوم ربيعي طقسه جميل، و نسيمه عليل،
كانت ديلارا خانم قد أتمت تعديل و إمضاء و ثائق إنجي
بالمستشفى.

ثم اتجهت إنجي و الخانم نحو سيارة كينان من أجل
الإنصراف للبيت، فقالت الفتاة مستطلعة:

- أليس لديك أي عمل مهم تقوم به في هذا الصباح؟

فأجابها مبتسما:

- لا داعي لتذكيرك بأنني رئيس مجموعة قابضة يا
إنجي.. و في نفس الوقت أنا وصيك.

- إذا دعني أخبرك شيئا يا سيد وصي.

- و ما هو يا أميرة إنجي؟

- حتى و لو هبطت السماء على الأرض، فإنني لن

أرضى بك وصيا على أحد من أطفالي، لأنك و بكل بساطة
ستجعله ذا نفسية معقدة.

ضحك كينان و قال:

- لا طاقة لك بالتحكم في مشيئة القدر يا أميرة، أما الأمر الآخر فهو أنك لست معقدة نفسيا رغم أنني وصيك.

لم تجد ردا على قوله، فاكتفت بابتسامتها الجميلة، لكن عبارة مشيئة القدر التي قالها كينان بدت لها كرسالة مشفرة أراد بها أمرا آخر لم تدرك كُنهه.

واصل كينان طريقه داخل ممر الفيلا بين الأشجار و الحشائش، حتى استقرت السيارة بجانب سلم المنزل.

اصطف الخدم في بهو المنزل و قاموا بتحيةة إنجي و قد تهللت أساريرهم بعودتها، و ما إن استقرت الأميرة على سريرها بمساعدة كلستان حتى بادرت ديلارا خانم بالكلام قائلة:

- ها قد بلغنا المنزل يا خانم، فعلى ما اتفقتما أنت و وصيي البارحة؟

أشارت الخانم للخادمة بالإنصراف بابتسامة لطيفة كعادتها مع الخدم ثم أجابت:

- اطمئني يا إنجي! سيكون لك كل ما تريدين.
- هل..أتقصدين أنني سأتزوج من أركان؟
- أجل.. هو كذلك.

غمرتها السعادة و لم تسع الفرحة قلبها، لكنها
سرعان ما عبست و بدت الحيرة على قسماٲ وجهها ثم
قالت:

- و هل وافق كينان؟

فردت الخانم لتطمئنها:

- و لم لا يوافق؟ هو في النهاية لا يروم إلا
مصلحتك.

- متى سننزوج إذا؟

- ليس الآن يا إنجي!

- كيف؟ لم أفهم..

- إنجي أنت لا تزالين صغيرة، لقد استجبنا لطلبك و
قبلنا تزويجك من أركان، لكن كل هذا سيكون في الوقت
المناسب.

فردت الفتاة بصوت منخفض و لطيف آملة الوصول
لمأربها:

- حسنا! موافقة.

- حسنا يا صغيرتي نامي الآن، و سنلتقي بعد
ساعتين على مائدة الطعام، لكن لا تنزلي على السلم دون
مساعدة كلستان فأنت لا تزالين متعبة.

انصرفت الخاتم بعد أن أغلقت الباب بهدوء، و
فانتبهت إنجي فجأة لهاتفها الذي يبدو أنه كان يرن منذ فترة
فأجابت:

- ألو!
- إنجي! هل أنت بخير؟
- لا تقلق أركان أنا على ما يرام.
- لقد منعني حارسك من الوصول إليك، و أنا جد
قلق عليك.
- اطمئن فأنا بخير الآن.
- إنجي حبيبتي، كينان بيك يقف عقبة بيننا و هو
رافض تماما لعلاقتنا.

ضحكت مقهقمة ثم قالت:

- لقد كان هذا البارحة، أما اليوم فإن وصيي قد
استجاب لطلبي، و يمكنك الآن أن تحضر عائلتك من أجل
الخطبة.

- حبيبتي! هل.. أ أنت جادة فيما تقولين؟
- طبعاً أنا جادة، لكنها ستكون خطبة طويلة نوعاً
ما.
- خطبة طويلة! كيف..؟

- لقد اشترط عليّ وصيي و زوجة أبي أن يكون زواجي بعمر الواحدة و العشرين، و أنا لا أرى أي غضاضة في الأمر.

- لكن يا إنجي.. خطبة لمدة عام كامل!
- أجل خطبة لمدة عام كامل.. هذا ليس كثيرا أركان،
أم أنك لا تريدني؟
- موافق! ما دام هذا يرضيك لكن عديني بالتفكير
بأمر الزواج قبل انقضاء المدة.

فأجابته بغبطة:

- حسنا، لك ذلك.. لكن في الوقت الراهن سيكون زواجنا بعد سنة.

في قاعة الإستقبال قال كينان لديلارا بصوت جهوري مرتفع و قد ضرب بكلتا يديه على الطاولة:

- إن هذه الفتاة تتحكم بنا يا عمتي! لقد طلبت من أركان أن يحضر مع عائلته لخطبتها، و قد اتصل بي والده ليتبين الأمر.

فقالت الخانم بهدوء:

- أظننا اتفقنا على كل هذا يا كينان؟
- لم يكن هذا اتفاقنا يا عمتي!

حاولت الخانم تهدئته قائلة:

- اجلس من فضلك.
- سأصعد لغرفتها و أليكن ما يكون!
- كينان! أنا التي ربيت إنجي منذ سن العاشرة، و أنا أدري بخبايا نفسها و طريقة تفكيرها.. هي تظن أنك ضدها لذا فهي تستفرك و تريد إثارة غضبك لا غير.

قالت الخانم كلامها بكل ثقة، كأنها متأكدة من أن أمر إصرار إنجي على الزواج ليس من أجل أركان، بل تريد به إنجي أمرا آخر لم يتبين بعد.

صاح كينان و انتفض قائلاً:

- اللعنة! ماذا يحدث هنا؟

أجابته بكل هدوء:

- أنت فقط وافق على حضور عائلة أركان، و اترك الباقي لي.

- فليكن يا عمتي، و لتتحلمي كل العواقب.
- نحن بين شد و جذب معها يا كينان، فقط اترك الأمر لي.

رن هاتفه فجأة فزاد توتره و قال:

- أف لها! اللعنة عليها..!
 - ما بك؟ من اتصل بك؟
 - و من يكون غير جيندا؟
 - أما انتهى هذا الموضوع بينكما بعد؟
 - جيندا لم و لن تقف، و لا أظن بأنها ستتركني و شأني.
 - أظن أنها ستقتنع و تفقد الأمل إن تزوجت أنت.
- ضحك مستغربا و كأنه نسي مشاكله مع إنجي و قال:

- أتزوج! لا أظن أنني سأتزوج أبدا.. لن أعيد هذه التجربة، ليس قبل أن أفقد ذاكرتي و أنسى كل ما عشته كمتزوج.
 - وجود حبيبة لا يعني الإستقرار يا كينان.. نيار الصغير يحتاج أما ترعاه فليس في العالم وسادة أنعم من حضن الأم.
 - معك كل الحق في هذا لكن حاجاتي و حاجات نيار لا تتناسبان.
 - و ما دخل هذا بذاك؟
 - الأمر أوضح من أن أشرحه لك يا خانم، حتى لو اتخذت لنفسني زوجة فإنها لن تصلح أبدا لتكون أما لنيار.
- فأجابت بعطف و حنان:

- أنا أحب الصغير كثيرا، و هو طفل جد محبوب
بالإضافة إلى أنه نسخة عن أبيه.

فقاطعت كلامهما إنجي قائلة:

- و هذا ما يحيرني يا خاتم!

ابتسم كينان و التفتت إليها الخاتم مستفسرة:

- أيحيرك كونه يشبه أباه؟

- في الواقع فإن ما يحيرني أن نيار الصغير طفل
محبوب رغم شبهه بأبيه.. بالمناسبة أنا أحبه كثيرا رغم
ذلك.

ابتسم كينان مجددا و قال:

- و لا تحبين أباه يا أميرة؟

- لا أملك أي إحساس اتجاهك، لكن في الغالب أنا
أكرهك.

- الكراهية و الحب وجهان لعملة واحدة، و بينهما
علاقة غامضة، و في كثير من الأحيان لا نفهم حقيقة
مشاعرنا اتجاه الآخر. إن الحب و الكراهية كما الليل و
النهار، قد نميل لأحدهما، كما قد نميل للآخر، لكن فلسفة
الأضداد هي سر الحياة. إن الحب مثل الكراهية يا إنجي
فهما رغبة في النفس، و هذه الرغبة قد تتحول إلى تأجج

عاطفي و سلوك متوقد بالأمل و الرغبة في الحياة، أو
تتحول إلى كراهية متأججة بالشر و العتمة النفسية
المظلمة.

و كأن كينان لا يزال يرسل رسائله المشفرة لها..
لكنها أجابت و قد ارتسمت علامات الحيرة على محياها:

- و هل يعني هذا أنني ربما أحبك دون أن أدرك
هذا؟

- و لم لا؟ فلا مستحيل تحت الشمس.

اعتراها ذهول شديد من جرأته، لكن ثقته الشديدة
بنفسه راققتها فتحاملت على نفسها و قالت:

- لا تكن واثقا من نفسك كثيرا يا ببيك! فأنا لست
جيندا أو تولين أو أي واحدة من جواري السلطان.
- أنت الأميرة إنجي.. لكن لا تتحديني كثيرا فأنت ما
تزالين ابنتي و تحت وصايتي.
- فلتذهب للجحيم يا كينان!

ابتسمت الخانم، وعدلت إنجي جلستها بعد أن
وضعت رجلا فوق الأخرى و استطردت قائلة:

- و بما أنك هنا يا وصيي العظيم، فلتعلم بأنني قد
طلبت من أركان أن يأتي مع أهله لطلب يدي.

تنهد قليلا ثم قال مداريا انزعاجه بابتسامة سطحية:

- أهلا و سهلا بهم.

راق الخانم رد كينان، لكن الفتاة راحت تحرق به غير مصدقة، و كأنها كانت تريد جوابا غير هذا، ثم همت بالإنصراف قائلة:

- عن إنذكم، سأصعد لغرفتي.

فقال الخانم:

- أرايت يا كينان؟ انتهى كل شيء ببساطة.

ضحك و رد مستغربا:

- إن الغريب في الأمر أن موافقتي لم تعجبها.

- أجل! هذا تماما ما أردتك أن تعرفه.. و لا يزال

هناك الكثير لتكتشفه عن إنجي في الأيام القابلة.

- لحد الآن أنا موافق يا عمتي، و قد طاوعتك فيما

تفعلين، مع أنني بحياتي ما صنعت أمرا كهذا.. لكن قسما

بالله إن مس يدها أركان بعد الخطوبة قتلته!

- أنت صعب المراس.

رن هاتفه ثانية فبدى النفور على وجهه ثم أجاب:

- نعم جيندا! ماذا تريدين؟

- أريد رؤية صغيري يا كينان.
- و من منعك من ذلك؟ يمكنك الذهاب لرؤيته الآن.
- لكنك تعلم أنه لا يكلمني.

فأجابها بنفس اللهجة:

- جيندا! أنا لم أطلب منه أن لا يحدثك، لكنه أذكي من أن يعتبرك أما مثالية له.

صاحت جيندا و الغيظ يعصرها:

- و من تكون برأيك الأم المثالية له؟ تولين مثلا!
- هذا ليس من شأنك.. و لك أن تزوري طفلك متى شئت.

و أقفل الخط مباشرة فسألته الخانم:

- ما الأمر يا كينان؟
- لا شيء مهم غير إزعاج جيندا و مشاكلها التي لا تنتهي.
- أظن أنها كلمتك عن تولين كالعادة.
- أجل، هذا أكيد فعقدة حياتها في الوقت الراهن هي تولين.

- إن رمت الحق يا كينان، فالجميع يعتقد بأنك ستتزوج تولين في نهاية المطاف.

ابتسم و رد بإنكار:

- و مالذي يوحي بذلك؟ أنت بالذات يا عمتي تعلمين ما يحدث بالتفصيل.

- لكنها ابنة أخت هيفين و خليلتها.

- و إن يكن، فهذا ليس شرطاً.

ثم انتصب قائماً و استطرد قائلاً:

- عن إذنك عمتي، لدي عمل مهم و يجب أن أنصرف.

- بالمناسبة يا كينان، هل عادت تولين من عطلتها؟

- أعتقد أنها ستعود في المساء، أشعر أنك لا تحبينها فما الخطب؟

- و هل قلت أنا شيئاً من هذا؟

توقف قليلاً عن الكلام ثم قال:

- أنت سيدة ارسقراطية مهذبة يا عمتي، لا تجرحين أي أحد تقابليه، لكن مشاعرك دائماً ما تفضحك كبكائك البارحة بالمستشفى.

ردت الخانم بلهفة و اندفاع غيورين، و قد تحركت
مشاعرها:

- اعلم يا كينان أنني أحب إنجي، حتى و إن لم تسنح
لي الفرصة لإخبارها بهذا، و أنا أعتبرها أهم شخص
بحياتي و ابنتي التي لم تتكون بأحشائي.. و كل ما يصيبها
أكتوي بناره قلبها، و من يعاديهما فأنا له بالمرصاد رغم
أنها تجهل كل هذا و لا تدرك مشاعري اتجاهها.
- لكنني مدرك لكل هذا يا عمتي، فمنذ أن كانت طفلة
شقية طائشة تنافسك على والدها كنت تحبينها و تهتمين
بها.

تنهدت بهدوء ثم أكملت بنفس اللهجة:

- هي ابنتي التي أهداني إياها القدر يا كينان.. و
سيكون لها كل ما تطلب و زيادة.
- لكن منذ متى قررت الخروج من جو اللامبالاة
هذا؟

ابتسمت وقالت بلهجة تنم عن العطف و الحنان:

- لا أعلم كم بقي لي بهذه الدنيا.. فلم النكد؟
- أطال الله بعمرك يا عمتي، و دمت سندنا لنا كلنا، و
بالمناسبة فأنت لا تزالين في ريعان شبابك.

أنتِ سَكْرَة

كانت هيفين خانم نازلة على السلم من أجل استقبال أحد زوارها، لو لبس الغنى اسما، ما لبس غير اسمها، و لو كان للكبرياء صورة أو وجه ما رأيتَ غيرها، و قد أورثها الغنى و الترف غرورا و عتدادا شديدا بنفسها.. هي نصف بين النساء، و لكنها تتصابي و كأن في جمالها شباب عدة فتيات مجتمعات، لكنه و للأسف مزور، فهي تمضي نصف يومها أمام مرآتها لتزوير نسختها، لكن لا يصلح العطار أبدا ما أفسده الدهر.

كانت تبتمس نازلة، و هي تتأمل الشابة الجالسة بالأسفل، شابة بشعر أصفر يتناسب مع بشرتها التي تضرب إلى بياض ناصع، فقالت الخانم:

- تولين! حمدا لله على سلامتكَ.
- شكرا خالتي.. أنت في كامل أناقتك كالعادة.

ابتسمت هيفين بغرور و قالت:

- و أنت أيضا عزيزتي.

جلست المرأتان معاً، و ما هي إلا لحظات حتى وضعت إحدى الخادمت القهوة و همت بالإنصراف، فصاحت بها تولين حتى ارتجّ المكان، و كأن أمرا جلا حدث:

-قهوة سوداء! منذ متى أشربها هكذا أيتها الغبية؟

و أردفت هيفين بنفس اللهجة:

- و هل يحتاج الأمر مزيدا من الشرح و التفصيل؟
لقد كتبت لكن قائمة مفصلة بأذواق جميع افراد العائلة و الضيوف.

اقشعر بدن الخادمة، و سرت فيه رعشة من الخوف و الهلع ثم اجابت:

- أنا.. آسفة.. آسفة يا خانم سأصلح الأمر فورا..

و أسرعت الخادمة نحو المطبخ دون أدنى التفاتة منها.

-من أين تحضرون هذه النوعية من الخدم يا خالتي..؟ كيف تتحملون حماقاتهن؟

- دعينا منها الآن يا تولين، أخبريني كيف هي حال أختي نازلي؟

- مامي بخير يا خالتي.

- و كيف هي مع زوجها الجديد؟

- تغمرهما السعادة مع بعض!

- أنا متأكدة بأن أختي نازلي تستطيع إسعاد زوجها،
فهي أدرى بشؤون الرجال، و قد ربّتكِ عل هذه الطريقة
فأرجو ألا تخيبي ظنها.

ردت تولين و قد بدا عليها الإستياء و العبوس:

- لو كان كذلك، لكنك أمّا لنيار بدل جيندا الحمقاء.

- الظاهر أنك لن تصفحي عني أبدا بسبب تزويجي

لكينان منها.

- إن رمت الحق يا خالتي، فلا أظني فاعلة هذا إلا

إذا..

فقاطعتها هيفين و اختلقت كذبة حتى تتملص من

عتاب تولين لها فقالت:

- لقد كنت تعيشين بصحبة أمك بباريس، في حين أن

كينان كان يريد زوجة تهتم به، إضافة إلى حصة الأسهم

التي كانت تمتلكها جيندا بالمجموعة.

- كان يمكنني البقاء معه آنذاك.. المهم أنا الآن أعيش

هنا، و أعمل هنا، و أنت تعلمين بأنني لم أبق هنا من أجل

العمل كما أدّعي، بل أنا هنا من أجل كينان فقط.. أنا أعشقه

يا خالتي، كينان روحي و كل شيء بالنسبة لي.

- كوني مطمئنة يا تولين، سأزوجك منه تماما كما فعلت مع جيندا سابقا.

تلقت الفتاة يمناً و يسرةً، و تريتت متململة ثم قالت:

- لكن الحقيرة جيندا تعمل على إعادته إليها.
- هذا من سابع المستحيلات، ليس و أنا على قيد الحياة.

وضعت الخادمة القهوة بالحليب كما طلبتها تولين، و ما إن انصرفت حتى دخلت خادمة أخرى و قالت:

- هيفين خانم، جيندا خانم هنا و هي تطلب الإذن بالدخول.

أطلت جيندا برأسها من الباب بشعرها الفاحم القصير و تقاسيم وجهها الجميلة و قالت:

- ها أنا ذي قد دخلت!

قطعت تولين و خالتها كلامهما فجأة، و راحتا تحدقان بجيندا بشدة، كأنما قد رأتا شبحا و نسيتا الترحيب بها أو أنهما فعلتا ذلك عمدا. سكتت جيندا هنيهة ثم قالت:

- يبدو أنكما كنتما تتحدثان عني!

أجابتها تولين بابتسامة متكلفة يملؤها الحسد و
الغيرة:

- و من تكونين حتى نتعب أنفسنا بالحديث بشأنك؟
- أنا جيندا خانم! التي بذلت خالتك كل مجهودها و
سلكت كل السبل من أجل زواجي من ابنها، و أنا الآن أم
صغيره الوحيد، و أعلمك بأنها مسألة أيام فقط و نعود
لبعضنا يا عزيزتي.

أجابتها تولين محتدمة:

- و هذا بالضبط ما ناقشته مع خالتي، هي تشعر بندم
شديد بسبب خطئها.
- أنا أعتذر تولين عزيزتي، فلقد سبق السيف العذل،
تزوجته و انتهى الامر.

فانبرت تولين قائلة بصوت أجش صارم:

- اللعنة! يا للمرأة المقيتة! يا للمرأة الخسيصة!

فحدجتها جيندا بنظرة يملؤها الشر و صاحت:

- أنت! أيتها الحقيرة..

- احترمي نفسك و هذي ألفاظك!

- أحترم نفسي! و مع من؟ مع طفيلية مثلك تريد أن
تفرض نفسها على رجل لا يعيرها أدنى اهتمام!

ردت عليها تولين بصوت سريع، و قد جفت كل
ينابيع الإنسانية من قلبها:

- لا يوجد طفيلية حشرة غيرك! أيتها الحثالة
الساقطة.

صرخت هيفين و قد ضاقت درعا بهما، فوجهت
إليهما تقرّيعا شديدا قائلة:

- كفى! كفى! فلتصمت كل واحدة منكما!

فرددت تولين متلعثمة:

- ألا تسمعين ما تقوله عني يا خالتي؟

ثم قالت جيندا بحدة:

- خالتك تعلم أن كل ما قلته صحيح.. أليس كذلك؟

لم تعر هيفين كلامهما انتباهها، و واصلت كلامها
بنفس اللهجة:

- ماذا تريدان يا جيندا؟ ما سبب قدومك؟

- اطمئني فأنا لم آت للتسول، بل أتيت لزيارة
صغيري و زوجي يعلم بهذا.

نظرت إليها تولين باحتقار ساحق و قالت:

- زوجك! عن أي زوج تتكلمين؟ أم أنك تزوجت من
جديد و نحن لا ندري.

- لا! لا بل تزوجت بعلمكم من الرجل الذي تحبينه
وقد تم كل هذا على مرأى منك.

وثبت تولين كمن أصابه مس، و صفعت جيندا
صفعة ارتجت لها القاعة، فأمسكت جيندا بيدها و دفعتها
عنها بعنف بعد أن صفعتها هي الأخرى فردت الصاع
صاعين.

انهارت تولين على الكنبه الجلدية السوداء بجانب
خالتها، فهمت جيندا بالحقاق بها للنيل منها لو لا أن هيفين
صاحت و أنقذت الوضع باستدعائها للخادمت، اللواتي
وصلن في الوقت المناسب و أنهين الصراع.

انصرفت جيندا من المنزل دون رؤية صغيرها،
فتحولت هيفين إلى تولين و وبختها قائلة:

- تولين! هذا ليس أسلوبنا و لا يليق بمقامنا!
- لكن.. أنا يا خالتي..

- اصمتي! لا أريد سماع صوتك ثانية!

أنت تولين تحت وقع هذه الكلمات، و ذرفت عيناها
الماكرتان دموعا غزيرة، لكنها مزورة مصطنعة لا تمت
للمشاعر بصلة.

بعد عدة ساعات، دفع كينان الباب و دخل يهدر
كالإعصار، فانتفضت تولين من الفزع، فقال صارخا
بوجهها:

- عاهرات! ساقطات! كلاكما.. و تدخلان في صراع
بالأيادي.. مالذي دهاكما؟ أنا أحدثك يا تولين!

تصنعت البكاء كعادتها، و أجابت بارتعاش:

- لا ذنب لي في هذا، هي التي استفزتني يا كينان..
لقد جرحت كرامتي.

- اغربي عن وجهي، فأنا لا أطيق رؤيتك، و لا أريد
سماع صوتك!

- انصرف كينان مسرعا نحو الخارج، و واصلت
تولين نحيبها و تمثيلها فقالت خالتها:
-- أ أعجبك هذا؟ هل ارتحت الآن؟

* * *

كان الفصل بإزمير ربيعيا، السماء زرقاء صافية، و شمسها مشرقة، و روائح أزهار حديقة المنزل الزكية تمتزج بالهواء، و تملأ الصدر انشراحا، و ألوان الربيع الزاهية تداعب الأنظار فتريحها.

و حين كانت الشمس تتوسط كبد السماء، ابتسمت ديلارا خانم للخاديمات الواتي كن منهنمكات في جمع أطباق الطعام، و قالت بلطف:

- شكرا لك كلستان، و أنت أيضا يا بيرنا، لقد كان الطعام طيبا، و مذاقه رائعا، أليس كذلك يا إنجي؟

فأجابت إنجي و ثغرها يضيء بابتسامة ساحرة تدل على انها تعافت تماما من صدمتها:

- أجل! شكرا لكما حقا، لقد كان الطعام شهيا.

إنجي تعلم أن زوجة أبيها تريدها أن تكون مهذبة مع الجميع، لأن الخانم هي أكثر أفراد العائلة احتراما و تقديرا بشهادة الكل، و إنجي تدرك هذا جيدا، رغم أنها و لحد الآن لم تكتشف حقيقة مشاعرهما اتجاهها.. أهي كراهية أم حب أم لا مبالاة و عدم اكتراث لا يسمن و لا يغني من جوع.

أحنت بيرونا هامتها و قد راقها كلام إنجي و
إطراؤها، يبدو أن ابتسامتها التي كانت دائما ما تخص بها
الخانم أصبح لإنجي منها نصيب.

انتقلت إنجي و الخانم من قاعة الطعام إلى قاعة
الإستقبال، و بعد أن تم تقديم القهوة، راحتا تتجادبان
أطراف الحديث ففاتحتها الخانم في أمر الخطبة قائلة:

- نحن على أتم الإستعداد لاستقبال ضيوفنا.

- أي ضيوف تقصدين يا خانم؟

فأجابت بابتسامة قائلة:

- أنسيت أنك تنتظرين ضيوفا؟ أقصد عائلة أركان
طبعا.

- لا! لم أنس أمرهم.

- حسنا إذا! ألا تريدين الذهاب للعمل بعد الخطبة؟

- بلى! سألتحق بالمجموعة، و قد تناقشت مع توبا

حول الموضوع.

- مؤكدا أنك ستحبين العمل كثيرا هناك، و قد كان
والدك رجل أعمال ناجح، و لا أنسى دائما مقولته الشهيرة
التي يقول فيها "ليس للأمر بصاحب من لا ينظر في
العواقب". أما والدتك فقد كانت مهندسة متفوقة جدا في
عملها و حياتها و..

فقاطعتها الفتاة بصوت أجش:

- ماما! و هل تذكرينها يا خانم؟
- و هل نسيتهما يوما حتى أذكرها؟ كانت إيفان
صديقة طفولتي.

فردت الفتاة بلهجة لا تخلو من التعجب:

- أنت يا خانم! أقصد أنت كنت صديقة ماما؟
- أجل، أجل و قد كنا صديقتين حتى وافتها المنية.
- لكنك لم تذكرني هذا الموضوع أمامي قط.. و ما
عرفتُك إلا بعد زواجك من بابا!

نظرت إليها الخانم بأسى و عبوس و قالت:

- لكنك لم تسأليني عن هذا يا إنجي، و منذ أول يوم
لي بهذا المنزل، كنت تعتبريني العدو و زوجة الأب
الشريرة التي كنت تحاولين مضايقتها بشتى الطرق.

فاجأها كلام الخانم و لم تدر ما تقول، لكنها اجابت
بتعثر:

- أنا! لكن...

- لا عليك يا إنجي فقد كنت متفهمة للوضع.
- و هل حقا كنتما صديقتان.. أقصد هلاً حدثتيني عن
صداقتكما.

فأجابت الخاتم بصوت حنون:

- لقد كانت إيفان توأم روحي، صديقة طفولتي و
شبابي. أما سبب عدم مشاهدتك لي، فهذا لأنني انتقلت
للإقامة بنيويورك قبل ولادتك، و ما عدت إلى تركيا إلا
بعد وفاة إيفان، و قد كانت عودتي من أجلك فقط.

اندهشت الفتاة و تملكها الفضول لمعرفة المزيد
فقالمت متسائلة:

- من أجلي أنا!؟

- أجل يا إنجي! فقد حملتني إيفان مسؤوليتك قبل
وفاتها، و أقسمت عليّ بأن أعدها ففعلت.

أرسلت الخاتم دموعها على خديها في صمت، و
ظهرت خلف ملامحها نظرة حزينة منكسرة، ثم واصلت
كلامها و هي تغالب شجونها:

- كنا معا طيلة الوقت نتقاسم الأفراح و الأحزان، و
كنا دائما نحاول أن نسرق من أيامنا لحظات جميلة، و
حاولنا دائما أن نجعل تلك اللحظات طويلة.. لقد حاولنا
تحقيق سعادة و حب أبديين، حاولنا دائما أن نبقي معا لآخر
العمر، و لم يكن يخطر ببالنا قط أن اللقاء لا يدوم.. لكن
القضاء و القدر كانا و لا يزالان سيذا الموقوف، فلم تكن
بيدنا حيلة أمام تصارييف القدر.

تأسفت الفتاة، و قد أورثها هذا الخبر جزعا و كآبة و
ألم لسانها فلم تنبس ببنت شفة، بل بقيت تتأمل وجه الخانم
الذي كان حسرة و شجنا.

إن لسان الفراق الدموع، و حديثه الصمت و نظره
يجوب السماء.

هو القاتل الصامت، و القاهر الميت، الجرح الذي لا
يبرأ و الداء الحامل لدوائه.

ساد الصمت برهة من الزمن، ثم استطردت الخانم
كلامها بين دموعها المترققة، التي تأتي إلا أن تحضر
هذا المجلس و تشارك في هذا الحوار المهيّب:

- لقد بلغني خطاب من إيفان تخبرني فيه بأنها لم
تكن على ما يرام، و أخبرتني بأن طبيبها ألح عليها بتنزيل
الجنين و إنهاء الحمل فورا، لأن قلبها لم يكن بحالة جيدة،
و ذلك الحمل سيؤدي بها إلا ما لا يحمد عقباه.. لكن
المسكينة أخفت الأمر برمته عن والدك، و أوصتني بك و
حملتي مسؤوليتك إن حدث لها أي مكروه، و هي لم تكف
بهذا فقط، بل تركت لوالدك وصية لأجل الزواج مني، و
أخذت منه العهود و المواثيق بأن يفعل و يجيب طلبها.

قاطعتها الفتاة متلهفة لسماع أمور لم تسمع بها من
قبل فقالت:

- أكملني أرجوك! أكملني.. ما الذي حدث بعد ذلك؟
- حاولت أن اثنيتها عن الموضوع، و اتصلت بها
مرارا عديدة، لكنها كانت عنيدة مثلك فرفضت كل كلامي..
هددتها بأن أعلم والدك بالموضوع، لكنها استحلقتني ألا
أفعل.

سكتت الخانم و ضربت صدرها ذاهلة، و صرخت
صرخت اليائس المصروع، و راحت تجهش بالبكاء:

- أشعر بأنني السبب في كل ما حدث.. أشعر بأنني
أنا من قتلها..!

انهمرت دموع الفتاة، و تقطعت أحشاؤها حزنا و
لهفا، و زفرت زفرة كاد ينشق لها جسمها و قالت:

- لكن! أنت لا ذنب لك في هذا كله.. هي التي
عاندت و أصرت..

ثم استطردت إنجي كلامها مستعطفة و مثيرة حنان
الخانم و شفقتها:

- أنا!.. أنا أسفة على كل ما سببته لك من متاعب،
أسفة لأنني لم أحترمك، و لم أكن مهذبة معك، و ظننت بك
الظنون.. لم أكن أبدا البنت التي لطالما حلمت بها، و التي
ضحيت بحياتك من أجل حياتها..

تصبرت الخانم و تلقت كلام الفتاة بصدر رحب، ثم ابتسمت بين دموعها و قالت:

- أنت بالنسبة لي أفضل فتاة، و أفضل من الفتاة التي كنت أحلم بها.

- هل يعني هذا أنه و بعد كل الذي صنعته من سوء المعاملة تصفحين عني؟

ساد الصمت برهة، ثم وجهت إنجي نظرة أمل و استعطاف للخانم و قالت متلعثمة:

- هل يمكنني أن أقول.. أعني أن أناديك ماما؟

لا حت على شفتي الخانم ابتسامة رقيقة، و ظلت الدموع تنترق على خديها، و هي تصغي إلى كلمات الفتاة بقلبها و كيائها و عقلها.. لقد كانت هذه الكلمات بلسما لكل جروحها.

حين تؤلمنا الجراح، و تشجيننا الآلام، و يبكيننا الفشل فلا يجب حينها أن نياس..

فالليل يعقبه النهار، و الجرح لا بد له من الإلتئام..

ألم تر أنّ الغيوم تبكي، فتضحك الأرض..

و القمر دائما مبتسم رغم حصار الظلام..

شتان بين اليأس و الأمل..

و شتان بين الحياة و الموت.

- هل تعلمين يا إنجي بأني طوال كل هذه السنوات التي قضيتها تحت سقف هذا المنزل، كنت أصحو كل صباح، و أدعو الله أن أسمع هذه الكلمة منك، إنها قليلة جدا بالنسبة لك، مجرد أربعة حروف.. و كم هي كثيرة بالنسبة لي، هي الدنيا كلها.

- لم تتمالك إنجي مشاعرها، فوثبت نحو الخانم و وضعت رأسها الصغير على صدرها، و تشبثت بملابسها من الخلف كطفلة صغيرة، و صرخت و هي تجهش بالبكاء:

- ماما! .. ماما!

ما إن سمعت الخانم تلك الكلمة التي طالما حلمت بسماعها، حتى زال كربها، و انسرى همها، و سرت الإبتسامة الوداعة مسراها في تقاسيم وجهها.

واصلت الفتاة كلامها، و هي لا تزال تصارع دموعها:

- أنت! .. أنت! لم تكوني أبدا بعيدة عني، و لا غير مبالية كما ظننت دائما. لقد كنت دائما بقربي، تتابعين كل حركاتي و سكناتي، كنت تساندينني دائما حتى في

أخطائي، كنت تتصلين بي يوميا أيام الجامعة، تتفقدين أحوالي و تزوريني شهريا.. آه كم كنت حمقاء! لم أدرك مشاعرك اتجاهي، و ظننتك تكرهيني.. دائما ما حميتني و لم يجرأ أي أحد على الإقتراب مني.

دخلت الإبتسامة ثغر إنجي و قد تذكرت حادثة
فقالت:

- هل تذكرين يوم قدتُ سيارة أبي وأنا بعمر الثانية عشر؟

ضحكت الخانم و قالت:

- كدت أفقد عقلي من شدة خوفي عليك يومها!
- أذكر أنك أسرعت خلفي، و تحملت بعدها الذنب عني عند اصطدام السيارة بالجدار، فقلت لباا أنك أنت من كان يقود.. و من شدة حمقي و طيشي، قلت لك بأن أي شيء تقومين به اتجاهي لن يغير حقيقة أنك زوجة أبي، و لن تكوني أبدا بمرتبة ماما.

ندمت إنجي على كل طيشها و استطردت قائلة:

- أنا آسفة جدا ماما! أرجوك سامحيني أرجوك!

ضمتها الخانم إليها بحنو و قالت:

- الأم تسامح دائما يا صغيرتي..

ضمت كلاهما الأخرى، و بقيتا على هذه الحال
ساعة من الزمن، كأنما تريدان تعويض كل ما فاتهما من
حنان و حب و عطف، و بعدها نظرت الخانم للفتاة قائلة:

- أنت كل ما أريده من هذه الحياة يا صغيرتي.. أنت
تشبهين أمك لحد كبير جدا حتى في عنادها.

- لكن ماما كانت جميلة!

- أنت أجمل منها يا صغيرتي، أنت سكرة يا ابنتي!

نيار الصغير

في صباح اليوم التالي، جهز كينان نفسه للخروج للعمل، و عند خروجه من غرفته التقى نظره بنظر تولين فأشاح عنها بوجهه. تصنعت البكاء كعادتها محاولة استئثاره شففته قائلة:

- آسفة يا كينان! هي التي استفزتني فصرت كالمجنونة، و لم أستطع تمالك نفسي من الغضب.

فصرخ بوجهها قائلاً:

- هذا آخر تحذير لك يا...!

أبدت ابتسامة مأكرة و قالت:

- حاضر! حاضر، أمرك كينان.. سأبتعد عن طريقها نهائياً. أعدك بأنني لن أتعرض لها بعد اليوم.

حرك رأسه دون أن ينبس بكلمة، و واصل طريقه للخارج مسرعاً.

- ألن تفطر معنا؟

أوما لها بالرفض دون كلمات.

- كينان! أنت تحتاج للإهتمام بنفسك..

واصل طريقه، لكنه تذكر أنه نسي توديع طفله بسبب ثرثرة تولين، فدلف لغرفة الصغير حيث كانت الخادمة تساعده في تحضير نفسه للذهاب للمدرسة. نيار طفل ذكي جدا، و قد دخل المدرسة قبل السن القانونية بسبب ذكائه المتوقع.

لمح نيار والده فهتف مسرورا:

- بابا!

و أسرع نحوه، فرفعه كينان عاليا و هو يضحك:

- حبيبي! صغيري الرائع، أنا آسف فأنا لم أرك البارحة لأنني عدت متأخرا.

- لا عليك بابا! أنا أعلم أن أعمالك كثيرة.

- لقد كبرت و صرت تفهم الأمور جيدا حبيبي.

- أجل! لكنك ستدفع غرامة تأخرتك.

ابتسم كينان و قال مستطعلا:

- و ما هي الغرامة؟
- ستأخذني لمنزل جدتي ديلارا وإنجي مساء اليوم،
و تسمح لي بالبقاء حتى نهاية العطلة الأسبوعية.
- و هل تحب البقاء معهما يا نيار؟
- أجل! أجل بابا، جدتي ديلارا طيبة جدا و حنونة،
أما إنجي فأنا أحبها كثيرا، و هي تشعرني بأني أخواها
الصغير.
- أخواها!
- طبعا فهي تلاعيني و تهتم بي، و تسألني عن كل
ما يعجبني فتوفره لي.. أنا أحبها بابا ليتها كانت ماما!
- اندهش كينان من كلمات الصغير البريئة و أسقط في
يده، فسكت هنيهة يفكر بكلماته العفوية، ثم قال متمتما
يناجي نفسه:
- و لم لا! هي تصلح لك و لن توجد امرأة أفضل
منها، حتى أنها تحبك حبا غير مشروط يا صغيري.
- ظل يتحسّر في نفسه ثم أجاب صغيره قائلا:
- حسنا! موافق.
- رائع ! هذا رائع، شكرا بابا.

تعلق الصغير بقميصه الناصع البياض و قبله على
خده، ثم انصرف كينان إلى عمله و قد تركت فيه كلمات
الصغير أثرا.

داخل مبنى، المجموعة وقف الجميع لتحية الرئيس و
هو يتقدم بشبابه و كامل أناقته. الجميع يلتفت، و قلوب
نساء المجموعة تكاد تقفز انجذايا لعطره الفاخر، و
ارتسمت علامات الهيبة على الجميع.

بلغ مكتبه و اتصل مباشرة بعمته ليعلمها بأن عائلة
أركان سيحضرون في المساء، فأعلمت ديلارا إنجي بذلك
ثم قالت لها:

- إنجي! لست أقصد التدخل بشؤونك، لكنني أود
معرفة إن كنت متأكدة و واثقة من هذه العلاقة.
- و لم السؤال ماما؟
- لا عليك، هذا سؤال عادي يتم طرحه على كل فتاة
مقبلة على الزواج.
- أجل، أنا موافقة على الزواج منه.
- موافقة أم مقتنعة؟ هل تحبينه يا إنجي؟
- أنا لا أحبه و لا أظن أن هناك شيئا اسمه الحب، أنا
أراه مناسبا لي هذا كل شيء.
- صغيرتي! تتزوجين دون حب؟
- لن أحب زوجي أبدا، و أنا مدركة لهذا جيدا.

- و لكن.. لماذا كل هذا التشاؤم؟
- حتى أنت قبلت الزواج من بابا دون حب.
- لكنني كنت أحبك أنت، و هذا يكفيني للزواج من والدك.

النفس الإنسانية و المشاعر لا قواعد لها، فهي جد معقدة، و لا يمكن لأحد أن يخط لها مسارا معيناً، فكما أن هناك زيجات بنيت على أساس الحب المتبادل و كان مصيرها الدمار، فإن هناك كثيراً من العلاقات الزوجية التي بنيت على أساس الثقة و التفاهم بعد الزواج، و تكللت بالنجاح.

و لن توجد علاقة أحسن من تلك التي تبني على أساس الحب، و تتوج بالثقة و التفاهم بين الحبيبين..

إن الأمر جد محير، كيف لإنجي أن تحدد شريك حياتها؟ إن كانت فعلاً لا تحبه فكيف تستطيع الزواج منه؟ أم هو مجرد عناد كعناد أمها؟

أجابت إنجي الخاتم قائلة:

- لا تقلقي ماما، سنة كاملة ستكونان كافية للتفكير و الروية.

- لكن عديني يا صغيرتي بأنك إن أحببت شاباً آخر، فإنك تتراجعين عن قرارك هذا.

تتحدث الخانم و كأنها تدرك بعض الخفايا حول
مشاعر إنجي، أو ربما فقط تجربتها بالحياة هي من تدفع
بها لقول هذا.

فردت إنجي بابتسامة:

- أنتم تتحدثون دائما عن توافق العائلات أكثر من
الحب، أليس غريبا حديثك عن الحب؟
- يا صغيرتي! إذا وجدنا ضالتنا في الحب، و توفر
معها توافق فكري و اجتماعي فذلك مناط الثريا.. لكن
عموما يا حبيبتى، لو وجدت ضالتك بالحب فلتعلمي بأنني
سأكون دائما بجانبك، و حدسي يقول بأنك ستجدين ضالتك
لا محالة.

- هل هذا يعني أنك ستساندينني، حتى و إن كان
حبيبي شابا فقيرا؟
- حبيبك ماذا؟

التفتت إنجي و الخانم و قد دخل كينان و قاطع
كلامهما، فأسرع نيار الصغير نحو إنجي فضمته بشدة و
قبلته و هو يهتف:

- إنجي!
- نيار! اشتقت لك كثيرا يا صغيري.

- و أنا هنا يا إنجي فقط لأنني اشتقت لك، و سأبقى معك طوال عطلة نهاية الأسبوع.

ثم أخذته الخانم بين ذراعيها و قالت:

- صغيري نيار! ممتاز لقد صرت أطول من المرة السابقة.

ضحك نيار و قال:

- أجل، و قريبا سأصبح كبيرا مثل بابا!

فابتسم كينان و قال:

- لا تكبر يا نيار! إنه فخ.

فقاطعته إنجي قائلة:

- لكن احذر يا نيار أن تكون مثله تماما.

التفت إليها كينان و قطب حاجبيه قليلا، فابتسمت ديلارا و طلبت من الخادمة أن تهيء غرفة نيار التي اعتاد النزول بها، فاصطحبته الخادمة معها و حملت جميع لعبه.

توجه كينان بالكلام إلى إنجي قائلاً:

- عمّ كنتما تتحدثان؟

- بشأن لا يعنك يا وصيي العظيم!
- أنت مخطئة في هذا يا أميرة إنجي، كل ما يخص حياتك فهو من شأني.

تأملته بنظرة غامضة ثم قالت:

- كنت أحدث ماما حول بعض الأمور الخاصة.

حقق فيها كينان غير مصدق لما سمعه ثم رد:

- ماما! أهذا حقا ما سمعته أم أنني تخيلت هذا؟

ضحكت الإثنتان ثم أجابت إنجي:

- أجل ماما! هل لديك مانع في هذا؟

- إطلاقا!

كانت عينا ديلارا تشعان بهجة و سرورا، أما كينان فأجاب قائلا:

- اليوم سيأتي أركان مع عائلته.

فأجابته و هي تحاول إغاضته، أو تحاول أمرا آخر غامضا فقالت:

- أنا أعلم هذا، أخبرتني ماما بهذا، و أنا جد سعيدة بذلك.

- ممتاز! و إن كنت أشك بأمر سعادتك، فأمارات السرور غير بادية عليك.

- هل تريدني أن أرقص فرحا مثلاً؟

عاد نيار من غرفته فجأة و قال:

- إنجي! لقد قالت لي الخادمة أن اليوم يوم خطوبتك

فهل هذا صحيح؟

فأجابته ضاحكة:

- أجل حبيبي هو كذلك.

هذه أول مرة تنادي فيها إنجي نيار الصغير بكلمة

حبيبي، رغم أنها كانت تكتفي قبل هذا بكلمة صغيري، حتى أركان لم يسمع منها هذه الكلمة قط..

أجابها نيار مقطبا حاجبيه:

- أيعني هذا أن رجلا ما سيأخذك منا؟

- مستحيل! فإن قلبي لا يطاوعني على تركك فلا

تقلق.

- لا تراوغي يا إنجي، كل المتزوجات يذهبن مع

أزواجهن.

نظر بعينه للأعلى كأنما كان يفكر بشيء ما، ثم ابتسم فجأة ابتسامة غامضة تنم عن فكرة ما قد طرأت بباله و قال:

- بابا! بابا أرجوك أخطبها لي.

ضحك الجميع من كلام نيار و أجابه كينان مقهقها:

- هذا غير ممكن يا صغيري.
- لماذا يا بابا؟ لا أريد لإنجي أن تذهب بعيدا، بل أريدها أن تعيش معنا.
- لكنك لا تزال صغيرا، و هي أكبر منك بكثير.
- إذا اخطبها أنت!

ساد الصمت برهة من الزمن، كأن الكلام قد وقع على أمر غامض كل فرد من أفراد العائلة يفهمه على طريقته، و يراه بمنظار يتناسب مع موقعه في العائلة. لا يزال الصمت متواصلا و إنجي طأطأت رأسها، أما كينان فهو يتجنب النظر بعينيها، إلا الخاتم كانت يبدو و أن كلام الصغير قد راقها بطريقة ما.

كسر ذلك الصمت الغامض صوت نيار هاتفا:

- بابا! أرجوك افعل.

رد كينان الذي يبدو و أن الصغير قد أوقعه بورطة:

- هذا أيضا غير ممكن يا نيار، هي صغيرة و أنا كبير.

- لكن معظم النساء صغيرات بالنسبة لأعمار أزواجهن.

ابتسمت الخانم، أما إنجي فقد طلبت الإذن بالإنصراف وقالت:

- أريد أن أذهب لغرفتي، أراك لاحقا نيار.
- حسنا إنجي، لكن أرجوك لا تتأخري أود البقاء معك.

تنهد كينان و قال باسم:

- حتى أنت يا صغيري يجب أن تنام، فأنت لم تأخذ قيلولتك اليوم.
- حاضر بابا.

عانقه كالعادة، و انصرف لغرفته فقالت الخانم لكيان فجأة:

- إن نيار لا يرضى بأن تكون إنجي لرجل غريب.
- لا تبالغي يا عمتي، هذا مجرد لعب و تمثيل من طرفها.

- و إذا نجح الأمر؟
- لا تقلقي يا عمتي، فهذا مجرد تمثيل من أجل إغاضتي فقط.

فسألته الخانم و هي تحاول تلافى الموضوع:

- كيف حال تولين؟
- تولين الجميلة؟
- و هل تراها جميلة؟
- ما أراه غير مهم يا عمتي.

فابتسمت قائلة:

- لكن بالنسبة لها، فما تراه أنت هو أهم شيء.
- و هذا أيضا لا يهمني.
- حقا يا كينان، رأي من يهكم إذا؟

فغمغم و وجهه يشرق بابتسامة لطيفة:

- أكيد أن هناك رأي سيهمني يوما ما.
- أنت لا يهكم إلا رأيك.. و إن كنت ذكيا فإنك لن تعيد تجربة جيندا مرة أخرى.

رن هاتفه فجأة فقال مقهقها:

- ها هي قد حضرت جيندا! ألو نعم..

- نعم كينان، أريد القدوم لزيارة نيار فأنا لم أراه
المرّة السابقة.

- نيار ليس بالمنزل.

- أين هو؟

- هذا ليس من شأنك جيندا!

- كينان! هل تريد أن تحرمني من فلذة كبدي؟ فقط
بسبب مناوشتي مع حبيبتيك تولين.

أقفل كينان الخط مباشرة كأن كلامها قد أزعجه، و
أدركت الخاتم ذلك فقالت متعجبة:

- أنا حقا محتارة في رغبة النساء فيك، بالرغم من
كونك رجلا جاف الأحاسيس، و تعاملهن بخشونة، لا أدري
هل السر في وسامتك أم في أمر آخر.

- بكل بساطة لأنني أحسن تدليلهن في السرير.

- تافه! سافل! هل سبق و قال لك أحد ما هذا الأمر؟

إن ظننت يا كينان أن الأنثى مجرد جسم، فإن رجولتك
مجرد إسم.

فقال و هو يهز كتفيه:

- علي العودة للعمل، لكنني سأحاول الحضور
مبكرا حتى أحضر لعبة ابنتك المدللة.

- قد لا تكون لعبة!

- لعب و تصرفات طفولية لا معنى لها.
- إنجي لم تعد طفلة يا كينان، و كل تصرف له معنى
وله ما بعده.

- لو أصبحت فعلا ناضجة، لكنك أول من يعلم بهذا.

- و لِمِه؟

- لأنني وصيها و المسؤول عن كل شؤونها.

- أتعني أنك والدها؟

ابتسم كعادته و قال:

- أجل! هو ذاك يا عمتي، وهل تعرفين لها من
والد غيري؟

- أبدا! فقط استمر بهذا الدور، و لا تغير رأيك
مستقبلا.

- ليس لدي أي سبب يدفعني لتغيير رأيي.

- حسنا! سيأتي اليوم الذي أذكرك فيه بكل أقوالك إن
كان في العمر بقية.

ابتسم متعجبا و قال:

- لا أفهم شيئا مما تقولين يا عمتي.

- الأهم من كل هذا، أن تفهم نفسك و تسبر
أغوارها.

توقف قليلا عن الكلام مفكرا بما قالتها الخانم، ثم قال
في فكره:

- ما الذي تقصده عمتي؟ كأنها تعلم سرا ما لا تريد
مشاركتي به.

ثم قام و انصرف خارجا، و هو لا يزال بين شد و
جذب يقلب كلامها علَّه يجد له تفسيراً.

الخطبة

في منزل هيفين، قهقهت تولين ضاحكة، و قالت
بلهجة لم تخل من تهكم:

- اليوم هو يوم خطبة إنجي!

فأجابتها إليف:

- أجل، هذا صحيح.

- ممتاز هذا رائع، على الأقل سيرتاح منها كينان و
يتفرغ للإهتمام بنفسه.

فردت توبا مدفوعة بروح الاستهتار:

- أتقصدين أن كينان سيتحرر بعد زواج إنجي،
فيتزوج هو أيضا؟

- أجل هذا تماما ما أقصده.

فقالت توبا و هي تهز كتفها:

- لا أظن ذلك عزيزتي تولين، من المستحيل أن
يتزوج أخي كينان مرة أخرى.

فعارضتها تولين قائلة:

- بلى! كينان سيتزوج و سيتزوجني أنا بالتحديد.

لاح الإنكار في وجه توبا، ثم التفتت إلى أختها و ابتسمت بنهكم، فبادلتها إليف نفس الإبتسامة مما أغاض تولين التي قالت بصوت طفولي مرتعش:

- هل رأيت ما تفعلانه بي يا خالتي؟ إنهما تسخران مني و تهزان من كلامي.

- لا تبالغي يا تولين! توبا و إليف لا تهزان منك.

- تزعم كل منهما أن كينان لن يتزوجني أبدا!

- و هل ينقصك شيء حتى يرفضك كينان؟ فقط ثقي بنفسك و سيكون لك ما تريدين.

التمعت عينا تولين من كلمات خالتها، لكن إليف قطعت فرحتها قائلة لأمها:

- لا تخزي تولين بالأحلام و الأوهام يا ماما، فأخي مصر على عدم الزواج، و قد قال هذا مرارا و تكرارا، و لا يزال يردده إلى اليوم.

فردت تولين بحمية انتقادية:

- سيغير أخوك رأيه.. و سيتزوجني!

- ربما! لا مستحيل في هذه الحياة.

ثم أشارت توبا لأختها براسها و انصرفتنا مع بعض.

* * *

في المساء وصل الضيوف لمنزل ديلارا خانم، كان الجميع يجلسون بقاعة الضيوف، و إنجي بينهم ملتزمة الصمت، فقال والد أركان مبتسما:

- كينان بيك، إنه لمن دواعي سروري أن أطلب يد ابنتكم إنجي.

التزم كينان الصمت لبرهة من الزمن ثم أجاب:

- باريش بيك، في الواقع إن اجتماعنا اليوم لا يعتبر خطبة رسمية كما تظنون، اجتماعنا اليوم هو مجرد تعارف بين ابنتنا و ابنكم بشكل رسمي.

ابتسمت والدة أركان و قالت:

- كينان بيك، ابنا لا عيب يشينه أو ينقص من قدره، حتى تقوم بوضعه تحت المراقبة.

التفتت كينان نحوها و قال:

- فلتعلمي إذا يا خانم أن ابنتنا ألماسة نادرة، و لن نقبل بوضعها على أي تاج كان، و المسألة مسألة جدارة

بالنسبة لي، فإن لم يثبت أركان جدارته فلا نصيب لكم عندنا.

راق إنجي وصف كينان لها، و أعجبها ذلك إعجابا غامضا لم تدرك كُنْهه، لكن بقية جوابه أغضبته إلى حد ما، فهمت بالكلام لكن أمها أمسكت بيدها، و أوأمت لها أن تلتزم الصمت ففعلت على مضض.

أما أركان فقد كان في قمة السعادة، على عكس إنجي التي يبدو و أن الأمر برمته كان عاديا بالنسبة لها.

قبل وصول الضيوف، كانت إنجي قد غيرت الزي الرسمي الذي ارتدته من أجل الخطبة، و ارتدت زي عاديا بطلب من كينان لأنه اقترح ترتيب خطبة رسمية بعد شهور، و قد أفتع عمته بهذا، إلا أن إنجي و كعادتها لم تقتنع، لكنه لم يأبه لرأيها.

فما إن انصرف الضيوف حتى انتفضت إنجي مزمجرة في وجه كينان:

- لماذا منعنا من ارتداء الازياء الرسمية من أجل الخطبة؟ و لماذا بعد عدة أشهر؟

فرد مبتسما:

- الجميع مقتنع برأيي فلم ترفضين؟

- لأن رأيك لا يهمني أصلا، و أنا لست مقتنعة به أساسا. لقد تحججت بأن عمك دينيز ترغب بحضور الخطبة الرسمية، أرجوك أخبرني منذ متى كنت أنا و دينيز على وفاق؟ لطالما طلبت من ماما إهمالي و عدم الإهتمام بي، لذا فأنا أرفض حضورها خطبتي!

فقهقه ضاحكا و قال:

- إن رمت الحق، فإن دينيز لم تتغير اتجاهك و علاقتها بك لا تزال على حالها، و من المؤكد أنه لا يهملها إن تمت خطبتك أم لا.

- فلم تختلق القصة إذا؟

- اختلقت هذه القصة حتى أطيل الأمر فقط، و ليكن في علمك بأن كل فتاة تنتهي خطبتها على هذه الشاكلة تفقد سمعتها، و لا يتقدم لطلب يدها أي شاب آخر.
- و ما علاقتي بهذا الكلام؟ أنا مخطوبة الآن، و قد فات الأوان على نظريتك للأسف.

فرد محتدما:

- أنت لست مخطوبة يا إنجي! و أنا أدرك جيدا بأنك تريدين فقط معاندتي بهذه القصة مع أركان، هذه مجرد لعبة تحاولين لعبها لسبب من الأسباب، فأنت لا تحبينه و لا تهتمك هذه العلاقة البتة، و هي سراب في سراب.

- و على أي أساس بنيت آراءك الواهية يا وصيي
العظيم؟

- تجربتي في الحياة، و كل تصرفاتك تنبئ بذلك.
- فلتعلم إذا يا وصيي أن تجربتك و معطياتك كلها
خاطئة فيما يخص علاقتي.

- لم تخني تجربتي قط يا إنجي! أنت تستخدمين
أركان المسكين في لعبتك هذه، و هو الوحيد المتضرر
لأنك تصرين فقط على معاندتي و إثارت غضبي.. و
حفاظا على سلامته و حتى لا يحترق بنار حماقتك، فإنني
أحميه بتأجيل الخطبة الرسمية، فهل فهمت الآن؟

سكت قليلا ثم استطرده كلامه بنفس النبيرة:

- لو علم أركان أنك تتلاعبين بمشاعره، فإنه حتما
سيؤذيك و يأخذ ثأره منك، و لو مس شعرة منك فإنني
سأحرقه حيا.. لذا أرجوك جنبيني ظلم الأبرياء يا إنجي.

فردت بصوت هادئ و قد افتر ثغرها عن ابتسامة
مبهمة:

- حقا! ستحرقه حيا لو أذاني؟

- ليس هو فقط! بل أي شخص سيفترب منك، فإنني
سأقضي عليه حتى و لو كنت أنت المذنبة، فلا تدفعيني إلى
ظلم الناس.

- أكيد أنك تمزح!

- أبدا! أنا لا أمزح في مثل هذه الأمور، أنت و نيار
خط أحمر.

- لأنني و نيار أولادك.

- طبعاً. كل منكما له موقعه الخاص في حياتي.

- للأسف سيشاركنا يوم ما شخص ما بك.

- أنا مسؤول عن عدة أشخاص باختلاف علاقاتهم
بي، لكنك و نيار على رأس أولوياتي و أنت تدركين هذا
جيدا، لذا تقومين بما يحلو لك.. لكنني أحذرك فصبري ينفذ
بسرعة!.

تملمت إنجي محرجة و بدت على ملامحها علامات
الحياء و ألجم لسانها، لكنها عادت و استجمعت كلماتها بعد
جهد، و قالت متظاهرة بالغضب:

- أرني غضبك إذا يا كينان بيك!

فأجابها و هو يهاجمها بلطف:

- لا أراك الله غضبي يا إنجي.

ثم انصرف و تركها تغلي في مكانها، و قد احمرت
وجنتاها و ضربت أرضية القاعة بإحدى قدميها فسألتها
أمها:

- ما الأمر صغيرتي؟
- إنه يثير أعصابي و يتلاعب بمشاعري!
ابتسمت الخانم ابتسامة تنم عن ذكاء و تجربة و
قالت:

- أنت لم تقولي لي بعد ما الذي قررت فعله منذ يوم
الغد.

- سأذهب للعمل ماما.
- ممتاز! قرار صائب صغيرتي.
- أجل، و قد اتفقت مع توبا على العمل معها بقسم
الإستيراد.

- أظن أن هذا القسم تحت رئاسة خليل شقيق كينان.
- أجل، و هو شخص رائع و حضاري في معاملاته
مع الجميع. كل الأشقاء رائعون خليل، توبا، يالذ و إليف
إلا كينان شرير مثل أمه.

ضحكت الخانم حتى توردت وجنتاها ثم قالت:

- لا يا صغيرتي فكل واحد منهم هو نسيج وحده، و
لا اعتقد أنهم يحملون طبائع أمهم.
- هذا يعني بأنك تدركين سوء طباعها، و مع هذا
تتعاملين معها بشكل طبيعي.

-نحن أسرة واحدة يا إنجي، و حتى و لو كان أحد
الأفراد سيئاً، فلن نتركه منعزلاً، بل نحاول جذبته للمجموعة
و نשוב أخطاهه بالتى هي أحسن.

سكتت الخانم قليلاً ثم أردفت قائلة:

-يا صغيرتي! اهتمي بمن يهتم بك، أما البقية
فالتحية تكفى.

فردت إنجي بابتسامة:

- أنت الأفضل على الإطلاق ماما! أنت أفضل فرد
بالعائلة بشهادة الجميع، و الكل يحبك حتى الخدم.

فردت عليها بصوت حنون:

-شكراً صغيرتي.. لكن لا تبالغي في إطرائك.

استوت الفتاة قائمة و قد زال عنها الغضب، ثم مالت
نحو أمها و قبلت خدها بحنو قائلة:

-تصبحين على خير ماما.

-و أنت من أهله حبيبتى.

صعدت الحسنة لغرفتها، و تمددت على فراشها
تنشد النوم بعد يوم حافل، لكن النوم جفاها و أبى إلا أن
يفارقها ليلتها هذه، كأنهما ضدان متنافران. أخذت تتقلب

في مضجعها هاجسة بما يعتمل في صدرها، فلاحقها وجه
أركان فما إن تغمض عينيها الجميلتين حتى تراه ماثلا هنا
في خيالها، و ما إن تفتحهما حتى يظهر لها وجهه الحزين
الكسيف و ربما الحاقد عليها.

لقد قالت بأنها تريده، قالتها زورا و بهتاناً، أو خيّل
إليها أنها حقا تريده.

ما ذنب المسكين حتى تدخله في لعبة لا ناقة له فيها
و لا جمل.

هكذا اجتاحتها موجة عارمة من الحزن، فانهمرت
الدموع من عينيها بغزارة، لكنها عادت و فكرت بكينان
فأشرق وجهها و جفت دموعها، تخيلته بقامته الممشوقة و
وجهه الجميل و نبراته القوية النافذة.

لكن كيف سولت لها نفسها أن ترى محاسنه، ألم يكن
منذ قليل أكبر كابوس بحياتها؟

كي؟! كيف تناست كرهها له، و حقدتها عليه، أم
أنها كانت تظن أنها تكرهه؟

ما كل هذه الأحاسيس التي تتضارب في قلبها
المرهف، كأموج البحر الهادرة التي تأتي على كل ما
يعترض طريقها؟

تذكرت فجأة قوله بأن الكراهية و الحب وجهان
لعملة واحدة، فاستأنست لهذه الحقيقة و هونت عليها بعضا
مما هي فيه.

لكن أين الحب؟ و ما موقعه من شخصان متنافران
كخطين متوازيين لا يلتقيان أبدا إلا إذا انكسر احدهما؟

ثم شعرت فجأة بسرور عظيم يملاً وجدانها، إلا أنها
بقيت تشعر بأن هذا السرور يشوبه ألم غامض. استسلمت
لخيالاتها تتجاوزها يمينا و شمالا حتى غلبها سلطان النوم
فغفت.

* * *

بعد أن عاد كينان للمنزل، راح يتململ في الحديقة
ذهابا و إيابا لا يلوي على شيء، كأن أمرا ما يدور في
خلده، فإذا به يسمع أحدهم يخطو خلفه مقتربا فاستدار
مباشرة:

- ماما!

- حبيب ماما! لماذا لم تنم بعد؟

- مرحبا ماما.

- ما بك يا كينان؟ أهنالك ما يشغل بالك؟
- لا! لا شيء البتة.
- و لم أسأل؟ و ننت دائما تخفي أمورك الخاصة
عني كأنني لست أمك.
- و لماذا أشغل عقل أُمي بأُمور ترهقها؟
- هناك حل لكل مشكلة يا صغيري.

سما فجأة خطوات قادمة نحوهما، حتى برزت
تولين بملابس نومها السوداء الفاتنة تحمل فنجانين من
القهوة وقالت :

- خالتي! لم أدر أنك هنا، فقد حضرت فنجانين فقط
لي و لكينان.

ابتسمت هيفين و قال كينان متضجرا:

- على كل حال فقد كنت ذاهبا لأنام، و القهوة تسبب
لي الأرق، لذا يمكنك مشاركتها مع خالتك.

ثم انصرف إلى الداخل، و أدار ظهره لتولين التي
تسمرت مكانها، ثم تصنعت الدموع كعادتها و قالت
متضرعة:

- تعبت يا خالتي! تعبت من محاولة لفت انتباهه فما الحل؟ أنا أحبه.. أعشقه و سأقتل أي امرأة تحاول أخذه مني.. أشيري علي يا خالتي فقد أنهكني هذا الامر.

و راحت دموعها تنهمر، دموعا خبيثة لا مكان للمشاعر بينها.

الكل يعلم أن المرأة تضحك عندما تستطيع، لكنها تبكي عندما تريد، و هي لا تتوقف عن الكلام إلا لتبكي.

و هذه حال تولين، إما ثرثرة و نقاشات همجية، و إما بكاء و نحيب.

راحت خالتها تواسيها و تسكن ألمها الزائف بقولها:

- اطمئي يا تولين لكل مشكلة حل.

- ساعديني! أرجوك خالتي..

* * *

على الساعة الثانية ليلا، طُرق باب غرفة ديلارا خانم طرقات خفيفة تلاشى من خلالها سكون الليل القاتل، طرقات هادئة مترددة، كأن صاحبها لا يريد إزعاج

صاحب الغرفة. قامت الخانم و قد تخطفتها الطرقات من
حزن سريرها الدافئ.. ثم تجمدت في سريرها، و حبست
صوتها و أنفاسها، و راحت تصغي بحواسها المرتعشة.

هل سمعتَ حقا طرقات على باب الغرفة أم خُيِّلَ
إليها ذلك؟

لحظات قليلة، ثم عادت الطرقات ثانية لكنها كانت
مختلفة هذه المرة.

مخيفة كالموت.. واثقة كالقدر، انتفضت بسببها
الخانم من فراشها هلعاً، و هي التي لم يُطرق باب غرفتها
ليلاً قط منذ أن دخلت هذا المنزل.

ترى من خلف الباب؟ إنجي نامت منذ فترة و هي
جد متعبة، مستحيل أن تكون هي، و من سابع المستحيلات
أن يتجرأ أحد الخدم على الإقتراب من غرفة الخانم عند
نومها، حتى خادمتها بيرنا لم تفعل ذلك قط.

استجمعت قواها بعد جهد و مشقة، و هرعت نحو
الباب، لكن و ما إن اقتربت من المقبض حتى ترددت و
ارتعدت أوصالها.. الهدوء قاتل بكل أرجاء المنزل، ها هي
الخانم ترنو و لا تدنو، ثم أغمضت عينيها الناعستين فجأة
و أدارت مزلاج الباب.

العمل

- إنجي !

تنفست الخانم الصعداء ثم قالت:

- صغيرتي! ما بك؟ ما الذي أيقظك بهذه الساعة؟

كانت الفتاة المسكينة قد قامت من نومها، و استوت جالسة على سريرها، و العرق يتصبب على جبينها الذهبي، بعد أن حلمت بأمر ما أزعجها. استرجعت أنفاسها قليلا، ثم تمددت على سريرها ثانية محاولة تجنب التفكير في ذلك الكابوس.. و بقيت على تلك الحال تراود النوم عن نفسه علّه يأتي ليتسرب إلى أعماقها برفق فيطيب خاطرها، و يغسل همومها، لكنه أبى جفاها من جديد. الظاهر أن أمرا غريبا قد أقض مضجعها، و تركها وحيدة تجتر آلامها و آمالها.

فردت إنجي متلعثمة:

- هل أستطيع الدخول ماما؟

- أكيد! تعالي حبييتي.

دخلت الفتاة و هي لا تزال تبكي، فأفزع ذلك أمها
التي قالت:

- ما الأمر بنيتي؟ أ أنت بخير؟

اشتد بكاءها، ثم ارتمت فجأة بين ذراعي أمها و
هتفت بصوت عميق:

- ماما! أنا تائهة ماما!

- اشرحي لي فأنا لا أفهم شيئا، حدثيني عن كل ما
جرى.

- لا أفهم ما الذي يحدث لي، كلما أتذكره تختلط
مشاعري و أحاسيسي، كأني داخل زوبعة لا بداية لها و لا
نهاية. تارة أكرهه بشدة، و تارة أخرى أستأنس بحضوره.
تعجبني كلماته تارة، و يجن جنوني منها تارة أخرى. أنا
أكره غروره، لكن اهتمامه يذييني و يفقدني السيطرة على
نفسي فأصبح كالريشة في مهب الريح.

- أركان؟

- كينان يا ماما!

ابتسمت الخانم ابتسامة الواثق من أمر ما، ثم
أصاحت السمع لكلمات إنجي باهتمام عظيم، لكن كان يبدو

عليها أنها لم تفهم كل شيء تماما. ثم ثبتت نظراتها الحنونة
باتجاه ابنتها التي شعرت أنها قد أصبحت ملاذها الوحيد.

- قد أصبحتُ يا ماما أشعر بالوحدة، حتى و إن كنت
جالسة بين الجميع، وو لا أشعر بالأنس إلا بوجوده، لكن
غروره يقهرني.

فردت الخانم مستطلعة كمن يريد فك لغز ما:

- و أركان؟

- لا أدري ماما! لا أنجذب إليه أبدا.. شخص عادي
في حياتي كأى شخص آخر أعرفه، حتى تلك الخطبة قد
اهتزت آرائي منها، و لم أعد مقتنعة بمواصلتها فما الحل
الآن؟

ضحكت الخانم و قالت بلطف:

- أنت في مرحلة متقدمة يا صغيرتي!
- أي مرحلة ماما؟ أتقصدين بأنني مريضة؟
- أجل صغيرتي لقد وقعت.. أنت مريضة بالحب!
- هل هذا هو الحب؟
- فإن كان هذا الذي أصابك و أقض مضجعتك غير
الحب، فما يكون؟

ثم واصلت ابتسامتها و قالت:

- اسمعي يا صغيرتي! إن المرأة تحب بعينيها، ثم
بقلبها ثم أخيرا بعقلها!
- لكن.. أنا..
- كفاك مراوغة حبيبتتي، فإني أعرف الجواد الأصيل
من خطراته، و العاشق من عينيه و كلماته!
هذه فرصتك فاغتنميها لأن الزمن بطيء جدا لمن
ينتظر..

سريع جدا لمن يخشى

طويل جدا لمن يتألم

قصير جدا لمن يحتفل

لكنه الأبدية لمن يحب..

لقد تمكنت الخانم من خلال تجربتها في الحياة من
قراءة افكار ابنتها، و سبر أغوار نفسها، فعلمت أنها عاشقة
متيمة تقسم شباب العالم جميعا إلى قسمين، القسم الأول فيه
كل شباب العالم و هم طغاة متكبرون خشنون، أما القسم
الثاني فيه هو وحده.. فيه الكمال و القوة و كل ما ترنو إليه
الحسنة في فارس أحلامها.

أما الحسنة، فقد انشرح قلبها، و أشعت عينها بنور
الحبور و البهجة، ثم قالت و هي تغالب حياءها مطرقة
رأسها:

- و هل هذا هو التفسير لمشاعري المضطربة ماما؟
هل هذا هو الحب؟

- أجل! هذا هو الحب المقدس!

- إذا أنا أحبه منذ فترة، لأنني و في كل ليلة يمر
عليّ شريط الكلمات التي أسمعها منه خلال اليوم، و أحب
مضايقته لأن ذلك يعجبني، لكنني لم أحقد عليه يوماً، كلها
مجرد انفعالات لا تفتأ أن تزول بمجرد أن ينفض المجلس
الذي يجمعنا.

مسحت أمها على شعرها بلطف، فتأملتها الفتاة و
رفعت طرفها نحوها قائلة:

- أنت لن تخبريه بهذا ماما، أليس كذلك؟
- أكيد لا!

غالبها الحياء من جديد، فاعتقل لسانها، ثم قالت و قد
تورّد وجهها خجلاً:

- ماما! أريده لي وحدي!

تهللت أسارير أمها، و كأن مراد فتاتها وافق مرادها
فقلت:

- سنتحتال و نحصل عليه لك وحدك.. و لن أجد
لحبيبتى شابا أفضل منه، لكن ما الكابوس الذي أزعجك؟
- بصراحة يا ماما، لقد حلمت أنه تزوج من تولين و
رأيتها معه بالفيستا الأبيض، و قد كان جد أنيق و وسيم
بصحتها، فقامت مفزوعة و لم أدر لماذا هذا الفرع من
زواجه و ما دخلي بهذا.
- هذا هو الحب صغيرتي.

لقد كانت الخانم منذ البداية تدرك أن الفتاة تخفي
أمرا ما، أو بالأحرى تكنّ له مشاعرا لم تكن تعرف
ماهيتها. لكن هل تعرف الخانم أمورا أخرى عن مصير
هذا الحب؟ و إلا فلماذا تهللت أساريرها عندما طلبت إنجي
الإستئثار بكينان لنفسها؟

أمر هذه المرأة الطيبة شديد الغموض، كأن بجعبتها
أسرارا قديمة تنتظر الوقت المناسب لتجعلها تطفو على
السطح و ترى النور.

و يرتدي الصباح لون النقاء بعد عتمة الليل، فيبيث
أنفاسه بنسمات تنفث في الروح أملا بأن القادم أجمل..

استيقظت إنجي و قد أشرقت انوار الصباح، فقبلتها الشمس بأشعتها الذهبية، فأحست بأنها أَلقت عليها بظلالها أنوارا من الأمل و التفاؤل.

طرحت الحساء ثوبها القديم لتلبس لصباحها المختلف ثوبا يناسبه، فتُصَحَّ كثيرا من الأخطاء، و تتخلَّى عن كثير من عاداتها، و تنطلع إلى يوم مميز تكون فيه أكثر صدقا مع عقلها و قلبها.

أنهت إفطارها برشاقة و حيوية، و استعدت للذهاب للمجموعة في أول يوم لها، فكانت قامتها كالغصن إذا انثنى، و جبينها يُحاكي الصباح إذا انجلى. لقد اكتفت بوضع بعض المغذي الصباحي، مع لمسات بسيطة من البودرة الجافة، و القليل من الماسكارا لرموشها الساحرة، مع خط رفيع من الأيلاینر. ثم ختمت مكياجها بلمسة بسيطة من ملمع الشفاه..

فتنة تمشي على الأرض!

إنها ضرة الطاووس في التيه و العجب!

بزيتها الأسود الرسمي المتناسق مع قوامها الجذاب، كأنها عارضة أزياء عالمية.. و خصلات شعرها الحريرية منسدلة على ظهرها بتناغم فتان. إن عقدت خصلات

شعرها استقام تاجا ملكيا، و إن أرسلته استطل ذيلا
حريريا.

ثم وضعت قرطين ماسيين صغيرين كانا هدية من
أمها، و تعطرت ببضع رَدَّاتٍ من عطرٍ قوتشي بلوم
(Gucci Bloom) الكلاسيكي، الفاخر، الشيطاني،
الربيعي الفتان.

كانت الخانم تراقبها مزهوة ثم قالت لها:

-صغيرتي! حتى نحصل على ما نريد، يجب تقليل
المشاكسات مع الحبيب.

- لا أدري إن كنت تستطيع فعل هذا ماما، إنه يفقدني
أعصابي.

- إياك أن تدعي مخاوفك تصدك عن تحقيق مبتغاك!
حبيبتي، كلمة دلال واحدة على الأقل كبدائية، و ستتعودين
على الأمر بعدها.. انظري في عينيه و حركي رموشك
بدلال.

- لكن! ماما.. لا أستطيع.

- أول خطوة هي الاناقة و الهدام الجذاب، و هذه قد
انتهينا منها، فأنت قمر و الباقي في المجموعة لا يبلغون
أمام جمالك، حتى مبلغ النجوم الخافتة الباهت نورها. ثاني
خطوة أن تكوني لطيفة و الإبتسامة لا تفارق شفتيك طول

الوقت، لأن الرجل و بكل بساطة لا يمكنه مقاومة ابتسامه لطيفة جذابة، خاصة إذا تودّدت إليه بلطف و دفاء.

- ماما! هذا صعب..

- فقط حاولي أن تضحكي على نكاتة، حتى و إن كنت قد سمعتها سابقا.. و من جهتك صغيرتي حاولي إشعاره بأنك تحظّين بوقتٍ ممتعٍ برفقته، فالرجل يعشق المرأة التي تشعره بأهميته.

- لكنه يراني مجرد طفلة مدللة لا أكثر.

- لا عليكِ.. الرجل دائما ما يعامل حبيبته كطفلة

المدللة، معظمهم هكذا.

- سأحاول إغاضته بأركان، سأطلب منه الحضور

للشركة.

- ممتاز! ها قد بدأتِ تتعلمين.. لأن الرجل إن رأى

أن كل الرجال الآخرين يلتفون من حولك بسبب جمالك و انافتك، تتولد لديه رغبة جامحة بأن يكون الوحيد في حياتك.

انصرفت الحساء، و قلبها يتحرك نحوه كما تتحرك

الرّاحتان نحو المدفأة في ليلة شديدة البرد !!

* * *

ابتسمت هيفين خانم و هي تراقب تولين عند استعدادها للخروج للمجموعة، ثم قالت محاولة تشجيعها:
- أجل! أريدك أن تكوني دائما واثقة من نفسك و جميلة.

سُرت تولين بكلمات خالتها و قالت:

- سأدعوه لتناول الغداء، سنتغدى معا في إحدى المطاعم الفاخرة.

- جيدا! هذا ما يجب عليك فعله، لا تبقي جامدة في مكانك كالمتفرج على جيندا و هي تخطفه من بين يديك!

في تلك الأثناء، كانت جيندا تحضر نفسها هي الأخرى للإلتحاق بالمجموعة بعد ان أنهت عطلتها، فهي مشرفة في قسم المبيعات بالمجموعة.

* * *

أوقفت إنجي سيارتها على الرصيف الخاص بعمال المجموعة، ثم اتجهت مباشرة لمكتب خليل دون المرور بمكتب كينان، فطرقت الباب بهدوء ثم دخلت:

- مرحبا خليل!

كان خليل ذا قوام ممشوق، نحيفا من غير هزال،
أبيض الوجه، و مايلفت النظر إليه، عينيه البنيتين اللذين
رفعهما نحو إنجي و قد كانت تلوح فيهما نظرة لامعة تذكى
ضياءً و ذكاءً، ثم أجاب مرحبًا:

- أهلا إنجي! صباح الخير.

- صباح الخير خليل!

- هل أنت مستعدة للعمل؟

- أكيد، على أتم الإستعداد.

هو كريم القلب و الخلق، طروب جذاب، فرد قائلا:

- ممتاز! هلمّي إذا.

- حسنا! سأرى إن كانت توبا قد وصلت.

- أجل لقد فعلت و هي بمكتبها، أتمنى لك كل التوفيق

يا إنجي و أنا بخدمتك متى احتجت لذلك.

- شكرا خليل، هذا لطف منك.

خرجت الحساء من مكتب خليل، و بدتْ طلائعُ
مقلّتيها، فأثخنت بسيفِها أهل الغرام جراحاً.. ثم وقع
نظرها على جيندا، المرأة التي كانت في وقت مضى
زوجةً لكينان، تشاركه نفس السرير، و كل شيء بحياته
حتى ابنه الصغير.. هما لا تحبان بعضهما، و تبطنان
لبعضهما العداوة، و تظهران الود و الصداقة، كالحمى التي

يكون ظاهرها جمالا لتورد خدود صاحبها و احمرارها،
لكن حقيقتها مرض و سقم.

بادرتها جيندا بالكلام قائلة:

- أخت صغيري هنا! أهلا إنجي، كيف حالك؟
- مرحبا جيندا! أظنك عدتِ اليوم من عطلتك.
- أجل لقد انهيت عطلتي.. هل أنت هنا في زيارة؟
- لا! سأعمل هنا منذ اليوم، أو بالأحرى منذ اللحظة.
- ممتاز!

راحت إنجي تتأمل ملامح جيندا التي تغيرت كثيرا
منذ آخر لقاء بها، يبدو أن فراق كينان، و فقدان صغيرها
أثرا عليها كثيرا. ثم لمحت فجأة تولين قادمة، شقراء في
السادسة و العشرون، وجهها مستدير وردي اللون، و
عينان زرقاوان، يعلوهما شعرا أصفر كأنه خيوط الذهب.

اقتربت تولين، و توجهت نحو إنجي بالكلام، فقالت
بلهجة لا تخلو من تهكم:

- مبروك الخطوبة.

ابتسمت إنجي و ردت:

- العاقبة لك شكرا!

- عن قريب أنا و حبيبي!

التفتت إليها جيندا و قد استولى عليها الغضب، فقالت
باحترام:

- لن يكون لك أبدا طالما أنا على قيد الحياة.

ابتسمت تولين ابتسامة التشفي، ثم قالت بنبرة واثقة:

- ابن خالتي يعشق الشقراوات، للأسف شعرك أسود
و لست بشقراء!

تلاقت عينا تولين و إنجي بالنظرات، و كانت نظرة
إنجي الملتهبة على أهبة لتحويل تولين إلى رماد، ثم راحت
تناجي نفسها دون أن يسمعها أحد:

- هذا صحيح، هو يحب الشقراوات، و إلا لما طلق
جيندا!

كانت إنجي تغوص في بحر من الأفكار لا قرار له،
و قد أدركت أن شعرها أسود مما وسّع الهوة بينها و بين
ميتغاهما، فتحركت مسرعة لا تلوي عل شيء و قد
اغرورقت عيناها بالدموع.. لقد ابتعدت عن الحيتين
المتصارعتين، و همت بالدخول لمكتب توبا.

اصطدمت فجأة بجسم صلب و قد كانت مطرقة
رأسها، فكادت تقع لو لا أنه أمسكها بلطف و قال:

- ما بك؟ من أبكاك؟

حركت رأسها نافية الأمر فقال:

- إنجي!

فقالت بهدوء:

- لأحد.. أنا على ما يرام.

- هل أزعجك أحدهم؟ هل هناك أمر يغضبك، أم انه

خطيبك؟

- لا.. أشعر ببعض الضيق فقط.

- من ماذا يا صغيرتي؟

- لا تقل لي صغيرتي! أنا لست صغيرة يا كينان!

ابتسم و اقترب من أذنها فسرت في جسمها قشعريرة

لذيذة، ثم همس قائلاً:

- حسناً! اكبري لأعاملك على أساس أنك كبيرة.

- و كيف أكبر برأيك؟

مسح بيده طرف رموشها، و قد علقت إحدى دمعاتها

المليئة بالمشاعر على طرف إصبعه، فقال:

- اعلمي أن دموعك أغلى و أثنى من أن تنزل دون سبب.. المهم أننا سنتغدى معا و نعرف سبب هذا الأسى و الضيق.

لا حت البسمة على ثغرها و قالت بمكر:

- للأسف لا أستطيع، لقد دعاني أركان للغداء ليلة أمس و وافقت.

فهاجمها بلطف:

- عندما يطلب منك وصيك أمرا ما، فيجب عليك أن تقولي حاضر يا أميرة إنجي، و تلغي كل طلبات الآخرين.
- حاضر! حاضر وصيي العظيم.

دفعت باب المكتب و دخلت فتأملتها توبا قائلة:

- ما الأمر إنجي؟
- لا ، لا شيء هيا اشرحي لي طريقة العمل.
- حسنا هيا..

قبيل وقت الغداء، سرحت الحساء بنظرها من نافذة المكتب المطلّة على ساحة كوناك التي يتوسطها برج الساعة، ثم معّنت النظر في تمثال الصحفي حسن تحسين، مُطلق أول رصاصه في حرب التحرير، و الذي ينتصب أمام مبنى البلدية. و ظلّت تجول بنظرها في أرجاء الساحة

فرأت مسجد يالي الذي شيده العثمانيون بطراز عثماني جدّ عريق، و يجاور المسجد مقر الوالي.

اتصلت بعدها إنجي بأمها و هي مسرورة فقالت:

- أرجوك ماما ساعديني! هل أقبل عرضه؟
- أكيد! بالطبع حبيبتي اخرجي معه، و حاولي أن
تشعريه بأنوثتك.. لا تتصنعي كوني نفسك فقط.
- ماما! لكنه يربكني.

ضحكت ديلارا وقالت:

- كوني على طبيعتك فقط، أنت تسحرين الألباب فلا
تقلقي.

- أنا فقط أريد منه أن يحبني ماما.

فردت الخانم بإجابة واثقة:

- أنا متأكدة بأنه سيحبك.
- حسنا إلى اللقاء ماما.

ما إن أغلقت إنجي الخط، حتى رن هاتف ديلارا
مرة أخرى:

- مرحبا كينان!

- أهلا عمتي! أردت أن أخبرك أنني سأصطحب
ابنتك للغداء.

فابتسمت قائلة:

- هل هذا موعد غرامي أم ماذا؟
- أنا لا أواعد يا عمتي، وصغيرتي لا تواعد أحدا.
- أجل! أجل صغيرتك لا تواعد أحدا.. لكنها لا تعلم
أنها حبيبة وصيها.

فصاح كينان:

- اللعنة! عمتي لقد فضحتني و الخدم يسمعون.
- إذا فلتخبرها بأنك تحبها.
- لا أستطيع ذلك.. هي صغيرة يا عمتي سنترك
الأمر بعد عام واحد كما اتفقنا.
- و هل تستطيع أن تنتظر عاما كاملا؟
- صبرت سنتين فلم لا أصبر عاما آخرا؟ لم يبق
أكثر مما مضى يا عمتي.
- و لو قلت لك بأنها تبادلك الشعور نفسه؟

سكت هنيهة، و قد ارتسمت علامات الحيرة على
محياء و داخله السرور ثم قال:

- اللعنة! أنا لا أمزح يا عمتي.. هل أنت جادة بهذا؟

- طبعاً جادة! هذا سر بيني و بينها و قد أفضيتُ به
لك حتى تتحرك و تترك تسويّفك.
- صغيرة هي يا عمتي، سأكره نفسي لو قمت
بتقبيلها.

- ألا تريدها يا كينان؟

فأجاب مستعظفاً:

- أنا أعشقها عمتي، أريدها بشدة لي وحدي، و
والدها أدرك هذا فكتب لي خطاباً في شكل وصية منه بأن
لا أقترّب من ابنته قبل سن الواحدة و العشرين.
- كينان! قدسي بيك لن يرفض زواجكما لو كان
حياً.. و أنا متأكدة أنه كان سيزوجكما قبل بلوغها السن
المحددة.

- لكنها وصية يا خانم! سأتزوجها حتماً لكن عند
بلوغ السن المحددة، فهي الآن أصغر مني و أخشى إيذاءها
فقط لو ضممتها إلى صدري.

- أنت تعقد الأمور كثيراً، أنتما تتبادلان الشعور نفسه
فلم التأجيل و التسويّف.

- هي صغيرة و غير قادرة على تمييز مشاعرها
نحوي، أخشى أن تكون نزوة طيش و مراهة فقط.
- ابنتي قد تجاوزت هذه المرحلة، و أنا أحذرك بأنك
ستخسرهما بعنادك هذا.. و المثل يقول لا يأتي العقل مع
السن بل هو في الرأس.

- لا! لن يأخذها أحد مني. ستنضح و تتعرف على
مشاعرها نحوي، و تدرك إن كانت حقا تحبني أم لا.
- حسنا! عاملها كحبيبتيك يا كينان.

فرد متعجبا:

- كحبيبتي! هي حقا حبيبتي، أنت و قدسي بيك
تدركان هذا جيدا منذ سنتين، و تعلمان بأني قد ابتليت
بحبها و أنا لا ازال متزوجا من جيندا.

ضحكت الخانم مقهقهة فصاح نائرا:

- اللعنة! عمتي!

فواصلت ضحكاتهما ثم قالت:

- لن أنسى أبدا ذلك اليوم الذي أتيت في إلينا محطم
الفؤاد.

- و هل أعتبرها شماتة بي؟

- لا! أبدا و لو لا مكانتك لما اختارك والدها وصيا
عليها، وقد استشارني بالأمر فوافق.

- لكنه وضع شرطه سيفا في عنقي!

- لو لم يضع والدها هذا الشرط، فهل كنت
ستتزوجها الآن؟

- لا! فأنا أريدها امرأة كاملة.

- فلنأخذ مني هذه النصيحة يا كينان، اجعل قلب و
عينيّ حبيبتك يتفتحان عليك وحدك، و لا أحد غيرك، هذ إن
كنت حقا تريد كسبها.

فرد متسائلا كتلميذ يطلب حلا من أستاذه، و هو
الذي صال و جال مع العديد من النساء:

- و ما الذي يجب أن أصنعه الآن؟
- لا شيء غير أنك تحدثها بصراحة، أفصح لها عن
حبك، و أخبرها بقصة الوصية و شرط والدها.
- لكن هذا لن يجدي نفعا.. فأنا أريدها أن تختارني
كما اخترتها.

- أنت لا تزال تلف و تدور إنك ترنو و لا تدنو..
كينان هي تحبك فهل تحبها انت؟
- قسما بالله يا عمتي إنني أعشق الثرى تحت
أقدامها، و أحلم بقربها مني كل ليلة!

فابتسمت و ردت قائلة:

- جد إذا حلا لهذه المعضلة، لأن حبيبتك ربما تنتظر
بغير اتجاهك إن تجاهلتها.
- هذا ليس عدلا يا عمتي!
- لا عدل في الحب يا كينان! أمام الحب لا تملك كل
الأعمار إلا أن تكون خاضعة.

- مجرد تقبيلي يدها يجعلها ترتجف.

- لأنها تحبك!

- لا! بل لأنها طفلة.

- حسنا! إلى اللقاء كينان.

أنهت الخانم المكالمة مع كينان بعد أن ضاقت درعا
بأفكاره و قناعاته، ثم اتصلت مباشرة بابنتها:

- أهلا ماما!

- صغيرتي! ألغي الموعد مع كينان فوراً.

فردت باضطراب و تعجب:

- لكن أنا لا أفهم شيئاً ماما!

- لا تخرجي معه للغداء!

- ماذا؟

- تماماً كما سمعتِ، قولي له بأنك ستتناولين غداءك
مع أركان.

- لكن..!

- بدون لكن حبيبتني، ألم نتفق على حصولنا عليه من

أجلك؟

- حسنا، حاضر ماما!

أنتِ لي

كانت إنجي في المكتب تتجاذب أطراف الحديث مع توبا، حتى طُرق باب المكتب فجأة و دخل كينان مباشرة، فتأمل إنجي هنيهة ثم قال مبتسما:

- هيا إنجي !

- عذرا كينان، اتصل بي أركان و هو في طريقه لاصطحابي للغداء بمطعم ميزالونا المطل على البحر، فقد قررنا تذوق أطباقهم الإيطالية.

فصاح بصوت جهوري:

- إنجي! كفاكِ تصرفات صبيانية.

- أي تصرفات صبيانية! أنا أقول أن خطيبي قد عزمني على الغداء، فأين المشكل في هذا؟
- أولا هو ليس خطيبك بعد، ثانيا أنا وصيك، و إذا قلت أنك لن تخرجي معه فإنك تفعلين هذا دون نقاش!

تظاهرت الفتاة بالغضب و قالت:

-أبدا! هذا ليس من شأن الوصي يا بيبك، و قد
عزمت على الخروج معه و لا أحد يستطيع منعي!
-لن تخرجي!

فقالَت توبا محاولة تهدئة الوضع:

- أرجوكما اهدءا!

فاستطردت إنجي متجاهلة كلام توبا:

- لماذا تعاملني هكذا؟ دائما ما تفرض رأيك!

انتفضت قائمة، ثم حملت حقيبتها اليدوية بعنف و
صرخت:

- اللعنة على هذا الغداء! لن أخرج مع أي أحد!

انصرفت مسرعة و صفقت باب المكتب خلفها
بعنف.

ثم تلقتها الخانم بالمنزل قائلة:

- ما الأمر صغيرتي؟

- هو يحاول دائما السيطرة عليّ و التدخل في كل
شؤوني! لقد رفض خروجي مع أركان.

ابتسمت الخانم و قالت لها:

- هاه! لقد أشعلتِ غيرته، و هذا ما كنا نصبو إليه.
- لكنه لا يغار ماما!

لم تُلقي الخاتم بالا لكلماتها و استدركت كلامها:

- اسمعيني جيدا، عندما يأتي في المساء لمصالحتك
ابكِ أمامه، لا تتظاهري بالقوة، تخلي عن مشاكساتك، و
اظهري بمظر الأنثى الضعيفة المظلومة.. الدموع ثم
الدموع حبيبتني!

- أنا! أنا أبكي أمام كينان؟

- أجل! هذا كل المطلوب منك الآن، و هذه فرصتنا..

أم أنه ليس حبيبك؟

فردت بخجل:

- لكن.. أنا..

- انسي لكن الآن! اجعليه يزوب و يتحطم، إبكِ
فدموع النساء الفاتنات تقتل الرجال، و اعلمي يا بنيتي أن
الرجل لا يكون في غاية الجنون إلا عندما يحب.

- و هل أنا أجمل من تولين؟

- تولين! ظفرك بعنقها.. و هل يقارن الورد بالشوك

حبيبتني؟ افعلي ما قلت لك و لنر النتيجة معا.

- هل أنت جادة ماما؟

-قلت افعلي! يا لك من عنيدة، فقط العبي دور
المظلومة المقهورة، فقط ليوم واحد، أو بالأحرى ساعة
واحدة.

استبشرت الفتاة و ضحت فقالت لها الخاتم:

- طلبت منك أن تبكي لا أن تضحكي.
- حاضر ماما، حاضر!

في المساء تناولنا العشاء معا، لكن لا أثر لكينان لحد
الساعة.

- ماما! ها هو لم يأت، إنه لا يهتم لحزني.

همت الخاتم بالرد لكن هاتفها رن فجأة:

- نعم كينان.
- كيف حالكم عمتي؟
- بخير ، ماذا تريد؟
- عمتي! حبيبتي كيف حالها؟
- هل تريدني أن أسمعها كلامك؟
- اللعنة!

ضحكت الخاتم من اضطرابه ثم قالت:

- إنجي لم تتناول العشاء، لقد حبست نفسها بغرفتها منذ قدموها.

- ماذا؟ اللعنة! أنا قادم فورا، فقد تأخرت لأنني كنت أحاول شراء هدية لها عربونا لمصالحتها.

- أنا أريد أن انام يا كينان، فقد تأخر الوقت و أنا متعبة قليلا فاترك هذا الأمر للغد.

- أرجوك انتظريني قليلا عمتي، دقائق و أصل.

أقفلت الخانم الخط و التفتت لإنجي:

- بسرعة! اذهبي لغرفتك، أغلقي الباب من الداخل و

جهزي دموعك جيدا.. بسرعة!

- ما الذي اردت إخباري به عن كلامه؟

- لا شيء مهم.. هيا بسرعة قبل أن ينكشف أمرنا.

راحت تتأمل شكلها بمرآة غرفتها، و طبقت تعويذتها

الشيطانية لاستحضار دموعها ثم انفجرت ضاحكة و هي

تردد:

- تبا! كم نحن رائعات، نبكي متى نريد أمام من

نريد.

دخل كينان المنزل بعد دقائق و هو يلهث، حاول

استعادة أنفاسه ثم قال:

- كيف هي؟
- لا أعلم! هي ترفض رؤيتي.
- كل ما يحيرني أنها لم تكن هكذا من قبل، كنا دائماً
ما نتعارك ثم ننسى الموضوع كأن شيئاً لم يحدث.
- كينان! هل طلبت مني انتظارك حتى تحكي لي
عنكما؟
- بل أريد رؤيتها يا عمتي.
صعد درجات السلم كالبرق، ثم طرق باب الغرفة
قائلاً:

- إنجي! افتحي الباب..
ظلت صامتة و لم تجب.
- إنجي! افتحي و إلا خلعت الباب!
تقدمت منه كلستان فجأة و مدت إليه يدها قائلة:
- الخانم طلبت مني إعطائك نسخة المفتاح، لقد
وجدتها منذ قليل بعد أن ظللنا نبحث عنها طوال اليوم حتى
نطمئن عن حال إنجي.

التقط المفتاح من يد بيرنا و نسي أن يشكرها كعادته.
سمعت إنجي فجأة حركة مفتاح داخل قفل الغرفة، فقامت
مضطربة، فهي لم تكن تعلم بأن كينان يملك نسخة عن

مفتاح غرفتها. لقد كانت تريد إحراق أعصابه بتركه خلف الباب لبعض الوقت.

- سأدخل إنجي!

دخل متلهفاً و كانت إنجي متمددة على سريرها، و هي تخفي وجهها تحت الوسادة، فابتسم و هو يعلم أن هذه عاداتها منذ أن كانت صغيرة. كانت كلما غضبت دخلت غرفتها، و دست وجهها بين السرير و الوسادة، لكن هذا بعد أن تكون قد قضت وطرها من العراك و المشاكسة.

- إنجي! هيا قومي ها أنا ذا قد جئت لنتعارك.

جلس بقربها فلم تحرك ساكناً، حاول سحب الوسادة الوردية عنها فألقت الوسادة بعنف و قام، كانت الدموع تنسكب على خديها الناعمين كأنهار لا تنضب مجاريها.

ثم صرخت في وجهه بصوت أجش:

- ابتعد عني! أخرج.. أغرب عن وجهي!

كل ما شدّ انتباهه هي قطرات دموعها على خديها

فقال:

- آسف! أنا آسف إنجي.. أرجوك عاتبيني المهم أن

تقولي شيئاً، لا تبكِ أرجوك كفى دموعاً..!

لم تزد كلماته إلا في دموعها التي انهمرت كشلالات
نياغارا الساحرة، فامتدت يده محاولا مسح دموعها بلطف
و حذر.

-ماذا أصنع لكِ حتي ترضين؟ اطلبي أي شيء
المهم أن تقولي شيئا.
- أخرج! لا أريد أي شيء منك.. أنت خشن و جاف!

واصلت دموعها فاقترب منها بكل تأن، وما هي إلا
لحظات حتى كانت بين أحضانه.. خفق قلبها بشدة كأنه
يريد أن يقفز من بين جنبيها، توقفت أنفاسها و سكنت
حركاتها.. إن رائحته الرجولية تداعب أنفاسها، تتغلغل
فيوجدانها لتسلب روحها.

شعرت بخفقات قلبه، ليست خفقات عادية.. بلى! إنها
خفقات عاشق ولهان.

همس لها بصوت هادئ جدا كان تتعذب بسماعه:

- آسف! آسف أميرة إنجي، رغم أنني لم أعتذر لأحد
قط.

بعد فترة رفعها عن صدره، ثم أخذ يتأملها مبتسما
وقد جفت دموعها.. قبل جبينها و أعاد شعرها للخلف بيده،
و هو يداعبها بخفة ثم همس بأذنها:

- عيان كعينيك حرام أن تسفكا الدموع، فكل دمة
منهما ذنب و إثم عظيم.

ابتسمت و علا السرور محياها المتألق فاستطرد
قائلاً:

- ابتسمي يا قمر! أشرقى كشمس الصباح في يوم
ربيعي متألق.

فهمست بأذنه بمكر:

- تغازلني!

- جزئياً..

فقال عابسة:

- جزئياً؟

- أجل! فهذه كلمات صغيرة جداً، هي مجرد فقرة
قصيرة بأحد كتب الغزل.

فهمست له:

- و هل يكون ذنباً إن أخبرت وصيي بأنني أتوق
لرجل يكون قد حفظ كل ما بين دفات كتب الغزل؟

فابتسم قائلاً:

- لكن أركان هذا لم يقرأ ولو سطرًا واحدًا من هذه الكتب، هذا إن كان يعلم بوجودها أصلاً، و منه نستنتج أنه ليس الرجل الذي تتوقين إليه.

- و من رجل حياتي إذا؟

- فقط افتحي عينيك جيداً و اكبري! فكل شيء يأتي في وقته المناسب لمن يحسن فن الإنتظار، و لا شيء أقوى من شينين اثنين: الزمن و الصبر، إنهما كفيلاّن ب صنع العجائب!

- أ أفتح عيني لأراك؟ أم أكبر من أجلك؟

فاجأته كلماتها، وعلت محياها علامات الحيرة، و تعجب لجرأتها فظل صامتا حتى استطردت كلامها:

- كفالك مكابرة كينان! قلبك يكاد يقفز من بين جنبيك و روحك كادت تغادرك و أنا بين أحضانك، فكيف تفسر كل هذا؟

- اللعنة! هل أنا واضح كل هذا الوضوح؟

- لست واضحا، بل غامض جدا لكنني اكتشفت كل هذا فقط منذ لحظات.

فابتسم قائلاً:

- فما الحل إذا؟

- حل! كلانا يريد الآخر فعن أي حل تبحث؟

- لكن الأمر ليس بهذه السهولة حبيبتى!

- لأنك و بكل بساطة لا تريدني!

- أنت روعي!

- أين المشكل إذا؟

داعب خدها بلطف ثم قال:

- حبيبتى! لقد كان والدك يعلم بحبي لك منذ البداية،
أخبرته أنا بهذا فاشتراط علي أن أتزوجك إذا حققت له
مطلبه.

- أي مطلب؟

- مطلبه عدم الزواج منك قبل بلوغك الحادية و
العشرين، و حتى يضمن لي هذا فقد جعلني وصيا عليك.
- هل هذا يعني بأنك ستتركني لعام كامل؟
- إنه شرط حبيبتى.

بدأت إنجي بالضغط عليه بعد أن أصبح اللعب
مكشوفاً، و قد كان كل خوفها و همها أن تسبقها إليه حيندا
أو تولين، فتحطم إحداها صروح أحلامها، و تأخذ منها
رجل حياتها، و هي أعلم بكيدهما و ما تستطيعان فعله من
أجل الحصول على كينان.

إنها معركة جد صعبة، و عليها خوضها، فلا مناص
من ذلك إن أرادت بلوغ مبتغاها.

على كل الأحوال، فإن حياة الإنسان محفوفة بالمخاطر، و هي دون ذلك بدون معنى، و هل هناك أمرين يكشفان أسرار الحياة أكثر من المعاناة و الحب؟

ها قد وجدت الحسنة أخيرا ضالتها في الحب، فلا مناص لها من الوقوف في وجه المعاناة للحفاظ على حبها، خاصة أن الغريمتان لا يستهان بهما.

ثم قالت إنجي:

- إنك لا تحبني و لم تحبني قط.
- أنت كل حياتي، و لا أحب غيرك!
- لكنني أريدك أن تتزوجني قبل انقضاء المدة!
- لماذا تعقدين الأمور و تضغطين هكذا حياتي؟
- أنت ترفض فقط لأنك تريد أن تحوم النساء من حولك، خاصة تولين المتعجرفة، أليس هذا كل ما تريد؟
- حبيبتي أنت صغيرة، صغيرة على كل شيء حتى على حدوث أمر بيننا.
- أغرب عن وجهي، لا أريد رؤيتك!
- إنجي!

فصرخت في وجهه بشدة:

- قلت لك اخرج!

وضع هديتها أمامها، فضربت العلبة السوداء الصغيرة حتى تبعثرت المجوهرات على أرضية الغرفة.

- إنجي..!

- انصرف من غرفتي! أقسم لك بأنني سأتزوج أركان، لأن والدي لم يربطه بأي شرط.
- أنت تلعبين بالنار إنجي! لا تدفعي بي لأريك الوجه الآخر لي، أنت لي و لن تكوني لأحد غيري أبدا.
- إن أصريت على الوصية فإني سأتزوج.
- سنرى يا إنجي! سنرى!

ترك غرفتها مسرعا، و خرج دون أن يودع عمته من شدة انفعاله، فأسرت إليها الخانم مستطلعة:

- ما الأمر صغيرتي؟

- هو يحبني لكنه لا يريدني الآن، و أنا شبه متأكدة من أنك على علم بالموضوع.
- صغيرتي! لقد أقسم عليّ والدك بأن لا أخبرك بشيء من هذا، فسامحيني أرجوك، و لا تغضبي من والدك فقد أراذك أن تكبري، و تختاري لنفسك حب حياتك.
- قد أقسمت له أنه إن لم يتزوجني قبل عام، ألا أقبل به أبدا.. فليختر بيني و بين تلك الوصية الملعونة!
- اهدئي حبيبتي!

- لكنه يلعب بي ماما! و الحقيرتان تريدانه، و كل
واحدة منهما تحتال لتأخذه لنفسها.

فردت امها لاسترضائها:

- كينان يتعذب منذ سنتين، و أنت سبب كل عذابه
فلا تقلقي.

فأجابت إنجي بهدوء:

- إن الغد لناظره قريب ماما!

الحب فوق كل الظروف

مهما كانت الحياة قاسية، فإنها تحلو بتواجدنا مع من
نحب!

عاد كينان للمنزل بمزاج مضطرب عكر، فحاولت
تولين محادثته عند مدخل المنزل، لكنه أوقفها بإيماءة من
يده وواصل طريقه لغرفته.

أسرعت عابسة إلى خالتها و قالت:

- لقد رفض اليوم الخروج معي، و الآن يرفض
مجرد الكلام معي، لقد تعبت يا خالتي! فماذا علي أن أصنع
معه؟

- اهدئي تولين فما هكذا تُحل الأمور.. سيكون كل
شيء كما تريدين.

أنهى كينان حمامه و باله لا يزال منشغلا بإنجي،
فأخذ هاتفه و اتصل بها مباشرة دون تردد.. انتهت لرنين
هاتفها، فترددت ثم ردت بعد عدة اتصالات منه و قد
تصنعت البكاء:

- ألو!

- إنجي! لا تبكي أرجوك، فأنا أمقت نفسي عندما أكون سبب دموعك.. أنت روعي وحياتي.
- تدّعي حبي! لو كنت حقا تحبني كما تقول لما انتظرت كل هذه السنوات.

- قدسي بيك قد أخذ عليّ العهود و المواثيق بألا أقرب منك، و لا أفاتحك بالموضوع.. حبيبتني هو لم يسمح لي حتى بمجرد التعبير و الإفصاح عن مشاعري اتجاهك، حتى عمتي لم يسمح لها بذلك، اسألها إن شئت.. هي وصية ميت، و لا يمكن تجاهلها حياتي.

- لكنك تستطيع تجاهلي بكل سهولة.
- أبدا! أكيد لا أستطيع هذا، و لم أفعله يوما منذ وقعتُ في شباكِ غرامك.

لاحت في ثغرها ابتسامة جذابة فقال لها هامسا:

- تبتسمين! أنت تبتسمين حبيبتني.

فرددت بتلعثم:

- لا! لا.. كيف؟ أنا لا أبتسم.

- أقسم بحب إنجي في قلبي أنك تبتسمين.

فضحكت و قالت:

- أ أنت ساحر أم ماذا؟

- أنا لست بساحر، إنما أحبك و مجنون بحبك،
و رغم فارق السن بيننا، إلا أنني تخطيت كل حدود الكون
و أحببتك.

- كأنني أكلم جدّي.

فقهه ضاحكا وقال:

- إنجي، لقد سبق لي الزواج و لدي طفل الآن.

- هل يعني هذا أن أبحث لنفسي عن رجل مناسب أم

ماذا؟

- فقط مجرد التفكير بهذا الأمر يدفعني لقتلك يا إنجي

و قسما بالله..

فردت بابتسامتها الخلابه:

- هل أنت جاد في ما تقول؟ أنت لا تسمح لي

بالزواج من غيرك، و في نفس الوقت لا تريد الزواج مني.

- لكن لم أنت مستعجلة إلى هذا الحد يا إنجي؟

- و هل ستظل ناسكا لعام كامل؟ قسما بالله يا كينان

إن اكتشفت فقط مجرد محاولتك التقرب من امرأة غيري،

فلن أنظر لوجهك أبدا!

- أنا أعشقتك! أحبك وحدك، و لا يوجد أية امرأة

غيرك بحياتي.

- ماذا عن جيندا؟
- أنت أدري بكل الأمور، و قد وقعت في غرامك و
أنا لا أزال متزوجا منها.
- و تولين التي تحوم حولك كذباة النفائات التي لا
تكلم و لا تمل؟
- هي ابنة خالتي فقط، و ليس بيني و بينها أي شيء.
- لكنها تحبك يا كينان.
- و أنا أحبك أميرتي.
فقال و قد لاح اليأس على قسماة وجهها:
- لكنها تقول بأنك تهوى الشقراوات.

فقال ضاحكا:

- ما الذي دهاك؟ أ أحب الشقراوات و أنا واقع في
حبائل حب أميرة شعرها أسود كجناحي غراب، أليس
غريبا هذا الذي تقولين؟ إن رميت الحق حبيبيتي، فأنت حبي
الأول و ما الحب إلا للحبيب الأول.

فابتسمت بمكر و قالت:

- يعني أنك ستناديني حبيبيتي أمام الكلّ أليس كذلك؟
و لم تكن الفتاة تريد بهذا إلا إغاضة غريمتيها و
إعلاء راية انتصارها عالياً.

- سأقول لك كل ما تريدين لكن ليس الآن حبيبتي.
- ما الذي يعنيه قولك هذا؟
- على الأقل ليس أمام العائلة حياتي.
- أمام العائلة ! هل هناك من تخشاه أم ماذا؟

فقال بحدة:

- إنجي، أنا لا و لم أحسّ أحدا بحياتي قطّ، و أنت تعلمين هذا جيدا و أكثر من أي شخص آخر.
- ممتاز! فليعلم الجميع إذا أنّي حبيبتك.
- لكنني لا أريد ضرب الوصية بعرض الحائط.
- كينان، أنت فقط حافظ على وصيتك، و لا تتدخل بشؤوني بعد اليوم!
- إنجي..!
- انتهى كل شيء يا كينان حتى قبل أن يبدأ، و أنا لا أقبل بعلاقة ظلامية تدور أحداثها في الخفاء.

فرد عليها بلهجة انتقادية:

- علاقة ماذا؟ نحن لن ندخل بأي علاقة يا إنجي، بل سيكون كل شيء بيننا رسميا عندما نعلن زواجنا بعد سنة.
- بغتها جوابه، و كبر عليها، فشعرت بضربة تهوي على أم رأسها، و كابوسها الوحيد تولين و جيندا. كانت

تخشى أن تأخذ منها إحدى المرأتان، فواصلت ضغطها
عليه قائلة:

- لا! لن أنتظر سنة، هذا مستحيل! إما أن نتزوج
قريبا و إما أن يذهب كل منا في سبيله.

فقال بصوت خافت:

- لماذا تصرين حبيبتى، هل من خطب؟
- أُصِرّ؟ و هل زواجي منك يسمى إصرارا؟ حسنا لا
عليك فأنا أعفك من كل هذه العلاقة و ضغوطاتها التي
تزعجك.

ثم أغلقت الخط مباشرة، فاستشاط غضبا و قال
بلهجة حانقة:

- اللعنة! لهذا السبب لم أكن أريدها أن تعلم بحقيقة
مشاعري.. اللعنة! كيف لطفلة أن تتحكم بحياتي؟

* * *

في صباح اليوم التالي، قامت إنجي من سريرها
مغضبة، ثم توجهت لعملها بعد أن قامت كلستان بمساعدتها
في تحضير نفسها، و قبيل خروجها التقت بأمها و أعلمتها
بكل ما جرى مع كينان.

دافنت إلى مكتبها، و باشرت عملها بعد أن سلمت على توبا. و كان كينان قد وصل لمكتبه قبل قدومها كعادته في التبكير للعمل، فتلقتَ يمينا و شمالا ثم قال بصوت محتدم:

- اللعنة!

ثم نادى على سكرتيرته و قال لها:

- هل حضرت إنجي أم ليس بعد؟

- أجل يا بيبك، هي بمكتبها الآن.

- أعلمها بأنني أريد رؤيتها فورا.

- حاضر كينان بيبك.

كانت توبا تحاول التقصي حول حال إنجي فقالت:

- إنجي، هل أنت بخير؟

- بخير توبا شكرا.

- هل هناك ما حدث بينك و بين كينان؟

فقاطعت حديثهما طرقات السكرتيرة و دخولها قائلة:

- صباح الخير إنجي خانم، كينان بيبك يريدك بمكتبه

في أمر مستعجل.

- أخبريه بأنني مشغولة و بأنه عليّ إنهاء بعض

الأمور المستعجلة.

راحت السكرتيرة تحرق إليها مندهشة، و لم يسبق لأحد أن ردّ أوامر كينان داخل المجموعة حتى أشقاؤه. سكتت قليلا ثم قالت:

- عفوا خانم!

- تماما كما سمعتِ، شكرا تستطيعين الإنصراف!

ابتسمت توبا و قالت:

- لقد صدق حدسي إذا فأنتما متعاركان.

- و من يكون حتى أتعارك معه؟!!

قبل وصول السكرتيرة، لمكتب كينان دخلت عليه تولين دون استئذان فصرخ في وجهها:

- تولين، انصرفي حالا فلست بمزاج يسمح بسماع

تفاهاتك!

- كينان، أنت تعلم بأنني أحبك..

- تولين! لقد قلت لك مرارا و تكرارا أن هذا لن

يحصل أبدا.. لا أريدك في حياتي، أنت ابنة خالتي فقط فهل

تفهمين؟

بلغت السكرتيرة مكتب كينان، و راحت

تنظر مندهشة لتولين التي كانت ترتدي ثوبا ذهبيا قصيرا لا

يصلح إلا للسهرات و الحفلات الليلية، فقال كينان:

- رفضت الحضور أليس كذلك؟

فأجابت السكرتيرة بصوت مرتعش:

- أجل يا بيبك، و قد قالت بأنها مشغولة.

التفتت إليه تولين، و قالت بنبرة انتقادية لا تخلو من
التشفي:

- أكيد أنها إنجي أليس كذلك؟ صغيرتك المدللة التي
دائما تصنع ما تشاء، تتدلل و ترفض، أما أنتَ فإن كل ما
تقوم به يعجبك كأنك واقع تحت سحرها.

صرف كينان السكرتيرة و قد ثارت حفيظته، ثم قال
مزمجا:

- تولين، فلتعي جيدا أن هذا الأمر لا يخصك، و هو
ليس من شأنك!
- و هل هذا الأمر يتعلق بالوصاية أم بأمر آخر
مثلا؟

- تولين!
- لا تقلق يا كينان يذوب الثلج و يظهر المرج.
- اغربي عن وجهي، اخرجي!

انصرفت تولين مسرعة، و قد تملكها الهلع من
نبرته الحادة.. و خرج كينان بعدها لكنه قصد مكتب إنجي.

دفع الباب بعنف، و دخل المكتب فوجدها بمفردها لأن توبا كانت منشغلة بالحديث على الهاتف خارج المكتب، فما كان منه إلا أن أغلق باب المكتب من الداخل.

كانت تولين قد رآته داخلا لمكتب إنجي، فتبعته و مكثت بجوار الباب، أما إنجي فظلت تحديق به في حيرة، ثم قامت من مكانها فجأة و قالت:

- افتح الباب، ما الذي تريده مني؟

فهز رأسه بالرفض و ردّ مبتسما:

- أريد منك كل شيء حبيبي.

ما إن وقعت كلماته الرنانة بأذن تولين، حتى اندهشت و أسقط في يدها، فراحت تننّ أنين السليم، و حلّ الجفاء و الحقد بينها و بين الحبيين محل القرابة.

إن المؤسف أن القبح و الجنون في حياة الرجل يأتيان دائما من تسلط النساء.. إنه ليس على المرأة رفع المطالب ضد الرجل، و لكن يجب على الرجل الإنعتاق من امرأة مثل تولين!

التزمت إنجي الصمت لبرهة ثم قالت:

- كاذب! أنت لا تحبني و لم تحبني يوما.

جلس مقابلا لها على حافة المكتب و قال مستصرخا
يكاد يجن من العذاب:

- حبيبتي إنجي، أنتِ تعلمين ظروفنا.

فردت بإنكار و تدلّل:

- الحب فوق كل الظروف كينان.

- ملاكي، أنت تعلمين أن شرط والدك هو العقبة

بيننا.

- إنها وصية جائرة! هل كان الحب يوماً خطيئة أو

ذنبا؟

ابتسم كينان و قد زال عنه بعض ما اعتراه من الغم،

فداعب خدها الرقيق بأنامله و قال:

- لا عليك حبيبتي، سأسأل عن أمر الوصية إن كان

يمكن التغاضي عنها و تجاوزها.

تهللت أساريرها و قالت:

- حقا!

- و هل كذبت عليك يوماً؟ سأتزوجك مهما كلف

الأمر.

انتفضت تولين عند الباب كالذي به مسّ، و انطلقت
مسرعة فاصطدمت بتوبا في الرواق، إلا أن الأخيرة كانت
غاضبة هي الأخرى بسبب ما، فلم تحفل إحداهما بالأخرى
و مشت كل منها في سبيلها.

تحركت أنامل كينان على خدّ فراشته الرقيق، ثم
مرر أصابعه بلطف بين خصلات شعرها فابتسمت بخجل
و قد راقها الأمر، فقال هو مبتهجا:

- أنتِ أجمل أنثى بالكون، إنك أحب إليّ من نفسي
التي بين جنبيّ.

- ما كان أجملها لو قلت أجمل امرأة حبيبي.
- لا تزالين صغيرة حبيبتني، لكنك ستكونين أجمل
امرأة بالكون حين نتزوج.

اقتربت منه و هو لا يزال مستندا على المكتب،
فالتصقت به و قالت هامسة في أذنه بصوت عذب فتّان:

- أنا امرأة منذ أن أحببتني، و عيناك لا تزالان
تلاحقاني في كل مكان حبيبي.

اصطدمت الأجساد بعضها ببعض فجأة لتزيل
حرارة الشوق، و تلامست راحات الأيدي لتنتقل أحاسيس
الجوف و مشاعر الروح، ضمها إلى صدره بعد أن سقطت
منه بعض الوثائق ضمة أنستها مرارة الفراق، و جميع

اللحظات التعيسة التي عاشتها بحياتها، فحضنته بذراعيها الرقيقتين و تعلقت أصابعها بقميصه من الخلف كطفلة بريئة مدللة تعاتب و تشتكي.

طبع قبلة صغيرة على جبينها أطفأت لهيب حنانها كأنما بعث الحياة في ودرته بعد ذبول و أفول ثم قال هامسا:

- تبقين أنتِ وحدك حبا داخل قلبي أغرم به كل يوم!

لاحت على ثغرها الفاتن ابتسامة لذيذة مأكرة رسمتها شفاتها الورديتان الساحرتان، و سحابة الحب الوردية تظللها بظل العشق و الغرام.

ثم بتحدّ و جسارة لا يتجسدان إلا تحت سحابة الحب، مالت نحوه بعد أن اقتربت منه أكثر، فأخذت شفته السفلى بين شفتيها ثم راحت تمرر لسانها حتى رطبت شفته برضاها، فأشرق محياها و رفع حبيبها وجهه متنهّدا من أعماقه.

لقد تحدّته بأنها ليست صغيرة كما يزعم، بل سلبت قلبه و لبه.. و ما إن عاد لكيان عقله حتى دفعها عنه:

- اللعنة إنجي!

شهِقَت الحسَناء من الفزع و اضطربت حواسها بعد
أن طُرِق باب المكتب فجأة.

المكيدة

جثت تولين عند ركبتي خالتها في بهو المنزل، و
أقامت الدنيا و أقعدتها بالصراخ و العويل، فاندهشت هيفين
خانم و قالت متسائلة بتلهف:

- تولين، ما الأمر.. ما بك؟

فارتعدت و صرخت بصوت يذيب الجماد:

- سمعته يا خالتي ! إنه يحبها بل و يعشقها.. لقد كان
يغازلها و يترجاها.. لقد سمعته بأذني هاتين!
- من تقصدين؟
- كينان يا خالتي، إنه يعشق تلك الطفلة!
- إنجي!

فأجابت تولين بصوت مرتعش:

- أجل إنها تلك الحقيرة، سأنتحر يا خالتي، أريد أن
أموت!

حاولت هيفين مساعدتها على القيام لكنها لم تستطع ذلك، لم تحملها قدماها من هول الصدمة، فقد انتهى كل شيء بالنسبة لها، لقد كان الزواج من كينان منتهى آمالها و أمانها في الحياة.

لكن الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف.

لم يتحقق الحب بالإكراه يوما، و لن يكون ذلك أبدا فهذه سنة الحياة.

لقد كان الأحرى بتولين أن تحاول لفت انتباه كينان إليها بالتظاهر بأنها مستقلة و راضية عن نفسها و حياتها، لربما كان سينجح هذا الأمر. فكلما حرصت المرأة على جذب اهتمام الرجل نحوها، زاد نفوره منها، فتبوء كل محاولاتها بالفشل، و لن تحصد جرّاء هذا غير الألم و المرارة.

كما يقول المثل، اتبعني و سأهرب منك، اهرب مني و سأتبعك. فالإنسان ينجذب دائما للأشياء التي لم يملكها بعد.

راحت تولين تصرخ و هي تتجرع كأس المرارة:

- انتهيت! لقد انتهى كل شيء بحياتي.

اقتربت منها خالتها، و راحت تربّت على كتفها و
هي تقول بلهجة ماكرة:

- كفكفي دموعك عزيزتي، فإننا سنجد حلا يرضيك
و يخمد نيران أحزانك.

دب بصيص أمل في حياة تولين بعد أن أظلمت عن
آخرها، فقالت مستطلعة:

- كيف ذلك خالتي؟ أرجوك اشرح لي أرجوك.

ابتسمت بمكر و دهاء منقطعي النظر و قالت:

- الأمر أسهل مما تظنين عزيزتي، فلدينا صديق
داخل منزل ديلارا.

- صديق؟

- نعم إنها كلستان.

- أظنك تقصدين خادمة إنجي، أليس كذلك؟

- أجل، و قد اشتريتها منذ مدة لأستعملها في مثل هذه
الأوقات العصيبة.

ويل للعالم من مكر النساء، لم يخب ظن إنجي بهيفين
أبدا، فهي في المكر و الدهاء كما وصفتها تماما، حية في
ثوب امرأة.

و قد قيل لحيّة سامة يوما، أكان يسرّك لو خُلقتِ
امرأة؟ فقلت أنا امرأة إلا أن سمّي في نابي، و سمها في
لسانها.

ويل لإنجي من هيفين!

- و ماذا تستطيع أن تصنع من أجلنا يا خالتي؟
- حمقاء! اشتريتها لتصنع لي ما أشاء ألا تفهمين؟
- لكن ما دخلها فيما أنا فيه الآن؟

فأجابت و الشر يتطاير من عينيها:

- سيبتعد عنها كينان للأبد، بل سيمقتها و يكرهها!
- لم أفهم شيئا مما تقولين خالتي.
- لا تستعجلي الأمور فلكل مقام مقال.

* * *

كان باب المكتب لا يزال مغلقا، فأسرعت إنجي
نحوه و فتحته، فتملّكت توبا الدهشة مما رآته و قد كان
الأمر واضحا وضوح الشمس.

انصرفت إنجي إلى المنزل و أغلقت باب غرفتها
كعادتها، و اعتكفت على البكاء و النحيب. حاولت ديلا را

محادثتها لكنها رفضت ذلك، مما شغل بال أمها، فاتصلت
بكيان دون تردد و هي تعلم دون أدنى شك أنه وراء ما
يجري.

كان وقتها بمكتبه واضعا كلتا يديه على رأسه متندما
على ما حدث، و أخذ يناجي نفسه:

-مستحيل! ألسنت وصيها؟ ألسنت مسؤولا عنها؟
اللعنة! لقد نقضت لتوي وصية والدها.. لكن ما عساي أن
أفعل مع طفلة طائشة؟

انتثله اتصال ديلارا المفاجئ من مناجاته، فراح
يتأمل هاتفه دون أن يتجرأ على الرد. ما الذي سيقول
لأمها؟ هل سيقول بأنه آسف لأنه قبّل ابنتها؟ لكن..

كانت حينها إنجي لا تزال تحبس نفسها داخل
غرفتها. ضربت فجأة الأرضية بقدمها من شدة الغيظ، ثم
أرسلت له رسالة حادة اللهجة لكنه لم ينتبه لها حتى بلغ
المنزل، فاتصل بها مباشرة بعد اطلاعه عليها:

- إنجي، ما هذه الرسالة ماذا تقصدين؟

فأجابت محتدمة و قد سرى الغضب في أوصالها:

-تماما كما قرأت! سأبحث لنفسي عن رجل يعرف
لي قدرتي و يحسن معاملتي.

فصاح و كأنه يريد أن ينفذ من خلال سماعة الهاتف:

- قسما بالله أنني سأقتلك يا إنجي!

أسرعت حينها هيفين نحو تولين مستبشرة، بعد أن كانت تسترق السمع عند باب غرفة كينان فقالت:

- تولين، إنهما يتعاركان.

- من؟

- كينان و تلك الحقيرة.

فردت تولين بيأس:

- سيتصالحان غدا يا خالتي، فهو لا يتحمل بعدها.

- أنا من سيمنع هذا يا تولين.

- كيف؟

- ستفهمين بعد قليل، أعطني هاتفني بسرعة.

أنهت إنجي مكالمتها مع كينان و المشكل بينهما لا يزال قائما، فجلست تبكي بحرقة. أما هو فعاد لمناجاته قائلا:

- إن الأمور لا تزيد إلا تعقيدا كلما تحدثت إليها..

لكنها لم تعد طفلة، و هل تلك القبلة قبلة طفلة؟ لا! أبدا..

أه! إن الفاشل مأخوذ دائما بفشله، اللعنة على تلك الوصية!

مرت ليلتهما تلك بين شد و جذب، كل منهما في
غرفته يجترّ آلامه.

في صباح اليوم التالي، قررت إنجي عدم الذهاب
للمجموعة. حتى أنها رفضت مفاتحة أمها بالموضوع، و لم
تكن ترد على الإتصالات بهاتفها مهما كان المتصل، و
قضت نهارها بغرفتها.

في المساء أرادت أن تشغل نفسها بأي شيء، المهم
أن تنسى همومها و توقف ذاك الصراع الداخلي مع نفسها،
فدخلت المطبخ تريد إعداد قهوتها بنفسها.. فابتسمت
كلستان بعد رأتها و قالت:

- إنجي خانم، ديلا را خانم هي الأخرى تريد فنجان
قهوة، إلا أن بيرنا اليوم في عطلة و كما تعلمين فالخانم لا
تشرب إلا قهوة بيرنا.
- لا عليك كلستان، ساعد فنجانا آخر من أجلها و لا
أظنها سترفضه.

ابتسمت الخانم بعد أن رأت إنجي قادمة نحوها
حاملة فنجانين من القهوة بحذر فقالت:

- صغيرتي، ما هذا؟
- لقد أعددت قهوتي بنفسي و فنجانا آخر من أجلك،
لأن بيرنا في عطلة فتذوقي قهوتي.

- شكرا حبيبتى. بالطبع لن أرفض قهوة ابنتى.

تذوقت الخانم رشفة من فنجانها ثم قالت:

- أممم! رائعة، شكرا صغيرتى. و الآن حدثيني بالتفصيل عما يجري.

- بينى و بين كينان؟

- أجل!

- لقد قتلته!

فانتفضت الخانم مندهشة:

- ماذا؟

- أجل ماما، لقد قبلت كينان.. لقد تجاوزت حدودى و قبلته كما يقول.

- لكن.. هذا لا ينفع يا صغيرتى.

نادت إنجي على خادمتها و طلبت منها كوبا من الماء، فأحضرت كلستان الكوب و هي تبتسم ابتسامة غامضة، فتناولته إنجي دون أن تأبه لخادمتها و شربت منه و واصلت حديثها:

- إنه يستهتر بي و لا يهتم لأمرى، لا أستطيع أن أنتظر سنة ماما، أريده أن يكون لى وحدى دونهما، و أريد أن أصبح أمًا.

اندهشت الخانم من كلامها، لكن إنجي قامت فجأة
عن الكنبه، و قد أغلبها التثاؤب و بدى عليها بعض
الإرهاق و الفتور فقالت:

- أنا أشعر بالنعاس ماما، رغم أنني لم أقم بأي عمل
مرهق، و قد استيقظت في وقت متأخر، سأذهب لأتمدد
قليلاً بغرفتي.

حاولت الخانم الإستمتاع بقهوتها، إلا أن النعاس
أغلبها هي الأخرى فهمت بالذهاب لغرفتها لكنها لم تستطع
القيام، و اكتفت بالإتكاء على الكنبه. هذه أول مرة تغفو
بها الخانم خارج غرفتها.

بعد أقل من ساعة، دخلت كلستان غرفة إنجي و
نادتها:

- إنجي خانم، سيدتي..

إنجي لا تردّ، يبدو أنها تعبت جرّاء التفكير طوال
الليل.

إلا أن كلستان تأكدت أن إنجي تغط في نوم عميق،
ثم أسرع نحو ديلا را و قد خلا لها الجو، فاحتملتها على
كتفها و وضعتها على سريرها بغرفتها، و قد شقّ عليها
ذلك لأن الخانم كانت نائمة كالمغشي عليه.

عادت بعدها كلستان لغرفة إنجي التي كانت واقعة في موجة هستيرية من الضحك بعد أن أفاقت من غفوتها و قالت لها:

- هيا يا خانم سأغير لكِ ملابسك.

فتحت الخزانة و أخذت منها ثوب نوم فاضح، لا يخص أنجي و لم يكن يوما بخزانتها، أما إنجي فقد واصلت ضحكها بهستيريا كأنها في عالم خاص بها.

ابتسمت كلستان بمكر، ثم هرعت إلى باب المنزل بعد أن رنّ الجرس. فتحت الباب، فدخل شاب مفتول العضلات و نظر إلى كلستان بعينين سوداوين تقطران مكرًا و شراء، فأومات له أن إصعد إلى الغرفة.

دخل غرفة إنجي، و أغلقت كلستان عليهما الباب كما كانا متفقين، مستعملة نسخة المفتاح التي قدمتها لكيان يوم شجاره مع إنجي.

أتمت الخادمة كل الترتيبات التي اتفقت عليها مع الشاب، ثم أخذت هاتفها و تصنعت الخوف و الحيرة ثم اتصلت بكينان:

- كينان بيك، أرجوك تعال بسرعة.. نحن في مصيبة، أرجوك تعال أنا كلستان خادمة إنجي.

- ما الأمر كلستان، ما بك؟
- لقد طلبت مني سيدتي أن أحضر لها بعض
الأغراض من سيارتها، لكنني وجدتها عند عودتي في حالة
غريبة.

فصاح بصوت جهوري:

- ما بها؟ أين عمتي؟
- لا أدري يا سيدي هي لا ترد أرجوك تعال!

أقفل الخط و انطلق بسرعة جنونية، فكاد أن يتسبب
بحادث مرور كارثي. دخل المنزل بعد أن استغرب بقاء
الباب الخارجي مفتوحا، ثم أتت إليه الخادمة مرعوبة فقال
لها:

- أين هي؟
- بغرفتها سيدي.

كان الباب مغلقا و صوت ضحكاتها يملأ المنزل
فقال:

- إنجي، افتحي الباب و إلا خلعته!

لم تأبه لصراخه و ثورة غضبه و ظلت تضحك
بهستيريا.

- إنجي!

تراجع خطوات إلى الخلف، ثم ركل باب الغرفة
فخلعه، فاندھش فجأة من هول ذلك المنظر.

كانت إنجي لا تزال تضحك، و هي جالسة على
الأرضية و جُلُّ مفاتها ظاهرة فتعلقت برجليه قائلة:

- كينان..

لقد كان الشاب الغريب بجانبها، و أزرار ثوبها
مفتوحة، فانسحب الشاب بسرعة في غفلة من كينان الذي
جثى على ركبتيه من الصدمة.

انهمرت دموعه و راح يصرخ:

- مستحيل! هل هذا حلم أم حقيقة؟

ابتسمت إنجي و أجابته:

- تعال حبيبي تعال.

اقتربت منه و أمسكت يده قائلة:

- اقترب مني حبيبي ما بك؟

دفعها بعنف و قال:

- ابتعدي عني! ابتعدي أيتها الحثالة العاهرة!

فردت مقهقة:

- أنا عاهرة؟

- حثالة ساقطة! نعم أنت عاهرة!

ثم قام بشق النفس، لكنه ترنح و كاد يسقط لو لا أنه
أسند نفسه بأحد جدران الغرفة، و قد أظلمت الدنيا أمام
عينيه. أما إنجي فواصلت ضحكاتهما حتى صاح بوجهها:

- اسكتي أيتها الحشرة، لا أريد سماع صوتك!

- تعال إليّ حياتي.

حاولت التمسك بثيابه لكنه صفعها بقوة قائلا:

- لن ألوث يداي بعاهرة قذرة مثلك!

حاول إيجاد عمته فقالت له كلستان:

- إنها تغط في نوم عميق، لقد حاولت الإستنجاد بها

لكن يبدو أن إنجي خانم قد وضعت لها منوما بقهوتها.

ركب الشاب المهيب الجناح سيارته و قد انهمرت

الدموع من عينيه قهرا. إن كينان في حالة يرثى لها، فقد

اصفر وجهه و اختلجت نفسه، و مادت به الأرض فنهاوى

في سيارته كالجثة.

قاد سيارته و عاد للمنزل منكسرا حزينا يجر أذيال الخيبة، و تملكه حزن رهيب.

استعادت الخانم و عيها فجأة بسبب الفوضى و اللغط بالبيت، و راحت تحدث بيرنا التي حضرت على جناح السرعة فقالت لها:

- أنت تمزحين بيرنا، إن هذا مستحيل.
- العفو يا خانم، لكنني جادة فيما أقول. لقد اتصلت بي كلستان و قالت بأن إنجي طردتها.

وصلت الخانم و بيرنا إلي غرفة إنجي فوجدتها تبكي، يبدو أن أثر المفعول بدأ يزول عنها.

- إنجي، صغيرتي.
- ماما، ما الذي يجري؟ أنا لا أفهم ما يحدث. لقد دخل رجل غريب إلى غرفتي، و كينان كان هنا أيضا و كان يصرخ بوجهي و يقول بأنني عاهرة.
- اهدئي يا بنيتي، و أشرحي لي ما حدث.
- ماما، أنا لا أعلم شيئا صدقيني ماما. أقسم لك!

ثم انتفضت عن سريرها و قالت بحزن:

- سأذهب لأراه.

- لا إنجي توقفي.

أسرعت الفتاة نحو سيارتها بعد أن زال أثر المفعول نهائياً، و لم تستطع أمها اللحاق بها، فقالت بيرنا للخانم:

- عذرا خانم، لكن كلستان أعلمتني أن إنجي وضعت لك منوما بقهوتك.

- اصمتي! ابنتي لا تكذب. استدعي كلستان، أريد أن أراها فوراً!

- حاضر يا خانم.

أوقفت إنجي سيارتها أمام منزل كينان، و جرت إلى الداخل كالمجنون. رأتها إليف حالها فصرخت بجزع:

- إنجي، ماذا هناك؟

لم تجب الفتاة و جرت نحو غرفة كينان، فدفعت الباب و دخلت. تلاقت نظراتهما و عيناها لم تجفا بعد من الدموع فصرخت:

- كينان، أنا..

- اخرجي! اغربي عن وجهي أيتها الحشرة الساقطة.

- كينان أنا أحبك! أنا..

- أنت مجرد عاهرة رخيصة.

ثم أمسك بذراعها بقوة، وجرّها للخارج و هي تصرخ قهرا و ظلما، فأسرع كل من بالمنزل و رأوه يسحبها على السلم. فصرخت توبا:

- كينان! لا..!

فتح الباب و ألقى بها خارجا ثم أغلقه. وقعت المسكينة تبكي على الأرض و قد استبد بها اليأس و الحزن، فانهمرت دموعها مدرارا.

إن بكاءها بكاء مر، بكاء بريء لا أحد يستطيع إثبات براءته، لا أحد ينصفه، و لا دليل ينفي عنه تهمة.. و من غير الله يرد اعتبار البريء؟

وقع كينان هو الآخر على أرضية البهو مسندا ظهره للباب يبكي و ينتحب بمرأى من الجميع، إنه يبكي كالثكلى التي فقدت وحيدها بعد أن مات زوجها.

أسرعت أختاه نحوه:

- كينان، كينان..

ثم احتضنتاه و الدموع تنترقرق من عيونهما، فتمتمت إليف:

- كينان، إنجي..

- اصمتي! لا أريد سماع اسمها أبداً.

وضع كلتا يديه على رأسه، وراح ينجح نفسه
مقهوراً:

يامن هواه أعزه وأذلني.....كيف السبيل الى وصالك دلني

أنت الذي حلقتني وحلفت ليوحلفت إنك لا تخون فخنتني
و حلفت أنك لا تميل مع الهوى.....أين اليمين وأين ما عاهدتني
وتركتني حيران صبا هائما..... أرعى النجوم وأنت في نوم هنيء
عاهدتني ألا تميل عن الهوى.....وحلفت لي يا غصن ألا تنثني
هبّ النسيم ومال غصن مثله..... أين الزمان وأين ما عاهدتني
جاد الزمان وأنت ما واصلتني..... يا باخلاً بالوصل أنت قتلتني
واصلتني حتى ملكت حشاشتي.... ورجعت من بعد الوصال هجرتني
لما ملكت قياد سرّي بالهوى.....وعلمت أنني عاشق لك خنتني
ولأفعدنّ على الطريق فأشتكي..... فأقول مظلوم وأنت ظلمتني
ولأشكينك عند سلطان الهوى..... ليعذبّك مثل ما عذبتني
ولأدعينّ عليك في جنح الدجى..... فعساك تبلى مثل ما أبليتني.

الحادث

حينما يبكي الرجل من أجل أنثى، فهذا ليس ضعفاً منه بل قوة.

فلا بد لتلك المرأة التي سقطت دموع الرجل من أجلها أن تقتخر، فدموعه أعلى ما يملك، و لا تنحدر من مقلتيه إلا من أجل عزيز غالي.

يا ليت إنجي تعلم ما لها في قلب كينان! لكن..

انصرف كينان من المنزل لا يلوي على شيء، و ترك كل من بالمنزل تحت الصدمة، إلا هيفين التي كانت تتحرك بكل سرور كالحية الرقطاء المُنْدَسَّةِ بين الرمال.

ثم التفتت إلى ابنة أختها و قالت:

- لقد نجح الأمر يا تولين.

- لكنني أخشى أنه خرج من أجل مصالحتها يا

خالتي.

- مستحيل! فإن ابني لن ينظر إليها أبداً، و كرامته لا

تسمح له بذلك.

- ربما سيبحث عن الشاب ليقته.

فردت هيفين بابتسامة واثقة:

- إن الشاب و كلستان قد أخذوا وجهتهما خارج تركيا،
لقد انتهى كل شيء و لا يوجد أي أثر.

استبشرت تولين و زال عنها بعض همها فقالت:

- ها قد انتهينا منها إذا، فلنذهب تلك الحقيبة للجحيم.
- و هذا ما أردته منذ البداية يا تولين، هو الآن من
نصيبك عزيزتي فأقديمي و لا تترئيئي.

كان كينان يقود سيارته بسرعة جنونية، و دمعة
رقراقة تترجّح في مقلته، و كلما حاولت أن تنزل حبسها،
و استمر في قيادته على تلك الحال بعد أن انتهت كل الدنيا
بالنسبة له، و تحطمت صروح أحلامه فلم يرَ بُداً من البقاء
في هذه الحياة المريرة الموسومة بالخيانة و النفاق.

و بينما هو بين شد و جذب، يرنو و لا يدنو و هو بين
شوارع إزمير، حتى أفلت مقود سيارته فجأة و أطلق
العنان للسيارة بعد أن ضغط بشدة على البنزين حتى كادت
السيارة تطير من فرط السرعة.

و ما هي إلا أجزاء من الثانية، حتى انتفض المارة
من هول الصدمة و دويها الذي انخلعت له القلوب. كانت
شظايا الزجاج متشنتّة هنا و هناك، الدخان يتصاعد من

السيارة، رائحة البنزين تملأ المكان، الدماء تغطي الرصيف، و معظم الطريق كأن المذبح البلدي قد نقل إلى المكان. لقد كان الطريق محمراً جوانبه، كأنما الرصيف ملؤه حممً و لهب. عمّ الضجيج و اللُغظ مكان الحادث، و سبّبَ حادث المرور عرقلة سير عزيمة، بدايتها أمام جسد كينان المُلقى على أرضية الطريق مضرجا بالدماء، لا يكاد الناظر إليه يحدّد تقاسيم وجهه.

كانت إنجي وقتها قد ذهبت و هي تجر أذيال الخيبة، لكنها لم تكن تدري إلى أين وجهتها، المهم أن تبتعد عن ذلك المكان، و عن أي شيء يذكرها بتلك الليلة الفظيعة.

أرادت أن تنتزع نفسها من ذلك العالم القاتم البغيض، عالم فيه حبيب لا يصدّق بأنها لا تعلم شيئاً مما جرى. كلّ ما تتذكره إنجي، هو أن رجلاً غريباً قد انفرد بها في غرفتها في لحظة لا تعي لحد الآن هل حدث فيها أمر بينهما أم لم يحدث!

هي لا تدري لحد الآن إن كانت قد فقدت أعلى شيءٍ يمكنها أن تقدمه مهراً لزوجها.

من الذي يصدّق قصتها، إن كانت هي نفسها لا تعلم تفاصيل القصة المشؤومة؟

اتصلت بها ديلارا فتفطنت إلى رنين هاتفها و ما كان منها إلا أن ألقّت به من نافذة السيارة وسط الظلام الدامس.

لم تكن الفتاة تحمل معها أي شيء، سوى حقيبة يدوية جلدية سوداء مثل حظها، تحوي جواز سفرها، بطاقة بنكية و أجندة صغيرة بها بعض الرسومات و الخربشات المتناثرة بين صفحاتها. و قد كان بين طيات الأجندة بطاقة جَانْسِلْ، بها عنوان مكتبه و رقم هاتفه المحمول الخاص بالعمل.

عزمت أمرها فجأة و وجدت لنفسها ملجأ لم يخطر على بالها أبدا ثم راحت تتمتم:

- آه لو كنت أعلم يا زمن ما كان يخفيه القدر،
لنزعت قلبي بيدي و زرعت قلبا من حجر!

ها هي الحياة تعلمها بأن لا تبالغ في حب أي كائن يدب على وجه الأرض، لأن مصير المحبوب إما الرحيل و إما الفراق القاتل.

أوقفت سيارتها بالرصيف الخاص بالمسافرين بمطار عدنان مندريس. ثم حجزت بأول رحلة متجهة نحو المكان الذي قررت اللجوء إليه، منزل جانسل ابن أخت ديلارا الذي يعيش فيه مع أمه.

و رغم أن إنجي لم تحب رَنْدَةَ تورباش خانم يوماً،
إلا أن رندة لا تكرهها و لا تُكِنُّ لها أية مشاعر. لكن النبيل
من يغيث الملهوف وقت الشدّة، أيّاً كان هذا الشخص
بالنسبة له.

و قد أحست الفتاة أن رندة خانم لن تردّها خالية
الوفاض، و أحست أنها الوحيدة التي تستطيع تفهّم وضعها.
أمّا جانسل فهو صديق كينان المقربّ و توأم روحه،
إضافة إلى ذلك، فهو ابن عمّة كينان.

فُيبل صعود إنجي إلى طائرتها، اتصلت بجانسل بعد
أن فقدت كلّ أرقام الهواتف جرّاء رميها لهاقتها. كان
جانسل قد استفاق لتوّه من النوم، شابّ جميل لا يزال على
سريره بعينين خضراوين، و شعرٍ ضاربٍ لصفرة ذهبية،
تعلو محياه أمارات النبل و الثراء.

انتبه لهاتفه فابتسم و ردّ قائلاً:

- الصغيرة المزعجة! مرحبا.

فردت بلهفة:

- جانسل، أنا في أمسّ الحاجة إليك!

- هل أنتِ تبكين يا إنجي؟ ماذا هناك، هل من

خطب؟

- أنا في طريقي إليكم يا جانسل!
- لقد أفرعتني، ما الذي يجري هناك؟
- سأخبرك بكل شيء عند وصولي، فقط أخبر خالتي
رندة أنني لاجئة لحُضِنِها، و أرجو ألا تردني.
- حسنا، متى تفلح الطائرة؟
- خلال عشرون دقيقة.
- حسنا، سأنتظرُك بالمطار.
- أرجوك جانسل، اطلب من خالتي أن تُخبر ماما
أنني بخير.
- حسنا، حسنا، رحلة موفقة إنجي.

لقد كانت رندة خانم بجانب ابنها بغرفته و هو
يتحدث على الهاتف، و قد فهمت أن إنجي هي المتصلة
فقال متسائلة:

- ماذا هناك يا جانسل؟ ماذا تريد منك إنجي؟
- لا أدري ماما، هي تبكي و تقول أنها أتية إلينا
بمفردها.
- أنا متأكدة أن الأمر غير مهم، ربما ضغط عليها
كينان كعادته.

ابتسم جانسل قائلاً:

- آمل أن يكون الأمر كذلك، و هي تطلبُ منك أن تتصلي بخالتي لتطمئنيها عليها.

التقطت الخانم هاتفها فوراً و اتصلت بأختها. رن هاتف ديلارا و هي بالمستشفى مع الجميع.

كينان بغرفة الإنعاش.. الأمر لا يبشّر بخير!

كان هاتف ديلارا لا يزال يرن، و هيفين تصرخُ في وجهها:

- ابنتك المدللة هي السبب، لقد تعاركت معه، هي التي قتلته!

كانت تولين تبيكي، أو تُنزل دموعاً خالية من المشاعر و هي متمسكة بثياب خالتها، فكل ما كان يهمها هي ثروة كينان و ماله، و المال منذ كان فهو صنم يُطاف به، و الناس منذ أن خُلقوا فهم عبَادٌ لهذا الصنم.

أمّا توبا فكانت تستند على جدار الرواق و هي تقول بانهييار:

- كلاً! لن يموت أخي.. لن يموت.

اتصلت رنده خانم من جديد، فانتحت ديلارا جانباً بعد أنفطنت لهاتفها و ردت:

- رندة، الحقينا!

- ماذا هناك ديلا راء؟

رَدَّت ديلا راء و هي تصرخ و تبكي:

- كينان! كينان تسبب بحادث مرور ليلة البارحة، و هو بغرفة الإنعاش مُذ ذاك.

فهتفت رندة مفزوعةً:

- لا! كينان، لا يمكن.. و هل استعاد و عيه؟

- لا أحد يعلم، حتى الأطباء لا يقولون شيئاً.

فقالَت رندة مغضبةً:

- لهذا هربت الطفلة الغبية إذًا!

- عن أي طفلة تتحدثين؟

- عن إنجي!

اننفضت ديلا راء قائلةً:

- إنجي هربت! إلى أين؟ و كيف علمتِ بالموضوع؟

- لا تقلقي فهي قادمة نحونا اليوم.

- هل أنا بحلم أم ماذا يا رندة؟ أظنني أعيش كابوساً

فظيعاً.

- حدثيني عن كينان يا ديلا راء.

- لا أدري! رنّدة أرجوك، ابنتي قد اختارتك ملجأً لها، أرجوك لا تغلق الباب بوجهها.
- اطمئني يا أختي هي اختارتني و لن أخيب ظنّها.
بعدها سأتى و جانسل لنطمئن على كينان.
- لا، لا! سأخبركما بكل ما يحدث، فقط اعتنوا بابنتي، أنا أخشى أن تنتحر إن بلغها الأمر.

فردت رنّدة باستياء، و قد كان جانسل بجانبها متسمرًا بمكانه من هول ما سمعه من أخبار.

- أظن أن الأمر سيء يا ديلا را.
- بل أسوأ مما تظنين، لقد حاول الإنتحار عمداً.
- أنتِ تمزحين، أليس كذلك؟
- بلى! لقد أثبت شهود عيان صحة الخبر.. أرجوك لا تدعيها تعلم بأي شيء.

كان جانسل قلقاً جداً على حياة كينان، فلم يترك هاتفه من يده و لو للحظة واحدة، و قام بتأجيل كلّ أعماله. و لو لا قدوم إنجي و إصرار خالته على بقائه مع ابنتها، لما انتظر دقيقة واحدة. كينان يعتبر بالنسبة له أعز صديق، و هو أخ لم تلده له أمه. و ما زاد من شعوره بالذنب أنه وجد اتصالاً من كينان ليلة البارحة قبيل وقوع الحادث. لقد نام و نسي هاتفه على الوضع الصامت فلم ينتبه للمكالمة.

ربما لو رد على المكالمة لما وقع كل هذا.. و ما أسوأ الندم على أمور لم نقم بها، أو كلمات لم نقلها في وقتها المناسب لأحباب فرقتنا عنهم الحياة أو الموت!

في الرواق و بقرب غرفة الإنعاش، ساد الهلع و سيطر الخوف على قلوب الجميع.. تسارعت دقات قلب توبا في تلاحق عنيف، و انعقد لسانها و خرس عن الكلام بعد صراخ طويل، و كانت تنظر إلى إليف التي تسمرت بمكانها كعمود شُدَّ إلى الأرض شُدًّا، و هي تكتم أنفاسها من هول الصيبة.

أما تولين و خالتها، فقد بدأتا تحمِلقان في المكان و تشهقان من شدة الخوف و الرعب الذي تملّكهما، كيف لا و هما سبب كل ما يجري؟ و بسبب حماقتهما و طيشهما كينان الآن يصارع الموت وحيدا داخل غرفة الإنعاش، و ليس بينه و بين هادم اللذات إلا خيط أدق من الشعرة.. حتى الدكاترة أسلموا أمره للقدر ليقضي فيه أمره بعد، أن استنفذوا كل الوسائل المتاحة.

سمعت ديلارا فجأة رأي الدكاترة حول وضع كينان الحرج فحبست انفاسها، و كتمت صرخة كادت تنطلق من أعماق نفسها.. شعرت برجفة الهلع تُقَطِّعُ فؤادها، و تمزّق أحشاءها، و راودتها أفكار كثيرة، فراحت تناجي ذاتها بصوت غير مسموع:

- هل سيموت؟ مستحيل.. رباه! أين المفر و كيف
الخلاص؟

فهمست إليف بأذنها فجأة كأنها كانت تُصغي
لمناجاتها:

- طلب الدكتور أن ندعو له!

شَلَّتْ كلمات إليف حركة ديلارا، و قَبِدَتْ أقدامها،
حتى عقلها تعطل عن التفكير. لقد أصبح فؤادها فارغاً،
فراغ فؤاد أمّ موسى لما أَلَقَتْ بصغيرها في اليم، لكن الله
أعاد لها صغيرها كي تَقَرَّ عينها و لا تحزن، فهل سَنُلاقِي
ديلارا نفس قدرِ أمّ موسى فتَقَرَّ عينها بحياةٍ جديدةٍ لكينان؟

هي عمّته، لكنها تملك قلب أمه. أما كان الأخرى
بكينان أن يختارها أمًّا له؟ أو ليست مشاعرها اتجاهه، و
خوفها على حياتها إلا مشاعر أمّ حملته بين أحضانها؟

ليتها كانت أمه! لكن تجري الرياح بما لا تشتهي
السفن.

لم تجد عمته و أخواته ملجأً من الله إلا إليه، و لم
يجِدن بدأً من انتظار قضائه و قدره.

حتى سيدنا يوسف لما أُلقي به في غِيَابَةِ الجبِّ ترك
كل أمرِه لله، فتولاه الله برحمته، فكان ماء الجبِّ آسنا
معكراً فصفاء، و كانت مأوه مالحةً فانقلبت عذبة زُلالاً.

و هل هناك في الدنيا أجمل من قلبٍ يعيش على أمل
أن كل شيء سيكون بخير؟ فالهموم كالغيوم ما تراكمت إلا
لتمطر.

فجأة عاد كبير الدكاترة مسرعا نحو غرفة الإنعاش،
فأطبق صمت قاتل بالمكان، و اشترأبت كلّ العيون نحوه،
فتتبّعته حتى اختفى خلف باب غرفة الإنعاش، الذي كان
فوقه مصباح انقلب لونه للأحمر بعد أن كان أبيضاً، مما
يدل على استعجالية الأمر.

أسرعت إليف في إثره، لكن و للأسف لم يُسمح لها
بتخطّي باب الغرفة، رغم أنها تعمل بالمستشفى. ثم همست
لها إحدى الممرضات، فاسودّ وجهها وركبها من الغم ما
الله به عليم، بعد أن عبقت رائحة الأدوية و الدم الطازج
بأنفها :

- عملية جُدُّ مستعجلة، ازدادت حالته سوءاً!

شارع رين

بين تيارات المسافرين المنهمة كالأنهار في مطار شارل ديغول الفرنسي، كانت إنجي تمشي و كأنها تترقب شخصا ما و ما هي إلا لحظات حتى لاح في الأفق جانسل و هو يحاول لفتَ انتباهها بيديه.

كان شكل المطار مصمما على شكل أمواج حتى يتناسب و ينسجم مع حركة المياه التي تنساب بسلاسة. شكله الهندسي يبهر الناظر إليه، حيث يعبر عن الإنسيابية التي تتجلى في كل تفاصيله. و يضم المطار معالم معمارية أخرى، و أول ما يلفت النظر منها هو برج المراقبة الشاهق الذي يرى من مسافات بعيدة.

انتبهت الفتاة لتلويحه، فسُرَّت سرور الطفل بالأم إن دنث. أحد أشهر المحامين بباريس، و هو بعمر الثالثة و الثلاثون، فراحت تحثُّ خطاها نحوه فاستقبلها بابتسامة نييلة:

- مرحبا ! حمدا لله على سلامتك.

ارتمت بين أحضانه دون أن تجيب بكلمة، و طفقت
تبكي حتى وصلت دموعها الرقراقة لقميصه الأبيض،
فراح يسترضيها قائلاً:

- اهدئي يا إنجي، كل شيء سيكون بخير.
- أنا ضائعة يا جانسل، لقد انتهى كل شيء في
حياتي.

لقد فَقَدْتُ أعز إنسان في حياتها بعد وفاة والديها،
فقدته بعد أن ظن أنها خاتمه، و خانت العهد الذي بينهما.

ربما تطفو الحقيقة على السطح، و يعود العصفوران
إلى عش الحب، لكن هل للحقيقة من سبيل و قد اندثر السر
مع الشاب و الخادمة؟ ترى أين أرضهما و قد اختفيا دون
تَرْكِ أيِّ أثر يُقتفى؟

و حتى و إن تَكشَّفت الحقيقة للجميع، فما الفائدة منها
و قد شارف كينان على الهلاك.

آه لو تعلم إنجي أن بصيص الأمل بانكشاف الحقيقة
و عودة الأمور إلى نصابها قد انطفأ! إن بينه و بين الموت
خيط رفيع، إحدى رجليه في الدنيا، و الأخرى في العالم
الأخر.

ما أتعس حظها! آهات و آهات!

و قد سُئل الحب يوما لماذا يُعذَّب قلوب المحبين؟
فأجاب بكل ثقة:

- و هل أنا إلا لذة بعذاب؟

مسح جانسل دموعها بعطف و قال:

- كفاك بكاءً صغيرتي.

ثم ابتسم في وجهها و استطرد قائلاً:

- أو ليس بعد كلّ دمة بسمّة!

و بعد الفراق لقاء.. هكذا هي الدنيا صغيرتي، علينا
أن نحياها حزناً و فرحاً، نجاحاً و فشلاً، و دمة و بسمّة.
عليك أن تتذوّقي طعم الدّمح حتى تستمتعي بعذوبة
الإبتسامة.

وقعت كلماته على قلبها كالبلسم الذي يداوي
الجروح، فتنهدت طويلاً و تمتمت:

- أمري لله!

- أين حقيبتك؟

- لم أحضر معي شيئاً.

- لا عليك، المهم أنك لم تنسي نفسك.

- جانسل! أهذا وقت المزاح؟

فرد باسمًا:

- أريد أن أرى تلك الإبتسامة الحلوة على وجهك.

فأجابت عابسة مستاءة:

- لقد انتهت حياتي يا جانسل، لقد اسودَّت الحياة و
أظلم الكون.

- لا تقلقي سنجد حلاً، هل يُرضيكِ هذا؟

فقالت بنبرة الأيس من كل شيء:

- هناك أمور لا تعود لنصايبها أبداً، كالطلقة تخرج
من مسدسها فلا تعود إليه.

- طالما نحن على قيد الحياة، لا مجال للمستحيل..
إن الله يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم.

التزمت إنجي الصمت طوال الطريق إلى منزل
جانسل، و قد احترم بدوره صمتها و تفهّم شعورها، فتركها
على راحتها.

بلغت السيارة منزلاً فخماً لا يصحّ إلا أن يسمّى
قصر الثراء و الترف بشوارع رين بباريس، حيث يعد هذا
الشارع من أغلى و أرقى الشوارع الواسعة المضيئة ليلاً و
نهاراً في العاصمة الفرنسية، و هو يتميز بإطلالته الرائعة
و بنياته التاريخية التي تحبس الأنفاس لجمالها، و رغم ما

كانت فيه إنجي من الغم، إلا أنها أعجبت بالمحلات التجارية التي تباع الإكسسوارات اللامعة، و الملابس ذات الماركات الفاخرة و الأحذية، و قد لمحت و السيارة في طريقها إلى المنزل حديقة لوكسمبورغ الشهيرة التي تقع بالقرب من ذلك الشارع. كانت رنده خانم في انتظارهما ببهو القصر، و ما إن رمقتها الفتاة حتى أسرع نحوها و عانقتها.

- حمدا لله على سلامتكِ إنجي.

- شكرا لكِ خالتي، أنا أسفة جدا على إزعاجكم.

- لا عليكِ يا ابنتي فهذا بيتك، لكِ الصّدْرُ و لنا

العَنَبَة.

فخجلت الفتاة من ترحيب الخانم الحارّ، و هي التي لم تحبّها يوما، و طالما ظنّت أن رنده خانم تكرهها، حتى هي نفسها كانت تظنّ أنها تكره رنده خانم، فقالت بوجه متورّد:

- شكرا جزيلا خالتي.

- هيّا بسرعة فأنتِ متعبة، سيتكفل الخادم بأمّعتكِ.

- لم أحضر معي شيئا.

التفتت إليها الخانم و قالت مستغربة:

- و هل بلغ بكِ الأمر كلّ هذا المبلغ؟

فقاطعهما جانسل منقذا الموقف بعد أن ظلت إنجي صامتةً دون جواب فقال:

- هيا بنا إلى الداخل، سنكمل حديثنا هناك.

بعد أن تناول الجميع الطعام على طاولة مشتركة مزخرفة بكل أنواع المأكولات، قال جانسل:

- هل تستطيعين أن تحدثيني الآن يا إنجي؟

مررتُ أصابعها الرقيقة بين خصلات شعرها الحريري الفاحم، ورددت بنبرة تائهة:

- صراحةً، أنا لا أعلم من أين أبدأ.

- من البداية إنجي.

- أعلمُ أن الأمر غريب، لكن يجب أولاً أن تعلمنا بأنني و كينان نحبُّ بعضنا.

فرددت الخانم مندهشة:

- أنتِ و كينان!

- أجل خالتي.

ثم التفتت إنجي إلى الشاب فلم ترَ أيَّ علامة للدهشة فقالت:

- أراك غير مندهش!

- و لِمَ الدهشة فالأمر عادي؟

فقالت أمه:

- هذا لا يعني إلا أنك على دراية بالموضوع، أليس كذلك؟

- أجل، إلا جزءاً من الموضوع لم أكن محيطاً به، و ما أحطت به إلا الساعة، و هو حبُّ إنجي لكينان.

ترقرقت دموع الفتاة وقالت:

- أحبه يا خالتي، أقسم بأنني أحبه.. لكنه لا يستحق حبي إياه، و إلا لما كان شكَّ بي.
- اهدئي يا ابنتي و قُصِّي علينا كل ما جرى.

بعدما قصّت عليهما إنجي كلّ ما حدث بالتفصيل الممل، استغربت رندة الأمر و قالت:

- إنه لأمرٌ جدّ غريب، و لا بدّ أن هناك تفسيراً لكل ما حدث.

- لا أعلم شيئاً يا خالتي، كلّ ما أتذكره أن كينان كان جاثياً على ركبتيه منهاراً، و أنا أضحك بشكل غريب.
- هل تعرفين الشّاب؟

- أبداً، و لم أره بحياتي قطُّ. أرجوك جانسل ساعدني، لا تبق صامتاً.. أرجوك حدّثه فأنت أقرب الناس

إليه، قل له بأن لا صلة لي بالموضوع، فأنا لم أقم بأمر كهذا من قبل.

التزم جانسل الصمت برهة من الزمن و هو يفكر بشيء ما ثم قال:

- أين كانت خالتي وقتها؟

- شربنا القهوة معاً، و قد كانت تطالع مجلتها كالعادة. حتى أنها كانت تحدّثني باستغراب عن "لوحة الصرخة" للرسام النرويجي إدوارد مونش التي بيعت بالمزاد العلني بقيمة 119.92 مليون دولار، و بعدها بلحظات شعرت بدوار و ألم مفاجئ في رأسي، فاستأذنت منها و سعدت لغزفتي.

- من أعدّ لكما القهوة؟

فرّدت باستغراب:

- صنعتها بنفسي.

- هل خرجت من المطبخ وقت إعداد القهوة؟

- لا، أبداً!

- أ مُتأكّدة أنت؟

- نعم أنا متأكّدة، هل تشك بأمر ما؟

- فقط أخبريني، من كان معك بالمطبخ؟

- كلستان خادمتي.

- أرجوك تذكّري إن كانت قد اقتربت من القهوة في لحظة ما.

- لا، إلا أنها..

- إلا أنها ماذا؟ أكملّي.

- عندما كنت بصدد إعداد القهوة، أخبرتني كلستان بأن ماما تريد فنجانا من القهوة، ثم أضافت لي كميةً أخرى من الماء لإعداد فنجان قهوة آخر.
- ممتاز! هذا هو.

- ما معنى هذا هو؟ أفصح أرجوك.

- الأمر واضح يا إنجي، هذا عملي و لا تنسي بأنني محامٍ يا صغيرتي. بقي لي فقط سؤال واحد لخالتي ديلارا، و إن لم يخب ظني فأنا أعرف حيثيات القصة.

ثم قالت رنده مُغضبة:

- إن كان الأمر كذلك، فإن هذه المرأة حقيرة.. حقيرة جدا و لن تفلت منّا.

لم تفهم إنجي شيئا مما يقولان. أما جانسل فراح يحاول الإتصال بخالته، لكن و للأسف فإن جهازها كان مغلقا بسبب نفاذ البطارية من كثرة الإتصالات الواردة، لكن ديلارا لم تُعر هاتفها اهتماما، فقد كانت تترقّب حالة كينان.

لقد مرّت عدّة ساعات، كل واحدة أطول من سابقتها،
لكن و لحدّ الآن لم يظهر أي خبر من غرفة العمليات.
كانت تولين تبكي و هي متمسّكة بيد خالتها كالقاتل الذي
يمشي في جنازة ضحيّته، ثم قالت بصوت مرتعش:

- هل سيكون بخير؟

- لا تقلقي سيكون بخير.

لقد خشيتُ تولين المسكينة فقدان كينان، فيضيع معه
حلم الثراء و النفوذ، لقد كانت أبعد خلق الله عن الحب و
المشاعر.

- هو يحبها يا خالتي، إنه يعشقها.. وقد فضّل الموت
على العيش من دونها.

- لا عليك يا ابنتي، لقد جعلناه يكرهها.

- لقد جئنا على ركبتيه باكيا أمام الجميع، هل تخيلتِ

يوما أن كينان تورباش يبكي من أجل امرأة؟

- لكنه لا يريدنا الآن، فكفّي عن حماقاتك.

- أخشى أن تُبرّئ نفسها و يظهر الدليل.

- و من سيبرّؤها؟ لقد ذهب الدليل مع الريح.

في تلك اللحظة برواق المستشفى الناصع البياض،
حيث كان الظلام يغشى الجميع رغم المصابيح الوهاجة

المعلقة بالسقف، راحت إليف تحاول أن تشغل نيار الصغير
عمّا يحدث بالمكان من فوضى فقالت:

- بابا بخير حبيبي، اطمئن.
- أنت صادقة، أليس كذلك؟
- و هل كذبت العمّة إليف من قبل؟
- لا! لكنني أحب بابا و لا أريده أن يتركني.
- لا تخف فهو بخير، هل صدّقت العمّة الآن؟
- أجل، أجل!

ثم ابتسم و عانقها عناقاً حاراً بريئاً، ما زادها إلا همّاً
و كمداً.

فُتِح باب غرفة العمليات فجأة و أُطلِّ منه كبير
الدكاترة، فاشترأبت الأعناق حوله، و قد بلغت القلوب
الحناجر.. ما أصعبها من لحظة، حتى يأسُ المتهم من
النجاة لا يُهَوِّن على نفسه وقع النطق بالحكم.

التفّ الجميع حول الدكتور، التفاف النحل حول
الخلية فقال بهدوء:

- استقرّ الوضع، سيستعيد المريض وعيه بعد عدة
ساعات.

تنفّس الجميع الصعداء بتهيئة أخرجت كل ما كان
في تلك النفوس البائسة من هلع و خوف.

لقد انقشع ضباب الخوف، و حلّ محلّه شعور
الإنتصار على الموت.

ارتسم البشر و الترحاب على وجوههم، فالتمعت
عيونهم سرورا و فرحا.. حتى الرواق الذي كان مظلما ها
هو يضيء من جديد، و ظهر بريق الأرضية فكان كل
شيء ينعكس عليها.

رنّ هاتف إليف فجأة:

- جانسل!

ردت عليه إليف فأغمض عينيه عند سماع صوتها،
و أحسّ بشعور غريب ثم قال:

- إليف، حمدا لله على السلامة.

- هو بخير يا جانسل! هو بخير و قد استقر وضعه.

كاد جانسل يقفز من شدة الفرح بنجاة صديقة بعد أن
أيسر من نجاته، لكنه تمالك نفسه مُدارياً مشاعره حتى لا
تعلم إنجي بخبر كينان، ثم قال:

- إليف أرجوك أحتاج خالتي في أمر مهم.

من حسن حظ جانسل أن هاتف خالته كان مغلقا، و
إلا لما حصل على هذه الفرصة الثمينة لسماع صوت
إليف.

- انتظر لحظة، سأستدعيها.
- ألو جانسل، كيف حال ابنتي؟
- هي بخير لا تقلقي خالتي.
- جانسل، ابنتي أمانة عندك.

فقال مبتسما:

- خالتي أحتاج بعض المعلومات منك.
- أكيد جانسل تفضّل.
- ليلة البارحة، هل كنتِ نائمة أثناء الحادثة؟
- أجل، و قد قالوا لي أن إنجي أعطتني نومًا، لكنه
كذب و افتراء! ابنتي لا تقوم بأمر كهذا أبدا.
- أنا أعلم هذا يا خالتي.
- أنا أشك بكلستان يا جانسل، و مما زاد شكّي بها
اختفاؤها بعد الحادثة مباشرة، و كأن الأرض انشقت و
ابتلعتها.
- لا عليك خالتي، سنجدها حتما، سأعود مع إنجي
إلى إزمير.

فقاطعته إنجي باضطراب:

- لا! لن أعود.

فقال ديلارا:

- دعني أكلمها جانسل.

- تفضلي إنجي، أمك تريد أن تُحدّثك.

فهمت ديلارا بلهفة الأم المتحرقة للقاء ابنتها:

- ابنتي! أنت بخير؟

- ماما! أنا بريئة، بريئة يا ماما!

- أنا أعلم هذا جيدا حبيبي.

- لكنه لا يصدقني، لقد اتهمني بخيانته.

- لقد صُدم مما رآته عيناه صغيرتي.. المشهد

أصعب مما تتخيلين.

- لو كان حقا يحبني لما صنع بي هذا، لقد ألقى بي

خارج المنزل في جنح الظلام.

- لو عَلِمْتِ ما حدث بعدك لتفهمْتِ الوضع، فالمسكين

يعاني الآن.

- ماذا! ماذا جرى ماما؟

فردت ديلارا لتطمئننها و تخفف أثر الصدمة قائلة:

- لا تقلقي هو بخير الآن، لكن فلتعلمي حبيبي بأنه

قد حاول وضع حدّ لحياته تلك الليلة.

-كيف. !. ماذا! هل هو بخير؟

لقد نبض قلبها، و جرى الحب في أوصالها من جديد، و هي التي ظنّت أنها قد كرهته عندما اتهمها في شرفها.

إن الكره الخالص مستحيل، كما الحبُّ الخالص.

فقالَت ديلار:

- إنه بخير، لا تقلقي صغيرتي.

أوقعت الفتاة الهاتف من يدها، و هرولة نحو غرفتها، ثم وضعت رأسها بين كفيها، و جثت على ركبتيها تبكي بكاءً مريراً.

آه من هذه الحياة، تأبى أن تعطينا الورد إلا و معه بعض الأشواك.

لقد قهرتها الحياة..

بعدها التفتت رندة إلى ابنها و سألته باستغراب و تعجب:

- هل فهمت شيئاً يا جانسل؟

-لقد أصبح الأمر واضحاً وضوح الشمس ماما، لقد وضعت لهما الخادمة مخدراً بالقهوة، ثم أدخلت الرجل

غرفة إنجي. لكن ما يحيرني هو سبب ضحك إنجي الهستيري في وقت أن خالتي كانت نائمة؟ أظن أن الخادمة أعطتها مهلوسا أو شيئا مشابها.

- عليك أن تسأل إنجي مرة أخرى، ربما هناك قطعة من الأحجية لم تُخبرنا بها بعد.

- سأسألها فيما بعد، أما الآن فالسؤال الذي يبقى مطروحا فهو لماذا قامت الخادمة بكل هذا؟ و من الذي أمرها به؟

- و هذا ما سأجيبك عنه أنا يا بني.

- ما الذي تقصدينه ماما؟

- هيفين هي الرأس المدبر لكل هذا.

- هيفين خانم! والدة كينان؟

- أجل، تماما.. و أنا شبه متأكدة من أنها من خطط

لكل هذا بمعية تولين، و هذا من أجل إبعاد إنجي عن كينان. فمنذ أن طلق كينان جيندا، و أمه تحاول بشتى الطرق تزويجه من تولين، و قد بلغ بها الأمر أن طلبت منها السكن معهم بنفس البيت لتقربهما من بعضهما.

- أ متأكدة أنتِ ماما؟

- شك يقارب اليقين.

- سنصل للحقيقة لا محالة.

- حسنا جانسل، سأصعد لأرى الصغيرة و أحاول أن

أهدئ من روعها.

-دعيها ماما، هي تحتاج البقاء لوحدها، إن ما تواجهه يَهْدُ الجبال، فلندعها وحدها لتبكي و تنفّس عن همها.

فأجابت أمه بإنكار:

- لكنها تحتاج لأحد يواسيها.
- أظن أنها تحتاج لكينان فقط، لقد تعودت طوال عمرها أن يكون الكتف الذي تستند عليه، و لا أظن أن أحدا يستطيع سد هذه الثغرة غيره.
- جانسل، لكنها لجأت إليك يا بني.
- فقط لأنني أقرب الناس لكينان.

ابتسمت رندة و قالت:

- بما أنك أقرب شخص منه، فلتنذهب و تكن معها، دعها تبكي بين ذراعيك كأخٍ لها لجأت إليه، و أخٌ لحبيبها.
فأحنى رأسه بالموافقة، ثم حثّ خطاه نحو غرفتها، طرق باب الغرفة بلطف ثم قال:

- إنجي، أنا جانسل.

ثم دخل بهدوء، كانت جالسة على الأرضية تبكي و قد بلّلت الدموع ثيابها، و فرّت من عينيها دموع رقراقة وقعت على أرضية الغرفة.

جلس جانسل بقربها، فرفعت إليه رأسها بعد أن كادت عيناها تجفان من الدموع من كثرة البكاء و قالت:

- هو بخير، أليس كذلك؟
- بخير يا إنجي، أقسم لك!
- أنا أحبه يا جانسل! لكنه لا يستحق حبي.
- أنت مخطئة صغيرتي، حبه لك يفوق كل توقعاتك.
- إنك أهم شخص في حياته كلها.
- لكنني لا أعني له شيئاً.
- أنت كل حياته، أنت أهم من حياته و نفسه التي بين جنبيه، و إلا لما حاول الانتحار بسببك.
- لو أعطاني فقط فرصة لشرح الأمر، لما بلغت الأمور كل هذا المبلغ.
- إن ما وصفته لي أمرٌ فظيع، أشد من أن يتقبله العاشق الغيور.

فعطفت رأسها و قالت بصوت كالهمس:

- غاضبة! أنا غاضبة منه و خائفة على حياته، أنا أحتاجه الآن أكثر من أي وقت مضى، أحتاج لأن أضع رأسي بين أحضانه و أبكي يا جانسل.. أريد أن أشتكي إليه ما صنعه هو و الزمان بي.. لقد قسم ظهري، و أنا التي اتخذته سندي، و حبيبي، و والدي و وصيي.

- هَوْنِي عَلَيْكَ، سَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ بِخَيْرٍ.. تَعَالِي صَغِيرَتِي.

ضَمَّهَا إِلَيْهِ بَحْنَوًّا، فَبَكَتَ بَيْنَ أَحْضَانِهِ مَا شَاءَتْ ثُمَّ هَدَّاتُ فَقَالَ لَهَا:

- هَلْ اِكْتَفَيْتِ مِنَ الْبُكَاءِ بَيْنَ أَحْضَانِ الْعَمِّ جَانِئِلسِ؟

فَابْتَسَمَتْ وَ قَدْ رَاقَهَا كَلَامُهُ وَ خَفَفَ عَنْهَا بَعْضُ مَا هِيَ فِيهِ، فَاسْتَطْرَدَ قَائِلًا:

- أَجَلْ، هَذِهِ هِيَ إِنْجِي الْبَاسِمَةِ الَّتِي اعْتَدْتُ رُؤَيْتَهَا. هِيَ اضْحَكِي وَ ابْتَسِمِي.

- هَلْ حَقًّا سَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيَّ مَا يَرَامُ يَا جَانِئِلسِ؟
- لَا تَقْلَقِي، فَقَضَيْتُكَ الْآنَ بَيْنَ يَدَيْ أَلْمَعِ مَحَامٍ بَبَارِيسِ.

- نَسِيتُ تَمَامًا بِأَنَّكَ مَحَامِي، لَجَأْتُ إِلَيْكَ فَقَطْ لِأَنَّكَ أَقْرَبُ شَخْصٍ مِنْهُ.

فَقَالَ بِنُقَّةٍ وَ يَقِينِ:

- حَتَّى ابْنِ خَالِي رَجُلٍ مَمِيزٍ.

فَضَحَكَتْ قَائِلَةً:

- و أنت تشببه كثيرا يا جانسل. أما وقعت في الحب من قبل؟

فجارها في ضحكها و قال:

- أسؤال هذا أم تحقيق؟

فردت برقتها الطبيعية:

- لقد أفضيتُ إليك بكل أسراري، و ها قد حان دورك.

فردّ عليها متلافيا سؤالها:

- لقد أخبرني كينان منذ مدة أنه واقع بغرامك.

- لقد أخبر الدنيا بأسرها، إلا أنا.

فضحك مقهقها ثم قال:

- لكنها وصية والدك يا إنجي.

- أنا أعلم بأمرها، لكنني لست مقتنعة بها تماما..

أرجوك جانسل أخبرني كيف سنحل هذه المشكلة الآن، أعني ما حدث ليلة البارحة.

- آه! إنجي تذكّرت، أخبريني إن كنت قد طلبتِ أي

شراب من خادمتك قبل أو بعد القهوة.

- شراب! أجل، أجل لقد تذكّرت، لقد طلبت منها
كوب ماء حين كنت جالسة مع ماما.
- لقد اكتملت القضية الآ، أبشّري!
- ماذا تقصد؟
- لا عليك سأخبرك فيما بعد، أما الآن فقد طلبت من
التّحري الخاص بي و من بعض معارفي بعض المعلومات
عن مكان خادمتك التي أشك أن الشاب سيكون بصحبته.
عندما نعرثر عليهما، سنتفكّكُ أَلغاز الأَحجية تَباعاً، حتى
خالتي تشكّ بأن الخادمة قد سافرت خارج تركيا.
- خارج تركيا، كيف؟
- مؤكّد أن من استعملها قد هربها من أجل طمس
معالم الجريمة.
- استعملها! أنا لا أفهم شيئاً يا جانسل.

مخبر التحاليل الطبية

حوالي الساعة الثانية مساءً من نفس اليوم، كان جانسل لا يزال يحاول تهدئة إنجي بغرفتها، و فجأة قال باسمًا:

- كفاك تفكيرًا بالأمر الآن، سيكون كل شيء كما يهوى قلبك.

- لكنّ كلامك حيّرني، أنا لا أملك أي أعداء يا جانسل، فمن ذا الذي صنع بي كلّ هذا وبأي ذنب؟
- لا عليك صغيرتي، عليك أن تنامي قليلاً فأنت متعبة من السفر.

- أين ستذهب أنت؟

- عذرا إنجي، لدي قضية مستعجلة هذا المساء و هي تخص أحد زبائني.

فابتسمت بلطف و قالت:

- لن أنسى لك هذا ماحييت.

* * *

بالمستشفى سمح الدكتور لبعض أفراد العائلة
بالإقتراب من سرير كينان في انتظار استعادته لوعيه.
كان بقربه خليل و يالذر و أمهما، يتجادبون أطراف
الحديث بهدوء كما أمرت الممرضة.
فجأة حرّك كينان أحد أصابع يده اليمنى التي كانت
تمسك بها والدته، فاندھشت و تهلت أساريرها و هتفت:
- إنه يستفيق ! كينان يستفيق!

التف الجميع حوله، و هو يحاول فتح عينيه
بصعوبة.. و بعد أن فتحهما بعناء، أشار إلى خليل أن انزع
عني قناع الأكسجين، ثم قال بلهجة متقطعة مرهقة:
- أين إنجي..

فَعَرَّتْ هيفين فمها مندهشة مما سمعته، ثم قالت
بلهجة انتقادية:

- أَبْعَدْ كُلَّ مَا سَبَّبَتْهُ لَكَ؟
- و ماذا فعلت؟
- فردت محتدمة:

- أنا لا أدري، أنت من ألقيت بها خارج المنزل في
جرح الظلام، لا بدّ أنها فعلتُ أمراً عظيماً، و إلا لما فعلتُ
بها ذلك.

فقاطعهما خليل:

- لم ألقيت بها خارجاً يا كينان؟
- خليل، ادعها الآن! أريد أن أحدثها.
- لكن يا كينان..

فقاطعه و حاول أن يتحرّك لكنه لم يثو على ذلك
فقال:

- الأمر لا يخصكم.. أين عمتي؟
- هي خارج الغرفة تنتظر.
- و إنجي؟
- لم تأتِ، هي ليست هنا.
- أحضروا عمتي و انصرفوا عني، لا أريد أحداً
هنا!

انتفضت هيفين مغضبة، و خرج الجميع بعد أن
نادى خليل على ديلارا.

دخلت إلى غرفة كينان و التقت نظراتهما، ففرّت
منها دمعة حنونة و نزلت بهدوء على خدّها الذابل فقال لها:

- عمّتي، أين هي؟
- و هل يهّمك أمرها حقًا؟
- أنت تعلمين جيدا بأنني أحبها.. لكن المنظر كان
فظيحا.

- و هل فعلا صدّقت ذلك؟
- عقلي لا يكاد يستوعب ما جرى، لكنني رأيت كل
ذلك بأم عيني.
- لقد قهرّتها يا كينان! هي الآن تبكي مهيضة
الجناح.

أغمض عينيّه متأسفا ثم قال:

- أين هي الآن؟ أريدها أن تشرح لي كل شيء.
- هي ليست هنا يا كينان.
- أليست بالمستشفى؟
- بل ليست في تركيا كلّها.
- ماذا! أين؟

حاول القيام عن سريره لكنه لم يستطع و قد أرهقه
الكلام، فقالت الخانم:

- كينان إلى أين؟ إنك لا تزال مريضا.
- أريد أن أذهب لأحضرها.
- ابق مكانك، إنجي الآن عند أختي رنده.

- ماذا؟

- أجل، لقد استنجدت بجانسل و لجأت إليه.

فرد بأسى و أسف يعاتب نفسه:

- اللعنة! أنا وصي سيء، و حبيب أسوأ من ذلك.. لم

أستطع حمايتها يا عمتي، لم أستطع!

- هل تصدق أنها بريئة؟

- بلى! أعلم أنها بريئة لكن ما رأته عيني.. إلا إذا

كانت فاقدة للوعي.

- تماما يا كينان، إنجي كانت مخدرة.

- لكن.. كيف ذلك؟ من أعطها المخدر؟ رباه!

- أنا متأكدة أن للخادمة يد في كل هذا، و قد اختفت

اللعينة تلك الليلة، و لم نعثر لها على أي أثر.

- يجب العثور على تلك الساقلة لفك اللغز، و يجب

أيضا على إنجي أن تذهب فورا لمخبر التحاليل الطبية.

- ها قد بدأت تفكر أخيرا.

في تلك اللحظة كانت إليف تحدّث جانسل على

الهاتف:

- أ أنت متأكد من هذا يا جانسل؟

- أجل إليف، هي أخبرتني بهذا.

- يجب عليك أن تأخذها فوراً لأقرب مخبر لإجراء التحاليل و تحديد نوع المخدر قبل زوال أثره من جسمها.
- أتقصد أن الأعراض التي وصفتها هي آثار مخدر؟

- أنا متأكدة يا جانسل.

- عذراً إليف أخوك يطلبني على الهاتف.

- أي أخ تقصد؟

- رجل الحادث.

ابتسمت إليف و قالت:

- حسناً إلى اللقاء، و لا تنسى التحاليل.

انقطع اتصال كينان فعاود جانسل الإتصال به:

- كينان، حمداً لله على سلامتك.

- شكراً جانسل، فقط قل لي كيف هي؟

- و هل أصبح أمرها يهكم فجأة بعد كل الذي

صنعت به؟

- اللعنة! جانسل!

ابتسم جانسل بسبب ثورة كينان ثم قال:

- أتريدني أن أكذب و أقول بأنها بخير؟ كلاً! لقد

تركناها تندب حظها وحيدة بغرفتها، إنها تقول بأنها تحتاجك

أكثر من أي وقت مضى، تريد أن تبكي بين أحضانك، هي
تريد سندها ووالدها وحببيها.

ضرب كينان صدره ذاهلا، وصرخ صرخة
اليأس:

- أتعذب يا جانسل! أنا أتعذب، فقلبي يجزم ببراءتها
لكن عقلي عاجز عن تحليل الموقف. تصرفاتها كانت
غريبة جدا تلك الليلة، أظنها كانت مخدرة يا جانسل.
- هذا صحيح يا كينان، لقد كانت مخدرة، و سأخذها
فورا لمخبر التحاليل.

فرد كينان بلهجة المشفق:

- جانسل، حبيبتني أمانة عندك، أما تلك الخادمة
الحقيرة أقسم أنني سأجدها!

ضحك جانسل مقهقها و قال:

- تأخرت كثيرا كينان بيك، لقد توصلت لمكان
الخادمة، هي هنا معي بباريس.

فقال كينان متعجبا:

- بياريس! حسنا سارع أنت للمخبر، و اترك أمرها لي، و لا تنس أن تبعث لي العنوان التي تختبئ فيه تلك السافلة.

أقفل كينان الخط فسألته ديلارا:

- ما الأمر؟

- جانسل و إنجي في طريقهما لعمل التحاليل الضرورية.

- حتى و إن لم يجدوا أثرا للمخدر يا كينان، فأنا متأكدة من أن ابنتي قد تم تخديرها.

- أنا أيضا متأكد من هذا عمتي، لكننا نحتاج لبيئة من أجل إدانة تلك الحقيرة. الله أعلم من وراءها، و هل هناك من يكره ملاكاً كإنجي؟

- الأمر لا يحتاج توضيحاً! أنا شبه متأكدة من الشخص الذي يقف وراء كل هذه الفوضى.

فهتف كينان بلهجة حادة:

- من تقصدين؟ أرجوك تكلمي يا عمتي.

- و من غير أمك يا كينان؟

فانتفض و قال بجنون:

- لا يمكن! هذا مستحيل يا عمتي.

سمعتُ ممرضة الجناح بعض الفوضى، فأسرعت
نحو ديلا را قائلة:

- عذرا يا خانم، حالة المريض لا تسمح له بكثرة
الكلام، اتركه يرتاح من فضلك.

صاح كينان بالمرضة محتدما:

- أتركينا وحدنا من فضلك!
- لكن يا بيبك، أنت مريض و يجب أن ترتاح.
- لو سمحت!

انصرفت الممرضة مندهشة من ردة فعله، فالتفت
إلى عمته و قال:

- أريد هاتفي يا عمتي.

تحدث كينان إلى بعض معارفه بباريس، ثم أقفل
الخط و قال لعمته:

- لعلك على حق يا عمتي، الخادمة الحقيرة متواجدة
بمنزلنا الريفي بباريس بصحبة رجل. لقد كنت أريد ان
أوكّل أمرها لجانسل، لكني قررت أن أتولى الأمر بنفسي.
فقد بلغني أن الرجل الذي يتواجد بصحبة الخادمة يحمل
نفس مواصفات الشاب الذي وجدته بغرفة إنجي، سأقتله
بيديّ هاتين!

فردت الخانم بنبرة مرتعشة:

- لكن كينان..

فرد عليها و قد فار الدم برأسه:

- قد عزمت أمري يا عمتي. و هذا الشأن يخصني

و حدي دونكم!

- تريث يا كينان أرجوك.

سمع كلامها لكنه لم يُلقِ إليه بالاً.

كانت تولين و خالتها تراقبان ما يحدث داخل الغرفة من خلال الحاجز الزجاجي، محاولتان فهم و تكهن ما يدور بينه و بين عمته، فقالت تولين متسائلة:

- ترى ماذا يقولان خالتي؟ انظري إليهما كيف

يتشاوران كأن بينهما أمراً ما.

- أنا متأكدة من أنها تحاول أن تعيدهما لبعضهما.

فقالت تولين بلهجة الخائف المترقب:

- هو يحب عمته يا خالتي، أخشى أن يرضى بطلبها

و يربط علاقته بإنجي من جديد.

- لا تقلقي، مستحيل أن يعودا معا بعد ما رأته عيناه،

إن كل الدلائل ضد إنجي.

فلاحت ابتسامة خافتة على وجه تولين كأنها أنست
لكلام خالتها و طمعت في بلوغ مبتغاها.

حينها كانت ديلارا خارجة من غرفة كينان مفزوعة
من إصراره على قتل الرجل، مشت خطوات ثم طلبت
جانسل لتعلمه بالأمر.

- مرحبا خالتي، لدي مفاجأة سارة لكِ و لكينان، لقد
كانت إنجي تحت تأثير مخدر قوي جدا، مما أدخلها بحالة
هستيرية من الضحك.

انجلت غمامة الفلق و الشك عن ديلارا بعد سماعها
الخبر، رغم أنها كانت متأكدة من الأمر، ثم انقلب سرورها
خوفا بعد أن تذكّرت كلام كينان فقالت:

- جانسل، يجب أن تحضر مع إنجي مع أول طائرة
متجهة إلى إزمير، إن الأمر جد مستعجل!
- ما الأمر خالتي؟

- لقد ألقى رجال كينان القبض على الخادمة و الشاب
الذي معها، و قد اتفق مع بعض معارفه هناك لإحضارهما
إلى إزمير.

- أين المشكل في هذا؟ لماذا أنت قلقلة؟

- لقد صمم كينان على قتل الرجل، أنت محامي و تدرّك جيّدا ما ينجر على هذا الأمر من عواقب وخيمة على حياته و سمعته.

- حسنا خالتي، سنأتي اليوم.

- أسرع يا جانسل أرجوك، ليس هناك أي شخص يستطيع ردّ كينان عن قراره سوى إنجي.

كانت إنجي تراقب جانسل و قد ظهرت عليها علامات التساؤل، فقالت له:

- ماذا يجري؟ من سيأتي؟

- مبدئياً، سنذهب أنا و أنت إلى إزمير، و ربما تذهب ماما برفقتنا.

فرّدت و هي تشير بيدها:

- أبدا! لن أعود يا جانسل.

- إنجي، كينان يريد أن يقتل الشاب الذي كان بغرفتك.

فقالت بلهجة لا تخلو من تهكم:

- و لماذا يقتله؟ أليس عشيقتي الذي وجدني معه؟

- إنجي، أنت الوحيدة التي تستطيعين إيقاف ثورة كينان، و إلا فقدنا كينان جميعاً.

- هل أنت جاد فيما تقول؟ أنا أوقفه! أقسم أنه إن لم يفعل فإنني سأقتله بنفسه!
- إذاً تريد أن نخسر كينان، أنت تعلمين جيداً ما ينجر عن هذا.

فردت بحزم و ثبات:

- و هل يهمني كينان؟ أريد أن أثار لنفسه من ذاك الشاب الحقيق، و أعرف من الذي يقف خلفه.

بيت الرعب

فتح الليل أجنحته، فغمر الأرض ظلام دامس، و كان
كينان بالمستشفى يستشيط غضبا و غيظا.

حاول القيام عن سريره متمايلا يترنح من أثر
المخدر الذي أعطي له اثناء العملية، فصاحت به ديلارا
تؤنبه:

-كينان! لن تذهب لأي مكان، أنت لست على ما
يرام.

ثم رأته أمه فجأة و هو يهم بالإنصراف من جناحه
بالمستشفى، فهتفت هي الأخرى بتكأف:

-بني، إلى أين صغيري؟

لقد اشتهرت هيفين بقلبها الرخامي، و قساوتها
الشديدة، حتى أن من لا يعرفها، يُجزم قطعاً أنها لم تكن أما
قطّ، و لم تشعر يوماً بمشاعر الأمومة، و إلاّ فمن أين لها
بهذه القساوة وهذا الجفاء؟

لله درّها ما أفسى قلبها و ما أشدّ جفاءها!

نظر إليها كينان باحتقار ساحق و قال:

- لا دخل لكم بي!

أسرع خليل نحوه هاتفًا بوجاهة:

- دعنا نرافقك يا أخي!

- لن يأتي أحد معي! هل هذا واضح؟

كانت ديلارا لا تزال تبكي، ثم قالت و هي تكاد

تنهار:

- لا تتركوه يذهب وحده!

فقاطعتها هيفين و هي تصيح بوجهها مغضبة:

- ما الذي يجري هنا؟

التفتت إليها ديلارا و حدجتها بنظرة حادة، ثم

أشاحت عنها بوجهها و قالت للشابئين:

- خليل، يالذ الحقا به! أسرع، و أعلماني بكل ما

يحدث بالتفصيل.

قالت لها هيفين و قد اربد وجهها، و أغاظها عدم

اهتمام ديلارا بسؤالها:

- هؤلاء أولادي يا ديلا! و من حقي معرفة الذي يجري هنا، أليس كذلك؟

اختلجت أهداب ديلا، و صرخت بصوت يذيب الجماد:

- اللعنة عليك! و هل كل هذه الفوضى إلا بسببك!

ثم التقطت هاتفها و اتصلت بجانسل:

- جانسل، لقد تأخرتم كثيرا!

- نحن عند باب المستشفى يا خالتي.

- اتصل بخليل فورا، اصطحب معك إنجي و اقتنيا

أثر كينان.

كانت رندة قد نزلت من السيارة، و انطلق جانسل و إنجي يسيران حسب تعليمات خليل.

لمحت ديلا أختها عند مدخل المستشفى، فأسرعت نحوها و عانقتها بحرارة العصفور المجروح الذي يبحث لنفسه عن ملجأ آمن.

أما تولين فقد كانت بالرواق ترأقب كل ما يحدث في صمت، ثم قالت لخالتها بصوت مرتعش:

- لست مطمئنة لما يحدث هنا يا خالتي، إن أمرا ما يدور هنا.

- اللعنة ! لو كان ما أفكر به الآن صحيحا، فقد افْتُضِح أمرنا و انتهى كل شيء.

ارتعدت فرائص تولين و ردت بصوت واجف:

- لكن كيف حدث هذا؟ مستحيل يا خالتي مستحيل!

فقالته هيفين متلعثمة:

- إن ديلارا الحقيرة لن تُفْصِح عن أي شيء، دعينا ننصرف من هنا.

انصرفت تولين مع خالتها، و بقيت ديلارا تبكي و قد مسّها من الجزع ما الله به عليم، فراحت تردّد:

- اللهم ارحمنا! اللهم ارحمنا!

فقالته رنّدة محاولة تهدئتها:

- لا تقلقي يا أختي، إن الجميع مع كينان، و لن يحدث أي مكروه.

- لكن المشكلة بإنجي، لا أدري إن كان حضورها هناك خطأ، فأنا أخشى أنها لو شاهدت الشاب فإنها ستنتهار،

و لو رأى كينان ذلك، و تحرّكت انفعالاته فإنه سيفتل الشاب حتماً.

- لن يحدث أي مكروه يا ديلا، أنا متأكدة من هذا.

اتصلت ديلا را بخليل و قالت:

- هل وصلتكم؟ هل الجميع بخير؟

- بالكاد وصلنا يا عمتي لا تقلقي، سأخبرك بكل

شيء فيما بعد.

و فجأة انحرف يالذر بالسيارة عن الطريق العام، و دخل بطريق فرعي، فشقت السيارة طريقها بين الحقول و المزارع المترامية على جانبيّ الطريق الترابي، و بعد عدة دقائق لمح الشاب بيتا رابضا بين أشجار شاهقة ماثلة كالأشباح. و كلما اقتربت السيارة من البيت اتّضحت معالمه أكثر، و التي كانت توحى بأنه أحد منازل أفلام الرعب القوطية، كانت هذه أول فكرة خطرت ببال يالذر حول المكان، فالبيت منعزل بشكل غريب يثير الرعب و لا تحوطه سوى أشباح الأشجار و الصمت القاتل و لم يكن يُسمع في تلك المنطقة المعزولة صوتا غير العواء و النباح.

كان داخل البيت المنعزل كينان بصحبة اثنين من رجاله، و كانت في ركن البيت، كلستان تبكي و قد اقشعر بدنهما، وسرت فيه رعشة ملآته خوفا و هلعاً.

ثم استجمعت قواها الخائرة بعد جهد جهيد، و قالت دون أن تنتظر في عيني كينان الطافحتين شراً:

- أنا آسفة! آسفة يا بيبك، هن هددني و أغرينني بالمال، لا دخل لي بكل هذا، هيفين و تولين هنّ من أمرني بهذا.

فأجاب بصوت جهوري خشن:

- هددنك! أغرينك! أقسم لك بأنك ستدفعين ثمن كل هذا أيتها الحقيرة!

اقتحم خليل و يالذر المنزل عنوة، فأسرع نحوهما رجال كينان و منعهما من التقدم، رأى خليل الشابّ جاثّ على ركبتيه، يدها مقيدتان خلف ظهره، و الدم ينزف من رأسه، و يغطي معظم وجهه و قميصه الأبيض الذي صار أحمرًا.

فصاح بهما كينان غاضباً:

- مكانكما! ألم أقل لكما بأن لا تلحقا بي؟ أقسم أنكما
إن قمتما بأية حماقة، فإنني سأفرغ مسدسي برأس هذا
الندل الحقير!

تسمّر الشقيقان مكانهما، و هما يعلمان عناد أخيهما
و تسرّعه، و قد كان الشاب يتأوّه و يئنُّ من شدّة ألم
ضربات قبضة المسدّس على رأسه.

فجأة توقفت سيارة جانسل، فخرج أحد رجال كينان
و اعترض طريق إنجي عندما كانت تحاول الدخول إلى
الداخل فراحت تصيح:

- ابتعد عن طريقي!
- اتركها تمرّ، بسرعة!
- لكن جانسل بيك، هذه تعليمات كينان بيك.
- قلت ابتعد عن طريقها! ألا تفهم؟

أسرعت إنجي إلى الداخل، فهالها المشهد و هي
ترى الشاب مغطّاً بالدم عن آخره، و مسدس كينان مصوّب
على رأسه، ثم سمعت يالذر يقول متضرعاً:

- كينان، أرجوك لا تفعل، نيار الصغير يحتاجك.

فانتفضت مزمجرة، و صاحت بصوت أجش لفتت
انتباه الجميع:

- لا !

ثم قالت بصوت يشبه الهمس:

- اتركه..

أشار كينان بيديه رافضاً، و قال و هو يزفر من شدة الغضب:

- دعيني آخذ لكِ حَقَّكَ من هذا النذل، و ليحدث ما يحدث فلستُ بأحسنَ منه، و كل ما سأواجهه بعد قتلي إِيَّاه فهو ثمن لظلمي إِيَّاكَ.

تقدّمت منه و اعترضت سبيله، ثم قالت بجديّة و حزم لم يشهدهما كينان من قبل:

- لستَ قاضياً حتى تأخذ لي حقي، الله بيني و بينكم جميعاً، و حتماً سيأخذ لي حقي منكم.. اترك الرّجل!

فرد كينان بعد أن طأطأ رأسه و أحس بذنبه:

- لن أسامح نفسي أبداً.. أبداً!

- لا تقلق، حتى أنا لن أسامحك.

تقدّمت نحوّه بثقّة، و نزعته منه المسدّس و ألقت به جانباً. التقط خليل المسدس بسرعة، و أسرع جانسل نحو الشاب و همّ بإخراجه من البيت، فهتف كينان مزمجراً:

- اتركه! لا يزال هناك أمرٌ أودّ معرفته، وليذهب إلى
الجحيم بعدها، اخرجوا جميعاً!
- كلاً! سأبقى هنا.

التفت إليها كينان، فالتقت نظراتهما ثم قال:

- لا! اخرجي أنتِ أيضاً.
- هذا الأمر يخصني بالدرجة الأولى.
- قلت لك اخرجي!
- اللعنة! كينان، هذا لا يعنك.

فقاطعهما جانسل قائلاً:

- أتريد قتله؟
- لا! فقط اغربوا عن وجهي.

فالتفت إليها جانسل و قال:

- هيا بنا إنجي.
- ألا تفهمون! لن أخرج من هنا.

أمسك جانسل بيدها، و سحبها إلى الخارج رغماً
عنها فراح تصيح:

- دعني، لا أريد الخروج!
- اهدئي، هو الوحيد الذي يجب أن يعرف ما حدث.

- لكنني صاحبة الشأن!

تملّصت من يد جانسل و دفعت الباب بقوة ثم دخلت.
تلاقت عيناها فجأة، فلاحت ابتسامة على وجه كينان و
قال:

- كل شيء بخير صغيرتي.

سرعان ما عمّت الغرفة يقظة عارمة، و أشرق بها
نور ساطع.. لقد أحست إنجي كأن الدنيا من حولها نغم
حلو، ثم قالت مدارية عواطفها بتقطيعة بين حاجبيها:

- لا تتدخّل بحياتي، و لست صغيرة أحد!

ثم أشاحت عنه بوجهها، و انصرفت إلى سيارة
جانسل دون أن تلتفت و هي تقول لجانسل:

- فلننصرف من هنا يا جانسل، أسرع أرجوك فقد
تشاءمت من المكان و من منزل الرعب هذا.
- لا تقلقي يا إنجي، لقد انتهى كل شيء.
- لا أدري، لكنني أحسست بأمر غامض اتجاه هذا
المنزل، دعنا نذهب أرجوك.

بعد طريقٍ بدتٍ لإنجي طويلة و مرهقة، و صلا
للمنزل، فجرت نحوها ديلارا و عانقتها:

- صغيرتي!

- ماما!

- هل أنت بخير حبيبتي؟

- أنا بخير ماما، لا تقلقي.

انتحي جانسل جانبا و اتصل بكينان:

- كينان، لقد طلبت منك إنجي ألا تذكر أي شيء مما

حدث أمام أمك و تولين.

- لماذا يا جانسل؟

- اسمعني جيدا يا كينان، يجدر بك في هذه الفترة أن

تلبّي كل رغبات إنجي، هذا إن كنت لا تزال تريدها.

- أريدها! هي حياتي، و قلبي لا يخفق إلا لها.

أنهى الصديقين حديثهما، ثم دخل كينان المنزل

مترنحا من شدة الألم، و اتجه مباشرة لغرفته دون أن يكلم

أحدا بالموضوع.

كانت تولين خائفة و حدّثتها نفسها بالشرّ، أما هيفين

فقد كانت تحاول أن تفهم ما يحدث من ولديها، إلا أن خليل

و يالذر لم يردّا بكلمة، فحتى هما لم يفهما لحدّ الساعة كل

ما يحدث بوضوح.

همست تولين لخالتها و هي ترتعد:

- لا أدري ما الذي حدث يا خالتي، لكن كينان لم يذكر شيئاً و هو لا يريد النظر بوجهي.
- و لا أنا يا تولين، لكن هذا ليس من عادته فهو لا يتسّر عندما يكشف أمرا ما.
- ربما يدبّر أمرا ما يا خالتي.
- لا أظن ذلك، لو كان كينان يعلم شيئاً لقلّب الدنيا على رؤوسنا.
- إذا نحن لم نُفتّح، أليس كذلك؟
- لا أدري يا تولين، هناك أمر غريب يحدث.

لقد آثرت إنجي التّكّم عن حيثيات الموضوع، و التستّر عن كل ما جرى من أحداث حتى لا تعلم هيفين و تولين بذلك، الظاهر أن الحسناء قد استعادت حيويتها و هي تبيّت أمرا ما.

عقد سري

في صبيحة اليوم التالي، يوم ربيعي ذو طقس جميل و هواء عليل، كانت السيدتان جالستان على الشرفة المطلّة على حديقة القصر.. تحت الشرفة أرض الحديقة المكسوّة بالأعشاب الخضراء، كأنها زربية متقنة الصنع، و بدت فوق الشرفة سماء إزمير كعين الطفل صفاءً، تجول بها العصافير و تغرّد كأنها في عرس أو مهرجان من الألحان. و انتشر بالمكان أريج الأزهار الفواحة، التي تدغدغ الأنوف، و تهزّ النفوس، مما جعل السيدتين تتمايلان من النشوة، و ما زاد من ابتهاجهما عبق القهوة التركية بأنافهما.

ابتسمت رندة خانم فجأة، و وضعت فنجان قهوتها من يدها، ثم التفتت إلى أختها قائلة بتعجب و هي تنظر إلى باقة كبيرة من الورود المختلفة ألوانها:

- أكلّ هذا من أجل إنجي؟

- أجل يا أختي، كل هذه الورود من أجلها، وهي
تلقاها بالقمامة، ثم ترسل الصور لجانسل حتى يبعث بها
إلى كينان.

في الداخل كان جانسل يضحك مقهقها و هو يكلم
كينان على الهاتف، ثم قال بتهكم:

- هل تريد أن تطّلع على صورة ورودك بالقمامة؟
- اللعنة يا جانسل ! أتستهزئ بي؟

لقد كان جانسل يستهزئ بالحالة التي آل إليها كينان
بسبب حبه لإنجي، آه لو كان يعلم أن هذه الدنيا دول بين
الناس!

الدهر يومان، يوم يجد فيه المرء سعادته و ظفره بما
يريد، إلا أنه حين يفوز بما أراد، فإنه يريد ظلما و بهتاناً
أن يدوم على تلك الحال، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي
السفن، و ما كل ما يتمنى المرء يدركه.

إن الدهر موترٌ قوسه، لا تخطئ سهامه، و لا تؤسي
جراحه، يرمي الحي بالموت، و الصحيح بالسقم، و الناجي
بالعطب.

إنه خصمٌ مخصوم، و محتكمٌ غير مظلوم، و
محاربٌ غير محروب.

و لا يستعين اللبيب العاقل على الدهر إلا بالعقل، و
هذه تذكرة لمن كان له قلب، أو ألقى السمع و هو شهيد.

بعد حوالي ساعة و في منزل كينان، التزم جانسل
الصمت فجأة و قد كان جالسا مع كينان، حتى أنه لم يلقِ
بالأ لكلام كينان الذي كان لا يزال يعبر عن مشاعره. لقد
شدّ نظره نحو السلم و ردة رائحة الحسن، لا نظير لجمالها
و أبهتها بإزمير كلّها، فراح يتأملها و قد سلبت لَبّه و كيانه،
عينان زرقاوان ساحرتان بلون السماء، تغلوهما خصلات
ذهبية بلون الشمس، و تحوط ابتسامتها الندية شفتان
رقيقتان.. كانت تنزل عن السلم كملاك نازل من الغمام،
بخطوات فاتنة ثابتة، فأعجزت الشاب الملهوف عن
مواصلة ثرثرته مع صديق عمره، لقد نسي نفسه بين ثنايا
سحرها، فكيف له أن يتذكر صديقه.. خطفت روحه و
جذبتّه إلى عالمها الخاص بين خدمها و حشمها، فأين المفر
من كبرياء روحها المقدسة.

استوى جانسل قائما بعد أن استعاد بعضا من نفسه،
ثم همّ بتحيتها فسمع كينان يقول و قد كان منشغلا بتعديل
هندامه:

- أنا ذاهب لأراها يا جانسل.

بلغت الوردة الشقراء آخر درجات السلم، ثم التفتت إليه بالأحاط فأتكة سمّرتة في مكانه، ففرّت روحه من بين جنبيه.

ويل له من سهام ألاحظها، لقد أشعلت لهائها شوقه، و قيدت فؤاده، لقد أرسلت عليه جيشا عرمرما أسر قلبه و لبّه.

آه له من العيون و فعل العيون! لقد تركت في وجدانه جرحا غائرا لا يبرأ.

و هل من جيش يفوق عينيّ الحسنا سحراً!

افتر ثغرها عن ابتسامه قاتله و قالت:

- كينان، ارفق بنفسك فأنت لا تزال مريضا.
- إليف، مارسي مهنتك بالمستشفى و ليس هنا.

ثم انصرف كينان مباشرة دون أن ينظر إلى أخته، فنطق جانسل أخيرا:

- إليف!

فانبرت و قالت بصوت أجش صارم و قد قطبت حاجبيها:

- ما الذي عاد بك؟ ألم أطلب منك ألا تعود؟

تجنبته و همّت بالإنصراف خارجاً، فاعترض سبيلها
و قال بلطف:

- إليف، دقيقة واحدة فقط، أنا أريد أن أفهم مغزى
معاملتك إياي بهذه الطريقة.
- ابتعد عن طريقي!

أسرعت نحو الخارج تحتّ خطاها فحاول اللحاق
بها، لكن حركة خليل على السلم أوقفته مكانه فتظاهر بأنه
يريد الجلوس على الكنبه.

و بعد مدّة، أوقف كينان سيارته خارج منزل ديلارا
خانم و نزل من السيارة بصعوبة بسبب الألم.

فليعاني ما شاء له الله أن يعاني من آلام الحادث و
الجراحة، لكنه لن يبلغ أبداً زفرةً واحدة من معاناة الحبيب
حين يصدّه محبوبه.

لك الله يا كينان!

إنه لصعب جداً أن يختار المرء بين قلبه و كرامته،
و أصعب منه أنّ المرء مجبر على التنازل عن أحدهما
شاء أم أبى، و هل الحبّ الصادق إلا تذللّ للمحبوب؟

تسارعت خطوات كينان المترنحة على السلم دون أن يحدث السيدتين، فتبادلنا النظرات بينهما ثم ابتسمتا بسبب جنونه و قالت ديلارا:

- من دون شك أنه قد فقد عقله.

- أكيد، أنا لا أشك بهذا أبدا.

بلغ الدور الاول، ثم طرق باب الغرفة بيدين مرتعشتين من اللهفة و الإرهاق و هتف:

- افتحي إنجي!

التزمت الصمت داخل غرفتها فقال:

- حبيبتي، أرجوك افتحي و لكِ ما تريدين.

حرك انفعالها من شدة انفعاله فردت بجفاء:

- أخرج من بيتنا، أنا لست حبيبة أحد!

- إنجي، افتحي الباب و إلا خلعتة!

- ألا تعي ما أقول؟ نحن لا نريدك بيتنا، كل ما كان

بيننا قد انتهى.

- حبيبتي ارجوك، فقط افتحي الباب و قل لي كل

هذا مباشرة و أعدك بأنني سأصرف.

قامت من سريرها مغضبة و قد تملّكها الحزن و
الأسى، فتحت باب غرفتها بعنف فتلاقت النظرات فجأة،
فتسمرت مكانها و تسارعت نبضاتها.

لقد تجمدت مشاعرها من شدة العتاب، أو ربما من
شدة الفرح، لقد اختلط عليها الحب و الكراهية.

ربما لا تصدق الحساء ما تراه عيناها البريئتان.

أرسلت دمعة حارة راحت تتراقص على خدها الذي
كاد يذبل من لوعة الأسى و الجفاء.. لم تدمع عيناها
البراقتان من أجل الدموع نفسها، بل من أجل حرارة اللقاء
الفوضوي الذي بعثر مشاعرها، و دمّر كل قراراتها.

ما أحلى العيون و نظراتها، وما أرفف الأحاسيس و
بواعثها، لحظة لقاء المحبوب هي إبحار في مجرة الدفء
و الحنان على أجمل سفنها، سفن الدموع المبتهجة، دموع
العتاب و الفرح.

كانت تتضارب بين مشاعرها، كما تتلاطم أمواج
البحر الهادر الثائر الجثث الميتة.

أما كينان فقد عجز لسانه عن الكلام، و اكتفى
بشعور رائع و إحساس قوي بالغبطة كاد ينفجر له قلبه.

لمع البشر في عينيه البنيتين اللتين يعلوهما حاجبان
سواداوان كسواد شعره الكثيف.

و من فرط جمالها و أنوثتها، راح يستغل الثواني و
الأجزاء لتأملها و قد لمح عقدها الذهبي الذي لا يكاد يُرى
فوق بشرتها الذهبية.

في تلك اللحظة أدرك جيدا كم اشتاق لحبيبته، و في
تلك اللحظة بالذات تأكد جيدا أنه يعشقها و يتنفسها و لن
يقو على العيش من دونها.

لقد خذلتها رهبة اللقاء، و نسي كل منهما ما جرى
حيث سيطر هناك الصمت و النظرات.

لن يفهم في تلك اللحظة أحد سواهما ما تعنيه كلمة
البِعادِ عن الحبيب.

تقدّم كينان نحو حبيبته خطوة يبدو أنه قد استعان بكل
طاقة الكون من أجل القيام بها.

ما أروع اللقاء بعد طول البعاد، بعد طوفان عارم
من الجفاء و الشوق.

هي لحظة تتجلى أحداثها على لوحة ربيع العمر.

لحظة تُسجّل حركاتها و سكناتها بماء الذهب.

لحظة تتزايد فيها نبضات القلب، و تتجمد مشاعر
الوجدان.

لحظة فيها من القرب و الوصال، ما يروي ظمأ
الأحاسيس التي التهبت من فرط الفراق.

لقد زجرت الفتاة فؤادها من أن يبوح بحزنها، فباحث
به عيناها و لم ينفع الزجر.

لقد شكى كينان دون كلمات، فحرّك بالشكوى
عواطفها، مثلما تُحرّك كف العزف الوتر.

احتضنها فجأة من دون إنذار و لا سابقة كلام،
فاستغرقت في نجواها و راحت تردّد في وجدانها مُفدّة
اتهاماته لها، و شكاياته منها في تلك الليلة الليلية:

قل للذي مني تشاكى قائلاً..... إنّ الغرام أدلّه وأعزني
هيهات أن يعتزّ يوماً بالهوىمن سارَ في درب الهوى فسينحني
إنّ الهوى بالذلّ دوماً يكتسيمن يرتدي ثوبَ الهوى فسينثني
أما الخيانة للعهدِ فليتهُ لم ينطق اللفظُ الذي قد هدني
أنا ما ظلمتُ ولا هجرتُ وصالهُ.....بل كلما قلتُ الوصالَ يردني
وأتى الذي مني اشتكى فضننتهُوبكيتُ منه وقلتُ كم أبكيتني
أنت الذي أخفيت في القلبِ الهوى... وكتمتُ حُبَّك لي وما صارحتني
أنا لو علمتُ بأنّ حُبَّك في يدي سأظلُّ أقبضُها ولو أحرقتني

واصلتكم حتى أتى اليوم الذي غيتم وظلّ الحبُّ في قلبي الغني
فلئن دعوت عليَّ في جنحِ الدجى فاللهُ حسبي منك إن هددتني
لاتحسبنَّ اللهَ يقبلُ دعوةً ممن دعا ظلماً وأنت قهرتني
ولئن قعدتَ على الطريقِ لتشتكي فلأصبرنَّ عليك إن آذيتني
فبكى الحبيبُ وقامَ نحوي مُسرِعاً وأتى وقبّلي وراح يَضُمُّني
وصاحَ أقسىم بالذي فطر النوى لن أبتمس إلا إذا سامحتني
فنظرتُ في عينيه بعدَ تأملٍ وعفوئُ عنه وقلتُ كيف فتننتني

طبع قبة صغيرة على جبينها أطفات لهيب حنينها،
كأنما بعث الحياة في وردته بعد ذبول و أفول، ثم همس في
أذنها:

- تبقين أنتِ وحدك حبا داخل قلبي أغرم به كل يوم !

فلاحت على ثغرها ابتسامة رقيقة رسمتها شفاتها
الورديتان الممثلتان، دون أن تنبس ببنت شفة.

انتفضت إنجي فجأة و ابتعدت عن كينان قليلا، و قد
اختلجت أهدابها من الحيرة، و تحول وجهها من النضارة
إلى الامتقاع و الاحتدام، فاندesh كينان مما رأى فنفر قلبه
قليلا ثم قالت له:

- لن أغفر لك يا كينان!

فأجاب متلعثما:

- ما الذي تقولينه حبيبتي؟

فقال مع شيء من الجفاء:

- أجل، أنت لم تعد تعني لي شيئاً.

تضاربت مشاعر إنجي و لم تعد تستطيع التفريق بين الحب و الكراهية، و استرسلت في التفكير و اختلط في وجدانها مزيج عجيب من الأحاسيس و المشاعر، إلى أن خُيِّلَ إليها أن كينان غريب و لم تره من قبل، و أنه ذو مطامح و ميولات تختلف كلياً عن مطامحها و ميولاتها، فاقترب منها دون اكرثات لكلماتها و قال بهدوء:

- هذا واضح بأنك لا تهتمين لأمرى.

فردت عليه بلهجة عابسة متحدية:

- لا يهم! حتى و لو كنت لا أزال أحبك فلن أعود لك و لا تنسى أن لذي خطيب.

- أي خطيب تقصدين؟

- و هل نسيت بأنني مخطوبة من أركان؟

تجاهل كلماتها و قدم إليها الصفحة الأولى من جريدة كان يحملها بجيب سترته، و ابتسم ابتسامة ماكرة. التقطت إنجي الجريدة بخفة و ألقّت نظرة خاطفة على العنوان المكتوب أعلاها بخط عريض: " أشهر زعماء المافيا في

تركيا و روسيا يذهب إلى السجن في موكب من 100 سيارة"، ثم رفعت رأسها إلى كينان و قالت مستطلعة:

- و ما علاقة هذا بي؟
- أكملني قراءة المقال لتفهمي.

تسمّرت في مكانها و هي تنتقل بين سطور المقال،
ثم أظهرت لامبالاة بالخبر و قالت بحزم:

- لا يهم، كل ما يهمني الآن أنني لا أريدك، و لا
أستطيع حتى النظر بوجهك بعد الذي صنعته بي.

لقد كانت تتكلم بثقة و يقين تامّين، و إن كانت تعلم أنها من الكاذبين. لقد كانت كلماتها بعيدة عن الصدق بعد المشرقين، لكنها عنيدة و تريده أن يكون لها وحدها رسميا و ليس عاطفيا فقط. تريده لها وحدها لأنها تعشقه و لا تريد أن تشاركها به امرأة سواها، هي تريد أن تأخذه لنفسها نكاية في تولين و جيندا، و هذا حتى ترفع راية انتصارها، و حتى و إن كانت صغيرة بالنسبة للعدوتين، فإنها تقترب من الإطاحة بخصمين عصيين لهما من الخبرة و التجربة ما يجعل حصونهما شديدة على الأعداء، و قلاعهما و عرة صعبة المنال.

فقال لها مستعظفا مستثيرا حنانها:

- آسف حياتي! أقسم أنني لم أشك بك لكن قلبي أبقى
أن يكذب ما رأته عيناى.
- إذهب انت و قلبك للجحيم، أنا أريد رجلا يثق بي و
لا يشك بي عند أدنى مشكل يقع.
- لكننى أثق بك حبيبتي.

همت بالإنصراف داخل غرفتها و قالت مزمجرة:

- اخرج من حياتي يا كينان، لقد اكتفيت.

اعترض سبيلها و قال متضرعا:

- فرصة واحدة فقط يا روجي، أعلم بأنني قد
جرحتك لكنك تعلمين بأنني أحبك.
- الحب ليس كل شيء في الحياة، الحب يحتاج لثقة
متبادلة.

- حبيبتي، لننسى كل ما حدث و اطلبي ما تشائين.

تحركت داخل الغرفة و قالت و هي تهزّ كتفيها
بدلال و غنج:

- لا أريد أي شيء منك، أحتاج رجلا يثق بي و
أتمسك به عند اشتداد العاصفة، و بُغيتي ليست عندك
فاذهب بسلام.

فاستصرخها قائلاً و هو يكاد يجنّ من العذاب و
تأنيب الضمير:

- فرصة واحدة حبيبتي و اطلبي ما تشائين.

سكنت إنجي لحظة و راحت تناجي نفسها، و قد
أيقنت أن المحراب الذي احتله كيان في وجدانها ليس سوى
محراب مقدس لا يستطيع أحد بلوغه، فابتسمت ابتسامة
يملؤها الذكاء و الفطنة، و قد تذكّرت أن غيرها تريده، ثم
نظرت إلى وجهه بعمق و أدركت أن الفرصة التي لطلما
ارتقبت قدومها قد حانت و ها هي جاثية عند قدميها.

و هل هناك من يجهل أن الفرصة السانحة مثلها مثل
شروق الشمس، إذا انتظرناها طويلاً فإننا غالباً ما نفقدها.

الفرصة تمر مرّ السحاب، فيجب انتهازها قبل فوات
الأوان.

جمعت إنجي أمرها و ردّت عليه بعد تردّد:

- تزوّجني اليوم!

أطرق كينان رأسه ليخفي سروره ثم قال باهتمام:

- اليوم؟

- الآن!

فقال بحماسة غير معهودة:

- غيري ملابسك و حضري نفسك، فليس لدينا وقت.

فتظاهرت بالإنكار قائلة:

- إلى أين؟

اقترب منها حتى تعانقت أنفاسهما و قال هامسا:

- سنتزوج حبيبتني.

اختلجت أهدابها و تلعثت، فقبلها على شفيتها قبله
خاطفة و انصرف دون أن يدع لها فرصة لإنكار قبلته،
فصرخت لكن تصرفه الطائش قد راق لها:

- وصي فاسد.

بعد فترة نزلت عن السلم بوجهها الناصع و قلبها
ينبض حبا و عشقا، ثم قالت بكلام كالهمس:

- لا زال هناك شرط آخر يا كينان.

سكت هنيهة و خشى أن يكون شرطا عصيا غير
قابل للتحقيق لأنه يعلم عنادها، فقال مستطعلا:

- و ما هو؟

- لا أريد لأمك و ابنة خالتك أن تعلمتا بأمر الزواج.

- لماذا؟

- هذا شرطي فهل قبلت؟

ابتسم إليها بعد أن رأى المكر بوجهها و قال:

- زواجا سريًا حبيبتني؟

- لا أريد لأحد أن يعلم سوى أمي و خالتي و

جانسل.

- و البقية؟

- لا يهم، كل ما يهمني أمك و تولين.

- فيما تفكرين حبيبتني؟

- لا عليك حبيبي، لقد وعدتني بقبول شرطي.

تنهد كينان بسبب جنونها ثم تمتم باسمها:

- لك ذلك.

ما إن سمعت ديلارا كلامهما حتى انتفضت منكراً:

- تتزوجان اليوم؟ ما هذا يا كينان؟

فأجابها بصوت هادئ رصين:

- هذا شرط إنجي يا عمتي، و شرطها الآخر هو أن

لا تعلم أمي و تولين بالأمر.

فقاطعتها إنجي قائلة:

- أجل ماما!

التفتت إليها ديلارا و قالت:

- و ماذا عن وصية والدك؟

لم تجد إنجي جوابا فأنقذها كينان قائلاً:

- زواج على ورق فقط يا عمتي.

فابتسمت إنجي بمكر و قالت في وجدانها:

- سنرى ما الذي على الورق، الزواج أم الوصية.

اكتفت رنده بالصمت و قد ملأت الحيرة محياها، ثم

قالت إنجي فجأة:

- لا يزال هناك أمر آخر يا كينان.

- ماذا تقصدين حياتي؟

- سأسكن معك بغرفتك.

و فجأة جالت بخاطره عدّة أسئلة عجز عن إيجاد

تفسيرات لها و بقي مذهولاً، فهتفت ديلارا قائلة:

- إنجي!

- لكننا سننزوج ماما!

- هذا يعني أننا ستعلنان زواجكما.

- لا! لا أريد هذا ماما.
- ما الذي تخططين له صغيرتي؟

ثم ردّ كينان فجأة:

- موافق!

حوالي الساعة الثانية مساءً، وضع كينان عقد الزواج بجيبه، و خرج برفقة إنجي التي تأبطت ذراعه و مشيا على الرصيف نحو السيارة التي كانت مركونة بإحدى المواقف الواقعة بساحة كوناك قلب مدينة إزمير.

رفعت إنجي طرفها فجأة، فوقع على برج الساعة الذي يتوسط الساحة فراحت تتأمل هندسته و جماله. يبلغ طول البرج خمسة و عشرين مترا مقسمة إلى أربعة أدوار، و هو يرتكز على قاعدة من الرخام الأبيض، و قد تزينت نوافذ البرج برموز و شعارات الدولة العثمانية أشهرها رمز أسطول السلطان محمد الثاني.

يقع البرج بالقرب من كورنيش بحر إيجه، فعبقت بأنف إنجي رائحة البحر و هي منتشية مزهوة بانتصارها، و قد امتلأ المكان في ذلك المساء بحشود من سكان المدينة و السياح على حد سواء، ركب الزوجان المزهوان سيارتهما و انطلقا، و انطلق جانسل في إثرهما بسيارته بصحبة والدته و خالته.

التفت كينان إلى حبيبته و قال باسمها:

- سنة واحدة فقط حبيبتي ثم نكمل زواجنا.

فردت بإنكار:

- لكنني ناضجة حبيبي فلم الانتظار؟

- أنت حبيبتي و كل شيء بحياتي.

- دعك من هذا و قل لي متى نرحل للسكن في بيتك؟

فأجاب تلقائيا:

- الآن حبيبتي، و إن أردت تغيير رأيك فإننا سنسكن

معا في مكان آخر.

- لا حبيبي، سنسكن ببيتكم الحالي و أشاركك

غرفتك، ألسنت صغيرة و يجب الإعتناء بي؟

- طيب حبيبتي لك ما تريدين، جهزي أغراضك و

أنا أمر الخدم بنقلها لغرفتي.

في آخر المساء، كانت الدهشة و التساؤل يملآن

هيفين و ابنة أختها بسبب الخدم الذين كانوا يقومون بنقل

أثاث و حقائب داخل المنزل، فهتفت هيفين فجأة:

- ماذا يحدث هنا؟

ردت عليها إنجي بعد أن دخلت خلف آخر الخدم:

- مرحبا هيفين خانم!

ثم تبعتها ديلارا بابتسامة مأكرة، فلم تتحمل هيفين كل ذلك الغموض و انفجرت قائلة:

- أنتما، ما الذي تصنعانه هنا؟

ضحكت إنجي مقهقة و قالت:

- نحن هنا للسكن معكم، أو لسنا عائلة واحدة؟

ثم التفتت إلى الخدم و قالت:

- احذروا من أن تتركوا شيئا من أغراضي خارج المنزل، انقلوا كل أغراضي الخاصة إلى غرفة كينان و أغراض ماما إلى الغرفة المجاورة.

شعرت تولين فجأة بأن الأرض تدور من حولها، و أن الشمس قد لبست قناعها الأسود فما ترى شعاعا من أشعتها، إن فرائصها تصطك و ترتعد فما تكاد تحملها، ثم صاحت و قد ثارت ثائرتها:

- غرفة كينان! أ تريدين السكن بغرفته؟

قهقهت إنجي ضاحكة و قالت مدفوعة بروح الإستهتار و التهكم:

- أجل، أجل فوصيي يقول بأنه و بعد كل ما حدث
معي في الأيام الماضية فإنني لن أكون بمأمن إلا بجانبه.

نظرت إليها هيفين شزرا و صاحت:

- أمجنونة أنتِ أم ماذا؟!!

أنابريئة

التفتت هيفين إلى ديلارا، و نظرت إليها نظرة حادة
كادت تخترقها، ثم صاحت:

- أما سمعت ما تقوله ابنتك؟ تريد أن تشارك رجلا
أعزبا غرفته!

فردت ديلارا بلهجة هادئة تنم عن عدم اكتراث:

- فلنفعل ابنتي ما تشاء، في الأخير هي حرّة، و أنا
أؤيد كل قراراتها.

فقاطعتها تولين بصوت مرتعش لا يخلو من الرجاء:

- و أين كل هذا من الدين و الأخلاق؟

- أي دين، و أية أخلاق تقصدين؟ قبل أيام فقط تمّ
تخدير ابنتي، و إحضار رجل غريب إلى غرفتها، فما
رأيك بهذه الأفعال؟ و أين هي من الدين و الأخلاق؟

تململت تولين محرّجة، و قد أسقط في يدها جرّاء ما
سمعتة، و أدركت ما ترمي إليه ديلارا بكلامها، فظلت

صامتة حتى أنقذت إنجي الموقف فجأة، ليس من أجل إنقاذ
تولين من موقف الخزي هذا، بل من أجل إشعال غيظها،
فقالت باسمه:

- أجل هذا صحيح، و لهذا قرّر وصيّ العزير
مراقبتي عن كثب، و قد طلب مني أن أشاركه غرفته حتى
لا تتكرر فعلة الخادمة الدنيئة.

وثبت هيفين من مكانها وثبة اللديغ، إلا أنها التزمت
الصمت و قد راعها ما سمعت من إنجي و أمها، فأسرّتها
في نفسها و هي تتميز غيظا و حنقا. عادت إلى ذاكرتها
أحداث تلك الليلة، فأدركت مبتغى إنجي و أمها من خلال
كلماتهما، إلا أنها تشدّدت و تصبّرت، و ظلت شاخصة
إليهما بنظرات جامدة، أشبه بنظرات المحتضّر في النّزع
الأخير.

إن هيفين امرأة شريرة، خبيثة الأخلاق، و ليست
هي و ابنة أختها ممّن يحفظ عهدا و لا وعدا، و ليستا ممّن
يرقب إلاّ و لا ذمّة في أيّ كان.

ساد الصمت برهة من الزمن، لكن إنجي أحست
بأنها لم تشفِ غليلها بعد، فلمعت عيناها فجأة، و قالت
مبتسمة:

- سأتصل بكينان، و ستسمعن الحقيقة من فيه مباشرة.

ردّ كينان على اتصالها، فشغلت مكبر الصوت و قالت:

- ألو، كينان..

- يا روح كينان !

انفعلت تولين في صمت جرّاء ردّه القاصم للظهر، فجفّف الشر كل ينابيع الحب في قلبها، أمّا هيفين فراحت تحمّلق إلى إنجي طويلا بعينين طافحتين شرا.

تجاهلت إنجي نظراتهما بعد أن راققتها تلك الإنفعالات، ثم واصلت كلامها:

- أترفض أن أشاركك غرفتك يا كينان؟

- أنت تسكنين كل حياتي و وجداني، حتى لو طلبت السكن في نفسي التي بين جنبيّ لقبلت.

ابتسمت ابتسامة رقيقة كعادتها، فوثبت هيفين كمن أصابه مسّ، و أمسكت يد إنجي، لكن الأخيرة دفعتها عنها بعنف، فصرخت هيفين قائلة:

- هاتِ ذاك الهاتف اللعين!

التقطت الهاتف بسرعة و ارتعاش، و هتفت
صارخة:

- كينان! كيف تشارك امرأة غرفتك الخاصة، ألا
تزال تظنها طفلة صغيرة؟

فعارضها صارخا:

- لا أسمح لأي أحد بالتدخل في شؤوني، خاصة
أنت!

- لن أقبل بأمر كهذا في منزلي يا كينان!
- هوني عليك يا أمي، و لا تنسي بأنه منزلي، فكل
الوثائق باسمي، أمّا إنجي فإنها ستسكن معي.
- كيف تحدّث والدتك هكذا، ألا تستحي من هذا؟
- لا دخل لك بخصوصياتي، لدي اجتماع طارئ
الآن سأقفل الخط، و ليكن في علمك أن إنجي ستسكن أين
شاءت.

ثم أقفل الخط مباشرة، فتهللت أسارير إنجي و بدت
مزهوّة بانتصارها المدوّي، ثم أشارت للخدم:

- أسرعوا من فضلكم، أريد كل أغراضي بغرفة
كينان.

انتحت كل من هيفين و تولين ركنا من المنزل و هن واجمات، و انتشر الغضب و الحيرة، و توالى الدقائق و الثواني متناقلة متراخية، و جالت بخاطر المرأتين عدة أسئلة عجزتا عن إيجاد أجوبة لها.

ظلت تولين تذرع المكان جيئة و ذهابا، و هي تغوص في بحر من الأفكار، متسائلة بينها و بين نفسها عن كُنه هذه الفتاة التي ابتليت بها. ما السر خلف قدوم إنجي للسكن معهم؟ و الأمر الأشدّ غرابة من قدومها، هو مشاركتها لكينان غرفته، داهم تولين الخوف، و ساورتها شكوك شتى، فهتفت فجأة بصوت داخليّ غير مسموع:

- ماذا أفعل الآن؟ لا بد من سبيل لمعرفة الحقيقة!

ظلت تولين تتحرّق لقدوم كينان، فكانت ترسل النظر من النافذة تارة، و تركض إلى طرف البهو تارة أخرى مستطلعة قدومه.

لقد كانت تقدم رجلا، و تأخر أخرى، ترنو و لا تدنو، ثم عزمت فجأة على النزول إلى قاعة الإستقبال.. راحت تنزل السلم بخطوات مضطربة متوترة، لا تلوي على شيء، و قد كان جانسل و أمه و خالته يتحدثون بالبهو بشأن زواج كينان و إنجي، فقال جانسل بصوت كالهمس:

- لكنّها زوجته الآن يا أمي!

- هذا صحيح يا جانسل، و يجب أن يعلننا زواجهما
لأن الأمر ليس لعبة.

يا لهول ذلك المنظر الفظيع! لقد صُعقت تولين، و
بقيت مهولة من هول الفاجعة، لقد أمست حياتها خواء لا
بهجة فيها، ثم وضعت يدها على فمها لتكتم صرخة أحست
أنها ستنتطق رغما عنها، و أصبحت ساقاها غير قادرتين
على حملها.

ازدردت ريقها بحيرة و ارتباك، و قد تمكّنها اليأس
فسارعت بالصعود قبل أن ينتبه إلى وجودها أحد، ثم دفعت
باب الغرفة بقوة، و دخلت غرفة خالتها تندب حظها:

- تزوّجها! لقد تزوّجها يا خالتي!

انتصبت هيفين واقفة، ثم قالت متسائلة:

- اهدئي يا تولين، ماذا جرى؟ من تزوّج من؟

- كينان يا خالتي، لقد تزوّجها!

فردّت هيفين متلعثمة:

- أنتِ.. إنك لا تصدقين أنه تزوج إنجي، أليس

كذلك؟

- بلى! لقد تزوّجها، لقد انتهى كل شيء، لقد سمعتهم

يتحدّثون.

تريّثت متململة، ثم التفتت يمينا و شمالا، فبرقت في عينيها الحقودتين بارقة شرّ و قالت لخالتها:

- لن أسمح بهذا أبدا!

- ما الذي تقصدينه بهذا؟

- لقد خطرت على بالي فكرة جهنمية، أنت فقط

ساعديني يا خالتي.

ثم قهقهت ضاحكة كالمشعوذات، و تطاير الشرّ من

عينيها.

أسدل الليل ستائره، و تلالأت النجوم في سماء

إزمير، و قد كان الجميع يجلسون في البهو الفسيح عدا

تولين و خالتها، ثم ابتسمت إنجي فجأة بعد أن لمحت كينان

يدخل من الباب.

كان كينان الشاب السعيد الذي رزقه الله أفضل

الحظ، و أجزل الفطة، و جودة الرأي، و من الغنى أكثره،

و هو الشاب الذي بلغ الرتبة القصوى بأفعاله و خصاله،

مع طلعة بهية، و مظهر أنيق، و هذا ما ترنو إليه كل

الحسنات.

لقد راق لإنجي ماكان عليه حبيبها من حسن و هيبة،

و شعرت بالفخر، و لذة الانتصار لأنه أصبح ملكا لها.

تلاققت نظراتهما، فغمزها بطيش حتى أطرقت رأسها

خجلا، ثم جلس بقربها بعد أن ألقى التحية على الجميع، و
قبل يدها قائلاً:

- كيف كان يومك حياتي؟

- بخير و أنت؟ الإرهاق بادٍ عليك، يجب أن ترتاح.

- أنا جدّ مرهق، ربما يلزمني الكثير من الراحة.

بينما كان الجميع يتبادلون أطراف الحديث، و
سحابة حب وردية تغطّي الحبيبان، هتفت تولين من الدور
الأول:

- من فضلك كينان، أحتاجك دقيقة على انفراد.

التفت إليها كينان، ثم هز كتفيه نفيماً دون أن ينطق
بكلمة، فابتسمت إنجي لفعله، و قالت تولين:

- أرجوك كينان، إن الأمر ضروري جداً.

اتجه نحو مكتبه و لحقت به تولين، ثم اقتربت هيفين
فجأة من إنجي و قالت:

- بعد إذنك إنجي، أحتاجك في أمر مهم.

انتفضت ديلارا بعد أن رأت ما يدور بين هيفين و
إنجي، و صرخت في وجه هيفين قائلة:

- هيفين! ما الذي تريدينه منها؟

- لا تقلقي يا ديلارا، مجرد كلام بيننا و لن يطول الأمر.

التفتت إنجي إلى هيفين و قالت بلهجة انتقادية:

- ليس لدي أي حديث معك!
- الأمر هام جدا يا إنجي، أنتِ فقط اسمعي مني فإما أن تأخذي، و إما أن تتركي.

فقالَت إنجي لأُمها تطمئنُها، و هي لا تدري ما الذي ينتظرها:

- لا تقلقي ماما، سأرى ما الذي تريده و أعود بسرعة.

بعد هنيهة، أسرعَت إنجي نحو غرفتها و قد جنّ جنونها و طاش عقلها، دلفت إلى الغرفة منكسرة حزينة، تجر خطى الخيبة و تملّك وجدانها أسي شديد، و هي التي ضحّت بكل شيء من أجله، يالللرجل المقيت! لم تكن تفكر يوما أنه كان يريدُها من أجل غرض تافه، و هي التي أحبته و عشقته، و تحملت من أجله كل الشدائد و الصعاب، لقد كان كل شيء بالنسبة لها كذبا و خداعا، نفاقا و ادّعاءً.

راحت تناجي نفسها، و قد غطّت جبينها اللامع غمامة من الهم و الاكتئاب، ثم ترقرقت الدموع في عينيها

المظلّمتين اللتين زال بريقهما، و قد قصمت ظهرها
عواصف الدهر و أرزأوه و هي لا تزال زهرة صغيرة.
لملمت بعض الأغراض، و وضعتها في حقيبتها التي كان
بها جواز سفرها و بعض المال، ثم انسلّت من الباب
الخلفي دون أن يحسّ أحد بخروجها.

بعد لحظات عاد كينان إلى البهو ثم تساءل:

- أين ذهبت إنجي؟

- استدعتها أمك، قالت بأنها تريدها في أمر مهم.

- أمي! أي أمر مهم هذا الذي انفردت بها من أجله؟

صعد إلى الدور الأول بخطوات متسارعة إلى غرفة
أمه التي كانت بصحبة تولين، فدخل و قال:

- أين إنجي!

- لا أدري يا بني.

فصاح بوجهها:

- لكن الجميع يقولون بأنها كانت معك!

- أجل، هذا صحيح لكن كلامنا لم يستغرق أكثر من

بضع لحظات ثم انصرفت.

- لماذا استدعيتها؟ ما الذي جرى بينكما؟

- أرجوك اهدأ يا بني، لم يحدث شيء إلا أنني حاولت أن أشرح لها أن أمر وجودكما معا بغرفة واحدة لا يصح.

حدجها بنظرة ثاقبة و قال:

- لا دخل لك فيما يحدث بيننا!

غادر كينان الغرفة مسرعاً، فابتسمت تولين و قالت:

- أرجو ألا تعود هذه المرة يا خالتي، لكن ما يقلقني هو عشقه لها، و قد سمعته يقول هذا بعظمة لسانه.

اضطربت الأجواء في المنزل، و جنّ حنون ديلارا، و كادت تفقد عقلها، أما كينان فراح يبحث بكل غرف المنزل، إلى أن أعلمه أحد الخدم بأنها قد خرجت بمفردها حاملة حقيبة.

انتشرت بعدها الفوضى بالمنزل، فقال كينان لأمه:

- ماذا قلت لها؟

- لقد أخبرتك بكل ما دار بيننا يا بني.

حملق إليها بغضب، و هو يعلم أنها تخفي أمراً ما، فقال متوعداً:

- أنا لا أصدق أي كلمة مما تقولين، أقسم أنه إن حدث لها أي مكروه فإنني..
- ألا تصدق أمك يا بني؟
- بالطبع لا أصدقك! و هل أصدقك بعد كل ما فعلتِ؟
و أنا أعلم بأنك تبذلين قصارى جهدك لتشتيت شملنا، لكن هيهات أن تبلغني مُناكِ.

تذكر كينان سفر إنجي في المرة السابقة، فاتصل ببعض معارفه بمطار إزمير، و طلب إعلامه إن هي أنتِ إلى هناك.

حينها كانت دموع إنجي تنهمر على خديها، و هي تقود سيارتها بسرعة وسط الظلام الدامس، لا تدري إلى أين كانت وجهتها، كل ما كان يههما هو الإبتعاد قدر المستطاع عن ذلك العالم القذر الذي استشرى فيه النفاق و الخداع، لقد ألمها أنه قد حل بينها و بينه النفاق و الكذب محل الحب و الألفة.

أما ديلارا فقد بكت بكاءً مرا حتى تورمت عيناها، و ذهب خيالها إلى أخطر الإحتمالات، لكنها كانت و في كل مرة تحاول طردها لكن دون جدوى، و راحت تصيح و تنتحب بكل مكان:

- كينان! أريد ابنتي، أحضر لي ابنتي، أنا واثقة من أن أمك خلف كل ما يحدث!

سمعت هيفين كلماتها، فردت متلعثمة محاولة إبعاد الشبهة عن نفسها:

- لا دخل لي بكل ما جرى يا ديلارا، فتاتك مدللة جدا، لربما قد أغضبها كلامي حول عدم صحة بقائها مع كينان بغرفته.

نظر إليها كينان باحتقار ساحق و قال:

- أظن أن هناك كلاما آخر تخفينه عني غير الذي أخبرتني به، هي زوجتي، و لن يؤثر بها كلامك حول بقائنا معا.

تصنّعت هيفين عدم علمها بأمر الزواج، فأظهرت الدهشة قائلة:

-زوجتك!

- أجل! هي زوجتي و ستعلمين مصيرك إن ثبت تورطك بالأمر أنت و ابنة أختك.

ظلت إنجي تقود سيارتها طوال الطريق المظلم، و قد شغل بالها بتلك الكلمات القاسمة للظهر، مجروحة هي!

لقد طعنها طعنة نجلاء في خاصرتها، ها قد ظهر أخيرا
على حقيقته.

بالنسبة لها، فهو ليس أفضل من ذلك الشاب الذي
رفض تزويج توبا منه، كل الرجال متشابهون بالنسبة لها
الآن.

بل هو أسوأ من ذلك الشاب، لأنه وصيها، و كان
يفترض به حمايتها بالدرجة الأولى، و ليس القيام بهذا
الأمر الشنيع.

راحت تندب حظها التعيس، و تتمتم بصوت متهدج:

- إن الفاشل مأخوذ دائما بفشله، إنّ ذلك كان منتظرا!

لقد مقتت كينان و كرهته، ونسيت كل أياديه البيضاء
عليها. إن الأحزان عندما تنطلق في قلب المرأة، و تؤلّب
عليها المحن، فإنها لا ترى إلا السيئات و النقائص، أما
الفضائل فتصبح كالفدى في عينيها.

لقد أمست المسكينة كريشة تتلاعب بها نسائم الرياح
ذات اليمين و ذات الشمال، فلا تعلم ما تفعل، و لا أين
تذهب.

بروكلين

غابت في تلك الليلة كل معاني الحياة عن إنجي، لقد
أمسى الكون كله ظلام دامس قاتم، أمست الدنيا كلها
بالنسبة لها دون ألوان و أصوات، و لم يعد هناك سوى
صدى كلماته القاتلة بأذنيها، و لم تعد ترى سوى ملامح
وجهه المقيت، لم تعد تتذكر إلا تلك الصورة الكاذبة و
نظرات عينيه المخادعة.

بينما هي تقود، عزمت الفتاة أمرها فجأة و اختارت
وجهة جديدة لسيارتها.

في تلك اللحظات، كان كينان غاضبا واغر الصدر
على أمه و ابنة أختها، فضرب الطاولة بيمينه فجأة و قال:

- أنا أعلم جيدا أن لأمي يدٌ في كل هذا.
- أنا.. أنا لم أصنع شيئا يا بني، أرجوك لا تظلمني.
- أنتِ و ابنة أختك المقيتة، أو تظنّان بأنني لا أعلم
بأنكما سبب كل ما حدث تلك الليلة؟ و أنتِ تولين لا أريدك

بمنزلي منذ الغد، اجمعي كل أغراضك فلم يعد لك مكان
بيننا.

ارتعشت تولين، و ارتعدت فرائصها فقالت
متضرعة:

- و ما ذنبي أنا يا كينان؟

- بعد كل ما تسببت فيه تلك اللية تسأليني ما ذنبك؟

انصرفي غدا صباحت، اخرجي من حياتي !

هرولت تولين لغرفتها باكية، فالتفت كينان إلى أمه و
نظر إليها نظرة ملتهبة، لو قام رسام برسمها لاحترق
القرطاس الذي رسمت عليه ثم قال بحدة:

- حتى أنت يا هيفين خانم! لو لا الرابطة التي بيننا و

لو لا إخوتي لأخرجتك من منزلي الساعة، و لا أمهلك
دقيقة واحدة.

- أنت تظلمني يا بني.

- أعرفك جيدا أمي، و حيلك المقبلة لم تعد تنطلي

عليّ، فلا تتعبي نفسك بالتصنّع.

قاطعتهما ديلارا قائلة:

- وما الفائدة من كل هذا الحديث الآن؟ أريد ابنتي يا

كينان!

التفتت إليها هيفين و صرخت بوجهها:

- أنت السبب يا ديلارا، لبتك أحسنت تربيتها و
أرحيتنا من مشاكلها.
- ابنتي أشرف من أن تذكرها امرأة مثلك بسوء، و
لتعلمي جيدا بأن أي دليل صغير يثبت تورطك بالأمر
يقودك إلى ما لا يحمد عقباه.

ضحكت هيفين باستهتار قائلة:

- أعلى ما في خيلك اركبيه يا ديلارا.
- ليكن في علمك عزيزتي هيفين بأن كل تفاصيل
مكيدتك تلك الليلة مسجلة بشريط مصور يحوي اعترافات
الخدمة مع ذاك الشاب الحقير.

ذعرت هيفين من كلام ديلارا، و علا وجهها
الشحوب و الإصفرار و اكتفت بالصمت.

أما إنجي و بعد مدة من قيادة سيارتها في تلك
الطريق المظلمة أخذت هاتفها و طلبت إحدى صديقاتها
لكنها لم تجب، فتركت لها رسالة صوتية:

- مرحبا روسيل، أنا إنجي أجيبني من فضلك فالأمر
جد مستعجل.

ثم واصلت إنجي طريقها و ظلت تنتظر لهاتفها من وقت لآخر بتوتر في انتظار اتصال صديقتها، و بعد خمس و أربعين دقيقة، و بعد أن فقدت إنجي الأمل من صديقتها رنَّ هاتفها فجأة فردّت:

- روسيل، أرجوك أنا بورطة.
- إنجي اهدئي و أخبريني ما الأمر.
- ليس لي أي مكان أذهب إليه يا روسيل، سأتي لبييتكم.

- أين أنتِ الآن يا إنجي؟
- أنا قريبة من مطار اسطنبول.
- هذا ممتاز! فأخي هناك في عمل، و هو عائد بطائرته الخاصة بعد حوالي ساعة، سأُتصل به فوراً.
- بسرعة روسيل، من فضلك.

مكثت إنجي بكافتيريا المطار القريبة من محطة المسافرين الخاصة بالرحلات الدولية، كما اتفقت مع روسيل، لكن التوتر كان يملؤها، و قد خشيت اكتشاف كينان لأمرها من خلال علاقاته. ظلت إنجي تراقب ساعتها من وقت لآخر، حتى سمعت نداءً لم تُنكر صاحبه:

- إنجي!

التفتت إلى مصدر الصوت بسرعة البرق، فرأت شابا طويل القامة، تظهر عضلات صدره و عرض منكبيه من خلال قميصه الأبيض ذي الخطوط السوداء الذي ينم عن ذوق رصين، ثم ابتسمت بوجهه ابتسامة فاترة منهكة و همست بصوت واهن:

- شاتاي!

- هل أنت بخير؟

هزّت رأسها بالنفي و قالت:

- لا أظن ذلك، أنا أقود سيارتي منذ ستّ ساعات.

سكت شاتاي من الدهشة فاستطردت قائلة:

- أرجوك شاتاي خذني من هنا فقط، و ليكن بعلمك أنني هاربة من أسرتي و من الجميع.

ابتسم الشاب بقلب نقي، و طباع هادئة ثم قال بروح مرحة:

- هاربة!

- أجل هاربة، و بالتحديد من صديقك القديم.

ضحك شاتاي و قال:

- وصيك؟

-تماما، هو بالذات.

- لا عليك يا إنجي، الوقت ليس في صالحنا الآن،
ولديك إجراءات إدارية يجب إتقانها قبل انطلاقنا، و
الرحلة طويلة أماننا، أمّا كينان فسأكلّمه لاحقا.
- لا! أنا لا أريده أن يعلم بمكاني.

خلال الرحلة، كانت إنجي ترقد على كرسيها
كالملاك بعد أن رفضت تناول الطعام، أما شاتاي فقد ظل
طوال الرحلة منهمكا بمراجعة بعض الوثائق الخاصة
بمشروع قد شارف على الإنتهاء من تنفيذه على أرض
الواقع. و هو يتعلق بإنشاء سلسلة مستشفيات خاصة في
تركيا، تتوفّر على أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا الطب.

شاتاي و كينان صديقان مقربان منذ أيام الثانوية، و
قد افترقا بالجامعة بعد أن اتجه شاتاي للطب، و اختار
كينان الهندسة، لكن ذلك لم يمنع الإثنين من حفظ صداقتهما
و تواصلهما الدائم.

استيقظت الحسنة بعد أن أحسّت بحركة من حولها،
فابتسم شاتاي قائلا:

- حمدا لله على سلامتكم!

- هل وصلنا؟ يبدو أنني قد نمت وقتا طويلا.

- أجل وصلنا يا إنجي، لم تنامي إلا سبع ساعات فقط.

كان في استقبالهما بالمطار روسيل مع السائق، نظرت إليها إنجي فارتاحت لحسنها وبراءة وجهها، ثم هرولت نحوها وعانقتها بحرارة وهي تهتف:

- روسيل، صديقتي!
- حبيبتي، هل أنت بخير؟
- لا عليك يا روسيل، سأكون بخير.

التفتت إنجي إلى شاتاي و قالت:

- لقد وعدتني بعدم الإتصال بكينان يا شاتاي.
- إنجي، لقد وعدتك بعدم الإتصال و نحن بتركيا، أمّا الآن وقد غادرنا تركيا فليس من اللائق تركه قلقا عليك.
- قلقا علي! اطمئن فهو غير مهتم بما يحدث لي حتى ولو ميت.

ركب الجميع بالسيارة، وانطلقوا نحو المنزل بين عمارات نيويورك الشاهقة، و شوارعها الواسعة، التي تزيّنها واجهات المحلات التجارية المليئة بكل السلع الفاخرة من ألبسة و إكسسوارات.

أرسلت إنجي نظرها عبر نافذة السيارة، فرأت أطرافاً من الشارع الرئيسي على اليسار، و فندقاً فخماً على اليمين، و على الجانبين محلات عصرية و بعض الأكشاك، و صفوفاً من السيارات التي تتقدم ببطء شديد بسبب الزحمة الخانقة.

و بعد فترة من التأمل و الإستمتاع بسحر المدينة، بلغ السائق المنزل الفخم لعائلة شاتاي و قد كان يتناسب مع ثراء العائلة.

شاتاي طبيب جراح كوالده الذي يعتبر اسمه بنيويورك أشهر من نار على علم، و منزل العائلة يقع بحي بروكلين، أرقى أحياء المدينة و أكثرها حيوية و ازدهاراً.

مباشرة بعد دخول المنزل الفخم، الذي تتجلى في كل أركانه الفخامة و الثراء في أبهى المعاني و أرقى التّجليات، اصطحبت روسيل صديقتها إلى الدور الأول، و دلّتها على غرفتها التي أُعدّت من أجلها سلفاً بأمر من روسيل، ثم تركتها ترتاح من وعثاء السفر.

لقد تعرّفت إنجي على روسيل أيام دراستها بأمريكا، و قد كان كينان يصطحبها معه لمنزل شاتاي أيام زيارته لها مع عمّته ديلارا.

اقتربت روسيل من أخيها و قالت:

- أنت لم تتصل بكينان، أليس كذلك؟
- روسيل، هل جُننتِ أم ماذا؟ أكيد أنني سأُتصل به
سواء شأئت إنجي أم أبت، يجب أن يعلم بمكانها، و مؤكّد
أن ديلارا خانم قلقة عليها.
- لكن شاتاي، ربما ما تقوله إنجي صحيح فيما
يخص عائلتها بأنهم لا يريدونها..
- فلتعلمي إذا يا عزيزتي بأن كينان يحب إنجي.
- يحبها!
- أجل، و هو غيور جدا إلى درجة أنني علّقت مرّة
على أمر يخصها، فما انتبعت لكينان إلا و قد ثارت ثأرتة
بسبب تعليقي.
- و هل هي على علم بحبه لها؟
- هذا ما لا أعلمه، المهم ألاّ تُعلميها أنتِ بهذا فهو
سرّ كينان، و قد أخبرتك به فقط من أجل أن تكوني على
علم بالأمر، و تُقدّري الأمور انطلاقا من هذا.
- لكن يا شاتاي، أنت تعلم أن كينان سيأتي إلى هنا
فور علمه بالخبر.
- مهما يكن، يجب أن يعلم كينان بمكانها، و لن
أسمح له بإيذائها، رغم أنني أعلم جيدا أنه لن يفعل ذلك.
حوالي الساعة السادسة مساءً من ذاك اليوم، اتصل
شاتاي بصديقه:
- مرحبا كينان.

- شاتاي، هل هي بمنزلك؟
- هل تعلم الغيب أم ماذا؟ كيف عرفت ذلك؟
- لقد وجدنا سيارتها مركونة بمطار إسطنبول، و قد
كنت أنتظر تأكيد الوجهة التي أخذتها من طرف أحد
معارفي.

- لا تقلق يا كينان فهي بخير.
- أنا قادم يا شاتاي.
- هي تحتاج البقاء معنا حتى تنفس عن همها يا
كينان، فقط أخبرني بما حدث.
- لا أدري يا شاتاي، لقد تركت المنزل فجأة بعد أن
تزوجنا بنفس اليوم.

- تقصد أنكما تزوّجتما البارحة؟
- أجل، و قد كان كل شيء على ما يرام قبل تركها
المنزل.

- هي تبكي يا كينان، و قد قالت بأنك خدعتها و
هدمت صروح أحلامها، لكنني سأحاول أن أفهم الأمر من
أختي.

- أرجوك يا شاتاي، أعلمني بكل ما يستجدّ معك، لقد
تعبتني إنجي بهروبها الدائم مني.

ضحك شاتاي و قال:

- أفهم من هذا أنها ليست المرة الأولى لهروبها.
- أتضحك يا حثالة الأطباء؟!

- حسنا سنبقى على اتصال يا كينان.

جلست إنجي مع روسيل على مائدة العشاء، لكنها امتنعت عن تناول الطعام فقالت روسيل:

- أنتِ لم تأكلي شيئاً منذ وصولك يا إنجي.

انهمرت دموع إنجي و قالت بصوت متهدّج:

- لا أريد يا روسيل، أريد أن أموت و أنتهي من هذه الحياة المقيتة، تعبتي! لقد تعبتي و لم أعد أحتمل هذا، لقد سمعته يقول بأنه لا يحبني، و قد قال لها بأنه قد تزوجني فقط من أجل أسهم والدي بالمجموعة!

- من تقصدين؟

- كينان!

- تزوّجت من كينان؟

- أجل، و قد تزوجني من أجل حصة بابا بالشركة بعد أن أوهمني بالحب و التفاهات.

- مستحيل أن يتزوجك كينان من أجل الأسهم، لا بدّ أن هناك سوء تفاهم يا إنجي.

وقعت كلمات روسيل بأذن شاتاي و قد كان قادما من الخارج، فاندھش و تسمّر بمكانه.

زهرتي

مع غياب الشمس و تألق النجوم في سماء بروكلين،
طلب شاتاي صديقه على الهاتف:

- أهلا شاتاي، لماذا تأخرت؟
- تأخرت! هل أفقدك الحب عقلك أم ماذا؟ لقد كنت
أحدثك هذا المساء فقط.
- كان هذا منذ ساعات يا أستاذ.
- أنا دكتور!

صرخ كينان بانزعاج:

- اللعنة عليك و على طبّك يا شاتاي!

قهقه شاتاي ضاحكا ثم قال:

- الحب لا دين له!

لم تُجانب مقولة شاتاي الصواب، فكما قال مولانا
جلال الدين الرومي سيد العاشقين، فإن المرء قد يجد الحب
في كل الأديان، لكن الحب نفسه لا دين له.

إن الحب هو الذي يحوّل المرّ حلوًا، و التراب تيرًا،
و الكدر صفاءً، و الألم شفاءً، و السجن روضةً، و هو
الذي يلين الحديد، و يذيب الحجر، و يبعث الميت و ينفخ
فيه الحياة.

تضجّر كينان من تهكم صديقه فصاح به:

- شاتاي!

فرد شاتاي بابتسامة:

- حسنا كينان، سأذهب لغرفتي ثم أعود الإتصال بك
حتى نتكلم بأريحية.

كان كينان ينتظر اتصال شاتاي على أحر من
الجمر، فهو يريد معرفة سبب هروب إنجي من المنزل من
دون سابق إنذار، لكن شاتاي لم يخبره بشيء مفيد لحد
الآن، و أجل الإتصال حتى يذهب لغرفته مما زاد غضب
كينان الذي قال محتدما:

- لماذا اتصلت بي الآن إذا يا حثالة الأطباء؟

- كينان بيك، أنت الآن في أمس الحاجة لي، فإما أن
تحدثني باحترام، وإلا فلتبحث لنفسك عن شخص آخر
ليساعدك.. هيا قل أنا آسف كطفل مهذّب، اعتذر للجد
شاتاي و إلا فلن تحصل على شيء مني.

- اللعنة!

- كينان، هيا بسرعة!

- حسنا، أنا آسف يا أفضل دكتور بالعالم.

- جيد صغيري، سأعود الاتصال بك بعد خمسة

دقائق.

بتصرفاته هذه، كان شاتاي يحاول أن يهون على صديقه بعض ما هو فيه من الغم، فالصداقة ليست البقاء مع الصديق طوال الوقت، و إنما هي البقاء على العهد مهما تباعدت المسافات و طال الأمد.. بكل بساطة فإن الصداقة تحفة، تزداد قيمتها كلما قضى عليها الزمن.

عندما كان كينان يتحدث على الهاتف، كانت عمته بجانبه، و ما إن أقفل الخط حتى قالت متسائلة بإشفاق:

- هل أنت متأكد من أنها بصحبة روسيل و شاتاي؟
أنا جد قلقة على ابنتي.

- لا تقلقي عمتي، إنها بين أيدي أمينة، و الحثالة شاتاي سيخبرني بسبب تركها المنزل، أما أنا فقد طلبت من أحد رجالي أن يحجز لي تذكرة إلى نيويورك، و قد قال لي بأن طائرتي ستغادر بعد ساعة و نصف من الآن.

- سأذهب معك يا كينان.

- عذرا عمتي، لكنني أريد أن أقابلها لوحدي.

و بينما هما بين شد و جذب حول ذهاب عمته معه
من عدمه، رن هاتفه ثانية و قد كان شاتاي المتصل، فرد
بسرعة خاطفة بعد أن نفذ صبره من الانتظار ثم قال:

- مرحبا دكتور.

ابتسم شاتاي بمكر و قال:

- مرحبا، كيف حالك؟

- أنا بخير شكرا.

- و الخالة ديلا را كيف حالها؟

- هي بخير أيضا.

- و خليل و يالذ و توبا و...

ضاق كينان درعا باستهزاء شاتاي فصاح مزمجرا:

- شاتاي! لقد أحرقت أعصابي، تحدث مباشرة و

أخبرني بما قالته إنجي.

- يا حبيبي العاشق الولهان، لقد سمعُك حبيبتيك تقول

بأنك لا تحبها، و قد تزوجتها فقط من أجل حصتها التي

ورثتها عن والدها في المجموعة.

سكت كينان قليلا ثم قال بصوت متلعثم:

- لكن.. أنا لم أقل هذا أبدا.. إلا إذا كنت في غير

وعيي، إن هذا مستحيل.

التزم الصمت مرة أخرى، وراح يسترجع أحداث تلك الليلة، ثم صاح فجأة و دفع الطاولة من أمامه بعنف:

- اللعنة! لكنني لم أكن أقصدها بكلامي، لقد كنت أتحدث بشأن جيندا.. تولين الحقيبة سألتني عن سبب زواجي منها، و يبدو أن إنجي سمعت كلامي و ظنت بأنني أقصدها. على كل حال فإن رحلتي ستنتقل بعد ساعة و نصف قريباً.

- لا تأت يا كينان، فإنجي لم تهدأ بعد.

- احتفظ بنصائحك لنفسك دكتور.

- أرجوك لا تتسرع يا كينان، سأحضرها معي فأنا قادم بعد أسبوعين.

- أنا قادم اليوم، إلى اللقاء.

في منزل شاتاي، قالت روسيل لصديقتها:

- هذا مستحيل عزيزتي، شاتاي متأكد بأن كينان يحبك.

- لكنني سمعت كلامه بأذني هاتين!

- حسناً دعينا من الشقاء و النحيب الآن و لنشاهد

فلمنا المفضل قبل أن نخلد للنوم.

تعانقت الإثنتان و هما تشاهدان فلمهما المفضل،
ثلاثة أمتار فوق السماء، المقتبس من رواية الإيطالي
فيدريكو موتشا، و الذي طالما كانتا تشاهدانه أيام الجامعة.

لأول مرة تحس إنجي أن قصة الفلم تتطابق و
قصتها مع كينان، فالفلم يحكي قصة حب شبه مستحيل بين
البطل و البطلة، لكن و رغم أن الجميع كانوا ضد البطلين
إلا أنهما وقعا في حب بعضهما، لتبدأ بينهما قصة حب
ليست ككل القصص.

لطالما بكت إنجي أمام الشاشة بسبب النهاية
المأساوية لعلاقة الحب التي كانت بين البطلين، حيث أن
العلاقة لم تتوج بارتباط مقدس يجمعهما حتي الموت. فهل
ستكون نهاية قصة حبا مع كينان كنهاية قصة الحب التي
كانت بين هاش و بابي؟

نامت الفتاتان متعانقتان في غرفة روسيل، لكن
روسيل استيقظت باكرا، و انسحبت من الغرفة بكل هدوء
حتى لا تزعج إنجي التي كانت تبدو عليها أمارات الإرهاق
و التعب من الرحلة، و كثرة البكاء من شدة الصدمة.

أما شاتاي فقد خرج في الوقت المناسب لاستقبال
صديقه بالمطار، و ما إن لمح كينان حتى قال مباشرة:

- شاتاي، أين هي زوجتي؟

- هي بجيبي، هيا كن مهذبا و سلم على صديقك.

- أنا لست بمزاج يسمح بالتحية يا شاتاي.

ظل كينان صامتا طوال الطريق نحو منزل شاتاي،

ثم قال فجأة بصوت خافت:

- لقد أرهقتني المشاكل يا شاتاي، لقد تعبت..

- هل تحبها يا كينان؟

- كل منا يحب الآخر، لكنها متسرعة و لا تتعامل

مع الأمور بحكمة.

- لا عليك، هي صغيرة لكنها واعية.

- إن كانت واعية، فلمَ تركت منزلها؟

دخل الشابان إلى المنزل في الصباح الباكر، إلا أن

إنجي كانت لا تزال نائمة بغرفة روسيل.

أخذ كينان حماما، ثم تناول الفطور بعد إصرار شديد

من شاتاي، ثم اتجه مباشرة لغرفة روسيل.. طرق الباب

لعدة مرات لكنها لم تجب، الظاهر أنها تغط في نوم عميق.

فتح الباب بلطف، ثم اقترب من أميرته و قبلها بحذر

على خدها، فشعرت بأنفاسه تلمح بشرتها، ففتحت أجنانها

ثم انتفضت فجأة:

- أنت! ماذا تفعل هنا؟ أنا لا أريدك، أخرج، من هنا!

- إنجي، اهدئي حبيبتي.
- لست حبيبتك! أنا أكرهك و لم أعد أحتمل وجودك.

- أرجوك حياتي، فقط دعيني أشرح لك الأمر.
- لا! لا أريد! أنا أعلم بكل شيء، و قد اكتفيت من كل هذا.

- أنت لا تعلمين شيئاً حبيبتي.
- حسناً، خذ الأسهم كلها، فقط دعني و شأني.
- لا حاجة لي بأسهمك حبيبتي.
- و ماذا تريد مني غير هذا؟
- أريد زوجتي و حبيبتي.
- أنا لست زوجتك! و لن أكون كذلك يوماً.

فقال مستعظفاً حنانها:

- أتذكرين يوم ظلّمتك بعد أن شاهدت كل ما حدث بعيني فلم أجد تفسيراً لذلك؟ لقد تكرر الأمر و قد سمعت الحديث الخاطئ.

- و هل تم تخديرك أنت أيضاً؟
- ليس هذا حبيبتي، لكنك لم تكوني المقصودة بكلامي.

-كفاك مراوغة، لقد انكشفت و بنت على حقيقتك
أخيرا.

-حبييتي، لقد سألتني تولين عن سبب زواجي من
جيندا فأجبتها، لكن ما يؤرقني هو سماعك فقط لهذا المقطع
من الكلام، أرجوك حبييتي أخبريني كيف سمعت كلامي،
و قد تركتك جالسة مع الجميع.

- حسنا سأخبرك و سنرى من الخن المخادع. اعلم
أنه و بعد أن استدعتك تولين لتكلمك بمكتبك عن أمر مهم
كما قالت، فإن والدتك قامت هي الأخرى بدعوتي متحججة
بأنها تحتاجني في أمر شخصي مهم، فترددت في البداية
لكنني ذهبت معها في نهاية المطاف و بقينا في الرواق
قريبا من مكتبك.

-أكملي أرجوك.

-ثم رن هاتف والدتك فجأة لكنها قطعت الاتصال
دون رد، و ابتسمت ابتسامة غامضة و قالت لي " تعالي
لتسمعي سبب زواج ابني منك، هل تعتقدين أنه يحبك أيتها
الحمقاء؟" اقتربنا من مكتبك و قد كان الباب مواربا،
فسمعتك تقول الذي قلته، فجن جنوني و تركت كل شيء و
انصرفت.

انتفض كينان مزجرا و قال:

- اللعنة! لقد وقعنا ثانية، لقد حدثني قلبي بأن دعوة
تولين لي فيها شر، لكنني لم أكثرث، و قد كان هاتفها بين

يديها عندما كانت تحدثني، لكنني لم أدرِ سبب حملها إياه،
و قد طلبتُ منها إغلاق باب المكتب لكنها تعلت بأنها لا
تريد أن تشكّي بنا، و بأنها لا تريد لي المشاكل معك..
الحقيرة! يا لها من داهية ماكرة! هي التي اتصلت بأمي
عندما حان وقت الكلام عن سبب زواجي.. هل فهمت الآن
حبيبتي بأننا قد وقعنا ثانية.

فَعَرْتُ إنجي فيها، و قد صعقت مما سمعت و
أدركت أنها خُدعت، فاشتعلت جذوة الحب من جديد في
قلبي، و انبعث النور في محياها، بعد أن أرهاقها البكاء و
النحيب.

ظل كينان يتأملها و قد تنفس الصعداء، فانتبهت
لعينيه اللتين كانتا ترقبان مفاتنها، فحاولت سحب ثوب
نومها للأعلى قليلا حتى تُوارى مفاتنها. أدرك كينان ذلك
فقال باسمًا:

- أو لستِ زوجتي؟

فهمست له بحياء:

- ليس بعد!

- و هل هناك مانع من أن تصبحين كذلك الآن؟

فردت بكلمات متلعثمة منقطعة:

- لكن.. أنت.. أقصد...

ابتسم بمكر و الرغبة ترقص في عينيه المشرقتين و
قال:

- أجل يا روعي، هذا ما أريده، أريد أن نُتمّ زواجنا
نكايّة فيهم.
- تكمل ماذا؟ ابتعد عني كينان..

اقترب منها حتى لفحت أنفاسه بشرتها الرقيقة، و
استنشقت عطره الأخاذ و قال:

- لم أعد أطيق بعدك حياتي.
- وصية بابا!
- أنت زوجتي، أليس كذلك؟
- دع هذا حتى نعود لمنزلنا حبيبي.
- حبيبتي، ألا تريدين هذا؟
- لا أريده الآن، أرجوك..

ابتسم و قد لمعت عيناه بالحب و الشوق ثم قال:
- لكِ ما تريدين زهرتي.

الجريدة

في صبيحة اليوم التالي، و بعد عودة الحبيين إلى
عشهما، كان الجميع يتناول الإفطار في منزل كينان، فقالت
ديلارا خانم و هي تحاول مسح دموعها في صمت:

- ألا تكثرئين لأمرى يا إنجى؟ فكلما وقع لك أمر ما
فررت هاربة إلى حيث لا أدري و كأننى لست بأمك.. أو
لست مسؤولة عنك؟

التفتت إليها إنجى، و ردت بلطف محاولة
استرضاءها:

- آسفة ماما! لم أقصد ترويعك و إقلاقك، لكنك
تعلمين بأننى أفقد السيطرة على نفسى في كل مرة.
- طبعاً! طبعاً، و من يُفقدك السيطرة على نفسك غير
حبيبك.

تضرّج وجه إنجى خجلاً و قالت:

- ماما!

ابتسم كينان و قد كان ينصت إلى حديثهما، فالتفتت إليه إنجي متسائلة:

- أين ابنة خالتك العزيزة؟ لم أرها اليوم.

- أتقصدين تولين؟

- و هل لديك غيرها؟

- أجل، يارا أم أنك نسيتِ أمرها؟

- كينان!

ضحك بلطف و قال:

- اطمئني حبيبتي، فلا أظن أنها ستزعجنا بعد اليوم،

لقد قمت بطردها من المنزل نهائيا.

طرد كينان ابنة خالته من المنزل و منع عنها زيارة خالتها، ظانًا بذلك بأن المرأة لا تستطيع أذيته إلا إذا كانت قريبة منه، لقد قال كلماته تلك لإنجي بكل ثقة و كأنه مطّلع على مكنونات النساء، لكن هيهات! هيهات! ويل له من كيد النساء، إن كيدهن عظيم!

في الكنية الفاخرة المقابلة لكينان، كان جانسل يطالع بعض الجرائد كعادته بارتياح و هو يستمتع بقهوته ، فانقبض وجهه فجأة و سقط الفنجان من يده و صرخ:

- اللعنة! أكيد أنها مجنونة!

التفت إليه كينان مندهشا من انتفاضته، و قال
مستطلعا و هو يحاول أخذ الجريدة منه إلا أن جانسل
أبعدها عنه:

- ماذا هناك يا جانسل؟ هل من خطب؟
- لا! لا شيء مهم.

و فجأة اختطف كينان من جانسل جريدة ميلليت
الذائعة الصيت، و ألقى نظرة خاطفة على الصفحة الأولى،
فالتهب وجدانه، و لم يصبر على تلك الحال، فتطاير الشر
من عينيه و نفرت عروق رقبته، ثم انفجر غاضبا
كالبركان و قد احمر وجهه غيظا:

- الحقيرة! أقسم بأنني لن أرحمها!

هتفت إنجي بعد أن شعرت أن شيئا ما قد حدث، كما
أحست أنه يُمت إليها بصلة فقالت:

- ماذا هناك كينان؟

فقال مداريا الخبر حتى لا يثير قلقها:

- لا شيء مهم حبيبتي، تغير طارئ نتج عنه نزول
حاد في سوق الأسهم فلا تقلقي.
- سوق الأسهم! و منذ متى كان جانسل مهتما بسوق
الأسهم التركبية لهذه الدرجة؟ دعني أرى الجريدة.

طوى كينان الجريدة، و حاول إبعادها عن إنجي لكنها أصرت على الحصول عليها بعد أن أيقنت أن حدسها لم يكن مخطئاً بشأن ما يحدث فقالت:

- إما أن تريني الجريدة، و إما أن أحصل لنفسي على نسخة أخرى من الخارج.

أخذ كينان نفساً طويلاً، ثم أمسك بيد إنجي و صعدا لغرفتهما، فجلس الإثنان على طرف السرير ثم قال:

- حبيبتي، أنتِ تعلمين أن تولين حاقدة علينا و أنها لن تتركنا و شأننا.

- تولين! و ماذا صنعت تلك الحقيرة هذه المرة؟

- أمر تافه، لكنها ستدفع الثمن غالباً هي و كل من يقف إلى جنبها.

- أرجوك أفصح حبيبي، أنا لا أفهم شيئاً لكن الأمر يقلقني.

استجمع كينان أنفاسه ثم قال،

- لقد نشرت خبراً كاذباً بأننا تزوجنا سرا من أجل مداراة فضيحة حملك من خطيبك السابق.

استحالت ابتسامة إنجي إلى زفرة، و ضربت صدرها ذاهلة، و صرخت صرخة الثكلى التي ترمّلت و

فقدت ابنها الوحيد في نفس اليوم، و أجهشت بالبكاء،
فاحتضنها حبيبها محاولا تهدئتها و التخفيف عنها قائلاً:

- اهدئي حبيبتي، الأمر تافه و أقسم بحياتكِ بأنني
سأحول حياتها إلى جحيم مستعر هي و كل من معها، و
سأجلب لكِ حقك و أرد لكِ اعتبارك أمام تركيا بأكملها و
ليس أمام العائلة فقط!

انهمرت دموعها مدرارا و هي تقول:

- أكرهني تلك السافلة فقط لأنك احببتني؟ و ما ذنبي
أنا؟ كيف لي الآن أن أقابل الجميع بعد هذه الفضيحة؟

فرد كينان بلهجة جادة تنم عن الحزم و العزم:

- ستقابلين الجميع بوجه طلق مرفوعة الرأس..
اتركي الأمر لي، سندفع ثمن كل دمعة ذرفتِها بسببها.

فهمست بضعف قائلة:

- لقد أصبح حبنا لعنة يا كينان!

- لا تقولي هذا يا روعي، فقط ثقي بي!

في غرفتها، كانت هيفين خانم تحدث تولين على
الهاتف و هي تضحك:

- لقد جُننتِ يا تولين! أنا متأكدة من هذا.

- لا يا خالتي، أنا في كامل قواي العقلية و أخيرا
حصلت على انتقامي منهما.

- أنت حمقاء، هكذا لن ينظر إليك كينان للأبد.

- كينان لن ينظر لا إليّ و لا إلى غيري، لقد بكى من
أجلها و لن يكون لغيرها أبدا، أما أنا فقد ارتحت الآن، و
هو لن يستطيع إيذائي لأنني ابنة خالته.

هذا رأي تولين برودة فعل كينان اتجاهها، لكن
بالنسبة له فقد بلغ السيل الزبي، و هو لم يعد يحتمل غيابها
و أذيتها.. و هل هناك من يوقف جنون العاشق إن تمت
أذية حبيبته و رأى دموعها؟

لقد جئت على نفسها براقش!

قالت هيفين متسائلة:

- أين أنت الآن؟

- في بيت أمي و زوجها.

- حسنا، ابق هناك حتى تهدأ الأمور قليلا.

- حسنا، إلى اللقاء خالتي.

- إلى اللقاء.

بعد أن أفلت الخط، سمعت هيفين كينان يتحدث
على الهاتف قرب غرفتها و هو ينصرف مسرعا نحو
الخارج، فقال له خليل:

- كينان، هل أنت جاد بهذا؟
- أجل يا خليل، لن أترك أحدا منهم يسلم من نيران انتقامي.

- لكن.. و ما ذنب لآخرين في هذا؟ خالتي، ابنتها يارا وزوجها..
- لا يهمني، و لا تعد لمناقشتي حول الأمر!

قاطعهما جانسل و قال لخليل:

-دعه يفعل ما يشاء، فما صنعتَه تلك الحقيرة ليس بالأمر الهين، حتى و إن كانت ابنة خالتك فإنها ليست طفلة و لا مريضة نفسيا، هي في كامل قواها العقلية، و ستدفع ثمن تشهيرها بالعائلة.

سمعت هيفين كل الحديث الذي دار بينهم، فهجست نفسها و حدتتها بالشر، و أدركت أن كينان سيقطب الدنيا رأسا على عقب، و أحست أن الإنتقام سيطالها هي أيضا بسبب جرائمها السابقة، فما كان منها إلا الإنتظار و الترقب شاخصة البصر.

أما كينان و بعد أن أجرى بعض الترتيبات، و قام ببعض الإتصالات، اتجه إلى مكتبه عازما على إحراق الجميع بنار انتقامه. و أصبحت فلسفته الجديدة، الإنتقام هو الحل، و المسامحة للأغبياء فقط!

و بعد أقل من ساعة، كانت تولين جالسة بهدوء في بيت أمها منتشية بنصرها الزائف، حتى دخل زوج والدتها هائجا كالثور، و أسرع نحوها و معه أختها يارا و زوجها، فصرخ بوجهها قائلاً:

- تولين! لا مناص من أنك قد فقدتِ عقلك!

رفعت إليه طرفها، فلم ترَ منه سوى حاجبيه الغليظين المقطبين، و شاربه الأسود الكثيف الذي يغطي معظم شفثيه و قد تخلّلته بعض الشعرات البيضاء، فراعها المنظر و قد كان السيد محتدماً فقالت:

- ماذا هناك بشير بيك؟

- لقد خسرنا كل شيء بفضلك يا تولين خانم!

- و ما دخلي بخسارتكم؟ فأنا لا علاقة لي بأعمالكم.

نظر إليها شزراً، فأحست أن عيناه السوداوان تكادان تخترقانها و تنفذان إلى أعماقها ثم قال:

- لقد انتهكت حرمة زوجة كينان بيك، فطالنا طوفان

انتقامه جميعاً.

أسرعت والدتها، نازلي خانم إلى البهو بمظهرها الذي ينم عن عزة و نعمة، حيث كانت تجلس تولين، بعد أن سمعت جلبه و صخباً ثم قالت متسائلة:

- ما الذي يجري هنا؟

- فأجابها زوجها:

- ابنتك الحقيرة! شهّرت بزوجة كينان في أشهر الجرائد التركية، و قد اتهمتها بالعهر و الدعارة، و ما كان من ابن أختك بعد أن علم بالأمر و بأنها في بيتنا تحت حمايتنا، إلا أنه أحرقنا جميعا.. لقد نزلت كل أسهنا إلى الحضيض، أما بضائعنا و سلعنا المرسلّة، فلم يقبلها أحد من الزبائن و عادت كلها إلى المخازن، و أنت تعلمين بأنه لن يمضي وقت قصير حتى تفسد جميعا. أما زوج ابنتك هذا الذي تريه أمامك، فقد قام شاتاي بإنهاء عقده معه، و بهذا فإن كل المواد الصيدلانية الخاصة بشركة يارا و زوجها ستتكدس هي الأخرى في المخازن، و لن يجدا من يشتريها منهما و لو بأبخص الأثمان، و بكل بساطة لأن شاتاي هو ملك السوق التركية في المواد الصيدلانية خاصة بعد أن عزم على توسيع أعماله بالبلاد، و السيطرة على الصادرات و الواردات الطبية و الصيدلانية.

اختلجت أهداب نازلي و قالت بتعجب:

- من هو شاتاي هذا؟ و ما دخله بكينان؟

فأجاب زوج يارا مقهورا، و تقدم نحو الخانم بجسمه الضئيل النحيل و قد احمر وجهه:

- فلتعلمي يا حماتي العزيزة بأن أقرب صديقين
لكينان هما جانسل ابن عمته، و شاتاي هذا الذي نتحدث
عنه، تستطيعين القول بانهم ثلاثة توائم من عدة أمهات.
- و ما الحل إذا؟

فقال بشير بيك:

- الحل بسيط جدا، يجب على ابنتك العزيزة أن تنظم
مؤتمرا صحفيا، و تتحدث أمام الصحافة لتخبر الجميع
بالحقيقة.

صرخت تولين مفاجوعة و قالت:

- مستحيل...!

- مستحيل؟

- أجل، مستحيل و لن أفعل هذا أبدا، و لن يستطيع
أحد إجباري على ذلك!

- إذا اخرجني من حياتنا إلى الأبد!

- أجل، سأخرج فلا مشكلة عندي.

- لا مشكلة عندنا نحن أيضا، اتركي كل شيء هنا،
البطاقة البنكية، دفتر الشيكات، كل الجواهر و مفاتيح
السيارة، و لا تنسي مفتاح منزل الشاطىء.

دُعرت تولين مما سمعت، و اصفر لونها و اهتزت
كقصبة فارغة من شدة الفرع و قالت:

- ماذا؟!!

- تماما كما سمعتِ يا خانم.

التفتت إلى أمها و قالت متضرعة لعلها تستدرّ عاطفتها:

- ماما! هل تسمعين ما يقوله زوجك؟

- أجل، لقد سمعت يا تولين، افعلي ما يطلبه منك بشير فلم تجلبي لنا إلا العار و الشنار، و قد سلّطت علينا سيفا لا قبل لنا به، لقد قلب كينان الدنيا على رؤوسنا بين عشية وضحاها، و لم يبق لنا سوى الموت، آسفة يا ابنتي فلم تتركي لنا خيارا آخر.

بلعت تولين ريقها بحيرة و ارتباك، و ضربت أحماسها في أسداسها فلم تجد حلا بعد أن عجزت حيلتها، و تمكّنها اليأس، و انقلبت منكسرة تجر خطى الخيبة، فقالت مرددة بصوت المستسلم القانط، بعد أن أطرقت رأسها فلم يظهر منه إلا شعرها الأصفر الذي حجب جميع وجهها:

- حسنا، فليكن ذلك.

فرد بشير ببيك بحزم:

- هذا ليس كل شيء، عليك أيضا نشر خبر تكذيب و رد اعتبار في كل الجرائد التركية حتى التي لم تنشري فيها

كذبتك، و قد اشترط كينان أن يكون خبر التكذيب بالخط العريض في الصفحة الأولى.

شعرت بالأسى و الحزن بعد أن انقلب عليها سحرها، و ما كان منها إلا قبول الذلة و المهانة و النزول على حكم كينان و لو على مضض، فتمت بصوت خافت:

- اللعنة عليهما! أرجو أن تموت تلك الحقيبة، أرجو أن تصدمها سيارة ما و تريحنا منها إلى الأبد.

ثم ابتسمت فجأة ابتسامة غامضة أذهلت الجميع، بعد أن رنت برأسها فكرة السيارة و حادث المرور.

إن الظلم و الإنتقام سلسلة من الشر، متصلة مفرغة لا فكاك منها.

المؤتمر الصحفي

قامت تولين صارخة من أعماق وجدانها، تتخبط من الغل و الحسد كالذي به جنة و قالت لبشير بيك:

- لقد قلت لكم بأنني سأقابل الصحافة غدا!

فرد عليها مزجرا:

- قلت لك اليوم لأن كينان قد أمهلنا حتى المساء، كلامي نهائي و لا رجعة فيه!

نظرت إليها أمها شزرا و صاحت:

- كينان ليس لك، و لن يكون لك أبدا! ألا تفهمين أيتها الحمقاء؟

- أعرف! أنا أعرف بأنه لن يكون لي.. اتركوني و شأني!

دخلت فجأة يارا بصحبة زوجها الذي قال:

- لقد تم ترتيب كل الأمور، سيحضر الصحفيون بعد نصف ساعة من الآن.

التفتت إليه تولين و قالت بصوت مرتعش:

- نصف ساعة! لكنني لست مستعدة بعد.
- لأي شيء تريدين الاستعداد يا خانم؟ هذا مؤتمر صحفي و ليس حفل زفافك.

فردت بلهجة يائسة مستسلمة بعد أن أغلقت بوجهها كل الأبواب:

- حسناً.

و عندما شارف المؤتمر، الذي حضره أشهر الصحفيين و الإعلاميين من الصحافة المرئية و المكتوبة و كذا المسموعة، على الانتهاء، قالت تولين:

- أنا أعتذر شخصياً من كينان تورباش و زوجته، فليعلم الجميع أن الخبر الذي نشرته بخصوصهما لا يمت للحقيقة بأية صلة، و قد فعلت ذلك لأن بيني و بين إنجي خانم مشاكل شخصية.

و أسرع بعدها إلى الداخل، و أخذت تبكي بقهر و تصرخ بصوت يذيب الجماد:

- أقسم بأنني لن أترككِ أيتها السافلة! الأيام بيننا يا
إنجي!

في المساء عاد كينان للمنزل حاملا بيمينه بعض
الصحف، و قد كانت إنجي جالسة بصحبة أمها و خالتها و
جانسل.

ارتسم البشر و الترحاب على وجهها، بعد أن
شاهدت حبيبها قادمًا نحوها ببدلته السوداء الأنيقة التي
تتناسب مع قدّه الممشوق، فبادلها ابتسامة تتم عن الشوق ثم
جلس بجانبها و قال:

- مساء الخير يا روجي.

- مساء الخير.

- كيف قضيتِ يومك حياتي.

سكنت قليلا و ظهر على وجهها التذمر من الخبر
الذي نشرته تولين، فاستطرد كلامه بصوت كالهمس:

- لنذهب لغرفتنا حبيبتي، سنتحدث هناك.

ابتسمت بحياء و لم تجب فقهه جانسل ضاحكا و

قال:

- انتبهوا قبل أن يفوتكم هذا العرض الشيق بين

العصفورين.

ضحكت ديلارا و أختها ثم واصل جانسل كلامه:

- هل من جديد يا كينان؟
- لا شأن لك بهذا يا أحقر المحامين.

ضحك الجميع، و فتح كينان الجرائد ثم قام بنشرها على الطاولة أمام إنجي، فملاً كيائها فرح لم تعرفه من قبل و فيض من السعادة لا يوصف و هتقت:

- إنها.. إنها هي، هذه صورتها أليس كذلك؟
- أجل حبيبتي، إن الحقيرة تعتذر منك أمام تركيا بأكملها.

ألقت نظرات خاطفة على العناوين في الصفحات الأولى للجرائد، و إذا الدنيا من حولها نغم حلو ساحر، و إذا الأصوات ملائكة تطير من حولها ثم قالت بلطف:

- هل أنت من أجبرها على هذا حبيبي؟
- لم أكن وحدي حبيبتي، لقد شارك الجميع في رد اعتبارك خاصة جانسل و شاتاي.

تهللت أسارير ديلارا وقالت:

- أنا سعيدة جدا بهذا، ها قد استعادت ابنتي بسمتها المشرقة.

- ابنتك أهم شخص بحياتي، فلا تقلقي عليها يا عمتي.

حينها كانت نازلي خانم تكلم هيفين على الهاتف و هي تبكي:

- ابنك أهانني يا هيفين، لم يرع لي حقي كخالة له، و كل هذا فقط من أجل تلك الفتاة.

فردت هيفين ممتعضة:

- لقد جعلته تلك الطفلة الوضيعة ينسى كل شيء يا نازلي، لقد أصبح مجرد خاتم بإصبعها، زواجهما سيتم عن قريب و قد عرض عليها شراء منزل خاص بهما و يليق بمكانتها و مقامها، لكن الحقيرة رفضت و قالت له بأنها تريد أن تعيش بهذا المنزل رغم أنف كل من اعترض على علاقتهما.. إنها تتحداني و تريد إغاظتي يا أختي، و الأدهى و الأمر أن ابني يطاوعها.. سأموت غيظا يا أختي.. سأموت قهرا يا نازلي!

بعد ما عم السرور الجميع، و ارتسم البشر على وجوههم، أسرع هيفين على السلم حتى اقتربت من كينان و هتفت بصوت متهدج:

- كينان، لماذا صنعت بي هذا؟

فقال بصوت واثق:

- لقد تم هذا بموافقة الجميع، لقد فسختُ عقدك مع شاتاي بطلب منه، و قد تم اختيار أختي توبا كشريكة له بدلا عنك.

ما إن سمعت توبا كلماته حتى انتفضت قائلة بصوت متلعثم:

- أرجوك كينان! قوموا باختيار أي شخص غيري، أرجوك!

فردت هيفين باللهجة نفسها:

- أنا طرف بعقد الشراكة، فلم ألغيتم شراكتي؟

ضحك كينان و قال:

- شاتاي هو صاحب القرار في هذا الأمر.

فقاطعتها توبا قائلة:

- أرجوك كينان! اختاروا يالذز أو خليل أو أي شخص آخر غيري..

- لقد قُضي الأمر يا توبا.

ثم قالت بعدها هيفين بصوت سريع و عميق:

- أتعاقبي يا كينان أم ماذا؟
- أجل يا أمي، فقد تغاضيتُ عن كل ما سبّته لي و
لزوجتي عدة مرات، لكنك تماديتِ كثيرا.
- أرجوك يا بني، هذا مشروع حياتي.. سأعتذر من
زوجتك، أنا آسفة على كل ما فعلته بك يا إنجي، آسفة و لن
أدخل بحياتكما بعد الآن، أعدكما بهذا.

ابتسم الجميع و رد كينان على أمه:

- كفى يا أمي، لقد انتهى وقت الإعتذار فلا تحاولي
لأن هذا لن يجدي نفعا أبدا.

أخذت هيفين تبكي ممتمة بصوت خافت:

- لكنني لا أزال أمك يا كينان!
- لقد صنعت بك هذا فقط لأنك أمي.

فقال توبا بصوت مرتفع و هي تشير بكلتا يديها:

- أنا أرجوكم بأن تخلصوني من هذا المأزق، لا أريد
الشراكة مع شاتاي.. كينان، أتعاقبي أنا أم ماما؟

تعالت الضحكات بسبب اضطراب توبا و أردفت
هيفين بكلمات يائسة:

- كينان، إن توبا رافضة لهذه الشراكة و أنا أريدها.

أعرض عنها في اتجاه آخر كأنما لا يريد متابعة
الحديث معها بعد أن قال:

- أمي أنتِ معاقبة، لقد انتهى كل شيء.

جمعت هيفين المسكينة نفسها من دون أن تنتظر
لأحد، و انصرفت لغرفتها تجر أذيال الخيبة مرددة:

- لم تجرّ عليّ تولين الحقيرة إلا خيبات الأمل، تبا
لها و لطيشها!

غريبة هي الأيام، عندما نملك السعادة لا نشعر بها و
نعتقد بأننا من التعساء، و لكن و ما إن تغادرنا تلك
الساعات السعيدة التي لم نَفدُرْها حقّ قدرها احتجاجا، حتى
تعلن التعاسة عن وجودها.. ها قد ندمت هيفين ساعة لا
ينفع الندم، على ما أضاعته بسبب قلة عقلها و تغطرس
أفكارها.

حينها كانت توبا لا تزال تملأ المكان صراخا:

- كينان ركز معي أرجوك، أنت تعلم جيدا بأنني لا
أتفق مع شاتاي.. أرجوك افعل شيئا.

فرد عليها ضاحكا:

- لست أنا الذي اخترتك يا توبا، القصة و ما فيها أنه
و بعد أن تقرر استبعاد أمي، كتبت كل أسمائكم و طلبت
من شاتاي الإختيار فوق اختياره عليك.
- لكنني لا أريد، ألا تفهمون!

قاطعها جانسل ضاحكا،

- و هل تظنين أن شاتاي وحش يا توبا؟
- أنا لا أقبل شراكته، هل لديك مانع؟
- فلتعلمي إذا أنها ليست مجرد شراكة فقط، بل
ستعملان معا.

فأجابت بصوت ينم عن الرجاء:

- أرجوكم خلصوني من هذا المأزق، أتوسل إليكم!

ابتسمت إنجي، فاقترب منها كينان و همس لها:

- اشتقت لزوجتي.

احمر وجهها خجلا، فقام كينان و أمسك بيدها، و
هَمًا بالإنصراف، فقالت ديلارا بنبرة انتقادية:

- كينان! ليس قبل أن تعلننا زواجكما.. أمّا الآن فيجب
أن تناما بغرف منفصلة.

- لا تحشري نفسك بيننا يا عمتي، لا دخل لك بيني و
بين زوجتي و إلا رفعت عليك دعوى قضائية.. هيا بنا
حبيبتي.

فصاحت ديلارا:

- ابقى مكانك يا إنجي، هذه ليست مزحة!

كان الجميع يضحك من مشادات كينان و عمته، أما
إنجي فقد بقيت محتارة بين التزام مكانها أو الإنصراف مع
حبيبها، فابتسم كينان بمكر ثم مال عليها بهامته فجأة و
حملها بين ذراعيه بخفة و وداعة و قال:

- لا عليك حبيبتي، أنا أكفيك عناء الإختيار.

دست إنجي وجهها بين راحتيها الرقيقتين خجلا و
حياءً، فهتفت ديلارا:

- كينان!

لم يول كينان اهتماما لمعارضة عمته، و تابع طريقه
إلى غرفته حاملا محبوبته بين ذراعيه بحذر كأنما يحمل
ياقوتة ثمينة، أما توبا فقد احمرّ وجهها هي الأخرى خجلا
و نسيت الورطة التي أوقعها بها كينان، فغافلت الجميع و
انسلت من المكان دون أن ينتبه لها أحد.

بعد هنيهة، دخلت إليف التي كانت خارج المنزل و
قالت:

- مرحبا!

رد الجميع تحية إليف، و استوى جانسل قائما دون
أن يشعر بذلك ثم قال متلعثما:

- سأسافر غدا ماما.

ابتسمت أمه و قالت:

- كيف نساfer و حفل الزفاف قد اقترب؟

التزم الصمت و لم يدر بما يجيبها بعد أن التقت
عيناه بعيني إليف، فتبادلا نظرات خاطفة لم تشف غليله و
لم ترو فواده، ثم أشاحت عنه بوجهها و انصرفت إلى
غرفتها.

بعد أن بلغ كينان غرفته، وضع حبيته على السرير
ثم جلس عند قدميها و انحنى ليخلع حذاءها فابتسمت قائلة
بدلال:

- لا حرمني الله منك حبيبي!

كانت يداها الناعمتان تداعبان شعره و هو يقول:

- أنا أعشقتك حتى آخر نفس من حياتي.

ثم قام بلطف و جلس إلى جنبها قائلاً:

- ألسِتِ غاضبة مني لأنني تركتك بمفردك طيلة

اليوم؟

- طبعاً لا حبيبي، اشتقت لك لكنني سامحتك بعد أن

أدركت بأنك كنت تسعى من أجل رد اعتباري من تلك
الحقيرة.

- سأعوضك عن كل أضرارك فراشتي، ستكون حفلة

زواجنا بعد أسبوع، ثم نذهب بعدها في شهر غسل طويل
جداً.

ابتسمت بغنج متدللة، فمال قليلاً ليقبلها لكنها ابتعدت

بلباقة و قالت هامسة:

- حبيبي، ليس قبل زواجنا.

لقد بدت الدنيا أحلاماً وردية للحبيبين، فهل هدأت

تولين أم أن شيطانها لا زال يراودها من أجل الإنتقام؟ لقد
طغى الحسد على قلبها، و اضطربت نيرانه و لن تخبو
أبداً.

و كيف يصبر من طغى الحسد على أمانيه، و قد

كان إخوة يوسف حلماء، و أجلة علماء، أولاد الأنبياء، فلم

يغفلوا عما اعتمل في قلوبهم من الحسد لأخيهم، حتى أعطوا أباهم الموائيق و العهود، وأقسموا بالأيمان المغلظة، إنهم له لحافظون، و هو شقيقهم و بضعة منهم لكنهم خالفوا العهود و وثبوا عليه ظلما، فألقوا به في غيابة الجب، و جاؤوا على قميصه بدم كذب، فظلموا أباهم بظلمهم يوسف، و هذا طمعا في أن يخلو لهم وجه أبيهم فيتفردوا بحبه، و ظنوا أن الأيام تنسيه، و حبه لهم من بعد فقدته ليوسف سيئله، فما كان منهم إلا أن أسالوا دمعته و أحرقوا قلبه.

و ما إن يخالط الحسد قلبا إلا لم يمكن لصاحبه أن يضبطه، و لا يقدر على حبسه أو كتمانها، فيتمرد الحسد على صاحبه فيستعبده يستميله، فهو أغلب على صاحبه من السيد على العبد، و من السلطان على رعيته و من الأسر على أسيره.

غير قاتلة

في صبيحة اليوم التالي، و في الوقت الذي بدأت فيه نجوم السماء تتلاشى، و تنطفئ الواحدة تلو الأخرى، أفاق كينان من نومه و تحسّس حبيبته لكنه لم يجدها على السرير، التفت إلى الجهة الأخرى و نظر إلى الساعة يقربه فكانت تشير إلى تمام السادسة و النصف، ترى أين ذهبت في هذا الوقت الباكر؟ عسى أن لا يكون قد حدث لها مكروه أو تكون إحدى خرجاتها الغير المتوقعة كعادتها.

لبس ثيابه بسرعة و باله لا يزال مشغول بمكانها، نزل للدور السفلي لكنه لم يجدها، فازداد باله انشغالا و توجّس خيفة، ثم عاد إلى الدور الأول من أجل البحث بين الغرف، و فجأة طرق سمعه بعض الكلام الغير مفهوم فتتبع الصوت إلى أن وصل لغرفة نيار الصغير، فدخل على عجلة من أجل استبيان الأمر، فوجدها جالسة مع نيار، فابتسم و قد تنفس الصعداء و ارتاح لرؤيتهما، اقترب منهما و جلس إلى جانبها و قال:

- اجتماع سري طارئ أم ماذا؟

- على الأقل قل صباح الخير.

- صباح الخير حبيبي.

قَبْلَ خَدِ صَغِيرَهُ، ثُمَّ قَبْلَ خَدِ حَبِيبَتِهِ وَ قَالَ:

- حسنا، اشرح لي الآن سبب هذا الإجتماع في هذا

الوقت.

ابتسم نيار ابتسامة بريئة، ثم قال و السرور يملأ

روحه:

- أنا سعيد جدا بابا! أنا مسرور لأنك تزوجت من

إنجي، فأنا أحبها كثيرا.

- و أنا أيضا أحبها يا بني.

- لقد استيقظت باكرا من أجلي، أعدت لي طعام

الإفطار بنفسها و ساعدتني في ارتداء ملابسني.

ابتسمت إنجي و قالت:

- لا تقلق يا نيار، نحن أصدقاء و سنظل كذلك للأبد.

- أجل إنجي، و قد طلبت من بابا أن يتزوجك سابقا،

لكنه كان يقول بأنك لا تزالين صغيرة.

فقالت و هي تنتظر إلى كينان نظرة ذات معانٍ:

- والدك يتحدث أحيانا دون تفكير.

فرد نيار ببراءته المعهودة:

- بابا، أنت لن تطلقها أليس كذلك؟

انبهرت إنجي من كلماته، فقال كينان:

- أبدا حبيبي، سنظل عائلة إلى الأبد.. أنا و أنت و

إنجي.

- ألن تتجبا لي إخوة صغارا حتى ألعب معهم؟ كل

أصدقائي لديهم إخوة إلا أنا.

تصرّج وجهها خجلا، و ضحك كينان مقهقهها ثم

قال:

- بلى حبيبي، سيكون لك إخوة و أخوات أيضا.

و بعد أن انصرف الجميع لأعمالهم، كانت توبا لا

تزال بالبيت تحدث إليف قائلة:

- أنت لا تفهمين شيئا يا إليف، أنا لا أطيقه و لا

أرغب بالعمل معه.

- لكن شاتاي ليس سيئا يا توبا.

- اللعنة! ألا تفهمون بأنني أكرهه؟

فردت إليف بصوت هادئ:

- كل هذا فقط لأنه أبلغ كينان بأنك كنت تنوين الهرب مع ذلك الشاب الحقير.
- أجل! لا دخل لشتاتي بحياتي، و هو ليس فردا من أفراد العائلة.
- لكنه صديق قديم لكينان، و هو بمقامه في العائلة.
- لا أريد منه شيئا يا إليف! لا شيء.
- أه لو كنت مكانك!.. آه..

و بعد عودة نيار الصغير من المدرسة، جلس بقرب إنجي و راح يحدثها عن يومه بالمدرسة، و فجأة قاطعها صوت جيندا و هي تصفق بيديها و تقول:

- زوجة الأب الرائعة!

التفتت إليها إنجي و قالت:

- مرحبا جيندا خانم، حسنا نيار ساعدك مع الماما الآن.

انتفض نيار فجأة، و هز رأسه نافيا و هو يصيح:

- لا! أنا لا أريد!

- صغيري! ما الذي قلتموه له عني؟ لقد جعلتموه يكرهني.. أنتما حقيران!

أشاحت إنجي بوجهها عنها، و أثرت عدم الرد عليها
و الخوض معها في نقاش عقيم لا فائدة منه، لكن جيندا
أمسكتها من يدها بعنف فقالت إنجي:

- اتركي يدي!

فردت جيندا محاولة استقزازها:

- هل جرّبتِ طعم النوم معه على سريريه يا إنجي
خانم؟

فصرخت إنجي بوجهها:

- أنت مجنونة! هيا نيار اذهب لغرفتك حبيبي.

انصرف الصغير إلى غرفته، و قد نفر قلبه من أمه
بسبب تصرفاتها الطائشة منذ طلاقها، فقالت كالمجنونة:

- كينان لي! هذا حقي و أنا زوجته الأولى.

تجاهلتها إنجي و لم ترد عليها بكلمة، فأثار ذلك
جيندا التي تقدمت منها و دفعتها على أرضية القاعة، كانت
ديلارا ترى ما يحدث فأسرعت نحو إنجي قائلة:

- صغيرتي، إنجي..

ثم التفتت إلى جيندا التي كانت زيها فاضحا مثل راقصات الحانات، فحدجتها بنظرة كادت تخترقها ثم صاحت:

- ماذا دهالك أيتها المجنونة؟

كان هناك شد و جذب بينهن، و تراشق بالكلام اللاذع مما أثار فوضى بالمنزل، فأسرع الجميع إلى البهو، ثم قامت إنجي عن الأرض و على حين غرة أهوت راحتها على خد جيندا فصفعتها بعنف و قالت:

- اخرجي من هنا! و لو عدت مرة أخرى قتلتك أيتها الساقطة.. اخرجي من هنا بسرعة!
- هذا منزل كينان يا خانم، و لن أخرج منه.

فقاطعتها توبا قائلة:

- و لتعلمي بأن هذه زوجته، و إن بلغه ما حدث فإنه سيقتلك.

- إنها مجرد طفلة طائشة لا تصلح للزواج من رجل مثل كينان.

فقال يالذر صارخا بوجهها:

- أغلقي فمك و اخرجي من هنا فورا!

فقاطعت إنجي الجميع و تقدمت من جيندا و قالت بصوت واثق:

- عذرا يالذر، أما أنتِ أيتها الحثالة فأنا لست جبانة، و قد أخذت منك كينان و قد كان يحبني حتى و أنتما متزوجان.. أنا أعلم جيدا أنه لم يمسك إلا مرّة واحدة فقط، و لك أن تنكري ذلك إن استطعتِ!

حاولت جيندا الرد، لكنها ألجمت من فظاعة ما سمعته و قالت و هي تناجي نفسها:

- اللعنة! لقد أخبرها الحقيير بكل شيء.

ثم التقطت حقيبتها اليدوية و انصرفت مسرعة نحو الخارج، فقهقه يالذر و هو يقول:

- من أين لك بهذه القوة يا زوجة أخي؟

ثم اقتربت منها ديلارا و قالت:

- صغيرتي، هل أنت بخير؟ سأطلب لك الدكتور.

- لا ماما، لا حاجة إلى ذلك.

طلبت إنجي من الجميع كتمان أمر قدوم جيندا للمنزل، و كل ما حدث عن كينان.

عاد كينان في المساء متأخرا على غير العادة، و انضم مباشرة للجميع على مائدة العشاء، و بعد هنيهة ضغطت إنجي على ظهرها متألّمة فقالت أمها باضطراب:

- هل أنت بخير حبيبتي؟

- أنا بخير ماما لا تقلقي.

التفت إليها كينان قلقا و هو يقول:

- هل أنت بخير حياتي؟

- أنا بخير كينان.

اشتد عليها الألم بعدها، فأغمضت عينيها المرهقتين و هي تتأوّه من الداخل، فقالت أمها:

- لا! يجب أن أطلب الدكتور فورا فظهرك لا زال

يؤلمك.

- ماما! لقد قلت لكم بأنني بخير.

قام كينان عن كرسيه، و اقترب منها ثم قال بصوت

خافت:

- أخبريني يا روعي، مابك؟ أنا متأكد بأنك تخفين

عليّ أمرا ما.

- لا شيء هناك يا كينان، إن ظهري على ما يرام.

و بعد أن أصر عليها بأسئلته قالت له:

- إنها جيندا! لقد كانت هنا اليوم و قد دفعتني بعد أن تراشقنا بالكلام لكنني بخير الآن.

فصاح بعد أن ثارت ثائرتة:

- دفعتك على ظهرك؟ سأقتل تلك الحقيرة!

- أنا بخير، و الأمر ليس كما تظن..

فأمسك بيدها و انصرفا نحو غرفتهما بعد أن أدرك أن هناك كلاما لا تستطيع أن تخبره به أما الجميع.

فساعدها في الاستلقاء على بطنها على السرير، ثم اقترب منها و مرّر يده بلطف على بشرة ظهرها الناعمة تحت ثوبها.. توقفت فجأة أنفاسها و سرت في جسمها رعدة لذيذة ثم قالت بنبرة متلعثمة:

- كينان.. أعني.. قلت لك بأنني بخير..

- حبيبتي، أنت لست بخير دعيني أطلب لك الدكتور الآن، أما تلك الحثالة فأقسم بأنني سأقتلها!

ثم همّ بالنهوض فأمسكت بيده قائلة بصوت كالهمس:

- أنا بخير حبيبي، لا دخل لجيندا بالموضوع.

- لكن.. أنا لا أفهم شيئا يا روجي.

- لا تقلق حبيبي، هذا أمر عادي يحدث لكل النساء
كل شهر..

لم تستطع إكمال كلماتها و احمرت خجلا فقال لها
باسما:

- أنا آسف حياتي، سأحضر لك مسكنا.
- لا عليك لقد أخذت قبل قليل.

سكت قليلا ثم هتف قائلا:

- حياتي!

رفعت إليه طرفها و قالت بابتسامة رقيقة:

- ماذا تريد حبيبي؟

فرد بصوت خافت كالهمس:

- إنك الليلة أحلى من القمر ليلة البدر، ها هي النجوم
تحريك بخجل و حياء.

و أوما برأسه إلى النافذة المقابلة لهما، فأشاحت
بوجهها الخجل بعد أن ألجم لسانها الحياء ثم غمغت:

- كفّ عن هذا!

مع أنها أصغت إلى كلماته بقلبها و عقلها و كيائها،
و ابتسمت ابتسامة لم ترسما شفتاها.

بالنسبة لكينان و محبوبته، فإن الحب نغمات
تتراقص على أوتار القلوب بخفة و رشاقة..

و الحب يتسلل لمنافذ الروح بمنتهى الرقة..

الحب الصادق بحر من الأحاسيس و المشاعر، لا
غدر فيه و لا خيانة..

أواجه تنسجها خيوط الوفاء و المحبة، و سفنه
قلوب رست لآلؤها على الطهارة و النية الطيبة..

هو نشيد و لغة و رسائل لا يستطيع أي أحد فك
شفراتها، و قد صدق من قال أن الحب لا يموت فينا و إنما
يوارى كجمره تحت الرماد، فإن هبّ لقاء عابر اشتعلت
الروح لهيبا و اتقادا.

لقد كانت الدنيا حول الحبيبين العاشقين في هذه الليلة
نغما ساحرا، بنور القمر و عبق الشموع الأخاذ الذي يشفي
القلوب الهيام..

لقد ملأ كيانهما سرور و عواطف جياشة و هما بين
أحضان بعضهما البعض، و فيض من السعادة كأنه بحر لا
تحده شطآن، و لا حدود دولٍ و لا أعلام..

لقد كانت ليلة تجلجت لها سماء الليل، و كل نسيمات
الكون نيام..

ليلة تطاير فيها أحلى الكلام، و تشارك الحبيبان
أجذب ابتسام و أجمل غرام.

التسوق

في صبيحة اليوم التالي بمبنى المجموعة، كانت جيندا غير مصدقة و هي تعيد قراءة الوثيق التي قدمها لها السيد فقالت:

-أكيد أنك تمزح، أم أن هناك خطأ ما.

فردّ السيد بثقة و هدوء:

- جيندا خانم، لا دخل لي بما تحويه الوثيقة، فمهمتي تقتضي تسليمك إياها فقط.

أخذت الورقة و هرولت نحو مكتب كينان، لكن السكرتيرة منعتها من الدخول و اعترضت سبيلها، فقالت جيندا متعجبة:

- هل جننتِ أم ماذا؟ أريد أن أرى كينان فوراً، أم أنك نسيتِ من أكون؟
- عفوا يا خانم، لكن التعليمات لا تسمح بدخولك لمكتبه، أرجو تفهمك للوضع.

أسرعت جيندا نحو الباب متلافية السكرتيرة، ثم دفعت الباب بقوة رغم أن السكرتيرة حاولت منعها لكنها لم تستطع، و ما إن رأت جيندا كينان حتى قالت:

- كينان.. أنا..

رفع رأسه و صعدَ فيها النظر، ثم قال هاتف بعد أن قَطَّب حاجبيه:

- من سمح لك بالدخول؟

فقالَت السكرتيرة بصوت مرتعش:

- عفوا يا بيبك، لقد حاولت منعها لكن...

فقاطعتها جيندا و قالت بلهجة انتقادية:

- لقد أعطوني وثيقة تفيد بأنني مطرودة، و غير مسموح لي بالدخول إلى مبني المجموعة، فماذا يعني كل هذا؟

- الوثيقة تعني كل ما تَلَقَّظتِ به الآن، تفضلي خارج مكثبي و خارج المبني كله.

- كينان، لكنني أم ولدك.. أرجوك!

أشار كينان للسكرتيرة بأن تخرج و تغلق الباب، ثم قام عن كرسيه و تقدم نحو جيندا قائلاً:

- لقد اكتفيت هذه المرة بطردك من مجموعتي، أما في المرة القادمة، إن تجرأت و مسست و لو شعرة واحدة من زوجتي فسيكون لي معك شأن آخر!

فردت بصوت مرتفع و هي تشير بكلتا يديها:

- لقد كان لوالدي حصة من أسهم هذه المجموعة!

فقال ضاحكا:

- هذا صحيح يا خانم، و تعويضا لفعلتك الدنيئة مع زوجتي و ردا لكرامتها، و من أجل استرضائها، فإنني قد قدمت لها كل حصة والدك من الأسهم التي اشتريتها منك سابقا، و هي هدية مني لها عربون محبة.. أمّا و إن تجرأت على الإقتراب منها ثانية، فأقسم بأنك لن تري نيار الصغير طيلة حياتك، أما عن طيشك و مراهاقاتك فلن تري ابنك لشهرين كاملين، و كلامي نهائي لا رجعة فيه.

استغرقت في نجواها و راحت تبكي متممة:

- ظالم! أنت ظالم..

- لو كنت حقا ظالما كما تدّعين، لما سمحت لك برؤية ابنك، و لأخبرته بأنك تنازلت لي عن حضانته أنانية منك.

همت بالانصراف بعد أن غطت الدموع وجهها
فناداها قائلاً:

- جيندا! أرجو أن تكوني أكثر رصانة في المرة
القادمة.

أسرعت خارج المكتب و الدموع تنهمر من عينيها
بغزارة، و قد عزمت على الإنتقام منه و من حبيبته.

في تلك الاثناء، كانت الفتيات تتسوقن تحضيراً لحفل
زفاف إنجي، فقالت إليف ضاحكة:

- لدي خبر من أجلك يا توبا.

- من أجلي أنا! و ما هو؟

- لقد اتصلت بي روسيل صباحاً و أعلمتني بقدمها

اليوم مع شاتاي.

- اليوم؟

- أجل، إنهما الآن في طريقهما إلى تركيا.

- اللعنة!

تبادلت إنجي و إليف النظرات، و أخذتا تضحكان
بسبب انفعال توبا التي قالت لهما باحتدام:

- هذا ليس وقتاً للضحك أيتها الحقيرات! ألا تفهمن

بأنني لا أطيق النظر إليه، فكيف لي بالعمل معه؟

- لقد أصبح الأمر واقعيا يا توبا، لا مناص من التأقلم مع هذا الوضع.

- لا! يجب أن أجد حلا عاجلا لهذا.

فقال إنجي و هي تبتسم:

- هيا، دعونا نرى بعض المحلات فقد تأخرنا كثيرا.

فردت إليف:

- أجل، هيا بنا فكل شيء يبدو رائعا.

فقاطعتهما توبا قائلة:

- أنتما تتهربان من إيجاد حل لمشكلتي.

- نحن لا نتهرب يا توبا، لكننا هنا اليوم من أجل

ابتئاع كل ما تحتاجه إنجي.

- اللعنة! لبتك لم تخبريني بقدومه يا إليف.

دخلت الفتيات بعض المحلات، و قامت إنجي بشراء

كل ما أعجبها و وافق ذوقها بعد مشورة إليف و توبا، و

بعد ساعتين كاملتين قضتتهما الفتيات بين المحلات، انتهى

وقت التسوق و حان وقت العودة للمنزل.

ركبت توبا في سيارة إليف، أما إنجي فقد طلبت

منهما نقل أغراضها التي اشترتها إلى غرفة كينان، و

أخبرتھما بأنها تريد الذهاب لبيت والدها من أجل جلب بعض الأغراض من غرفتها ثم تلتحق بهما فيما بعد.

و في المساء تأخرت إنجي عن العودة إلى منزل كينان، فراحت ديلا را تسأل:

- أين إنجي؟ لقد تأخرت يا توبا.
- لقد ذهبت إلى المنزل، و قالت بأنها ستوافينا إلى هنا لكنها تأخرت، فهاهي قد مرت عدة ساعات و لم تحضر بعد.

حاولت توبا الإتصال بها، ثم قالت بعد عدة محاولات باءت بالفشل:

- هاتفها مغلق يا عمتي، يبدو أن بطارية هاتفها قد نفذت.

- ماذا؟ هذا مستحيل، سأتصل بخادمتي بييرنا.

اتصلت ديلا را بييرنا، لكن الأخيرة أخبرتها بأن إنجي لم تأت اليوم للمنزل، و أعلمتها بأنها كانت في انتظارها بعد أن طلبت منها إنجي تحضير بعض الأغراض من غرفتها.

انتشر الذعر بأرجاء المنزل، و صعق الجميع و اختلط عليهم الأمر.

كان كينان لا يزال بمكتبه، فورده اتصال من توبا التي حاولت الكلام و هي تجهش بالبكاء:

- أين أنت يا كينان؟ لقد اختفت إنجي!

فعارضها صارخا:

- ما الذي تقولينه يا توبا؟ كيف.. أين ذهبت؟ هل أزعجها أحد ما؟

- لا! لم يزعجها أحد، لكنها كانت تريد الذهاب لمنزل والدها بمفردها، لكنها اختفت فجأة و الخادمة نفت قدومها للمنزل.

انصرف كينان من منزله مسرعا بعد أن صدم و ساورته حيرة كبيرة، حاول الإتصال بها لكن هاتفها مغلق. لم يدرِ ما الذي يجب عليه فعله، فراح يتصل بالجميع لكن أحدا لم ير إنجي اليوم سوى توبا و إليف.

اتصل كينان بروسيل و سألها إن كانت إنجي قد اتصلت بها، فقالت و قد صعقها الخبر:

- لا يا كينان، هي لم تتصل بي لكنها سعيدة جدا باقتراب حفل الزفاف، و مستحيل أنها قد هربت هذه المرة.
- ما الذي تقصدينه بهذا؟

- لا أدري، لكنني متأكدة من أنها لم تهرب هذه المرة.

- اللعنة! ربما خطفها أحدهم فقد كانت بمفردها.

جالت بخاطره عدة أسئلة عجز عن إيجاد تفسير لها، و ذهب به خياله إلى أخطر الإحتمالات، لكنه و في كل مرة كان يحاول طرد تلك الوسوس، حتى يركز على الأمر.

انتشر الحزن و اليأس بأرجاء المنزل، و أسدل الليل رداءه الأسود و لم تظهر إنجي بعد.

فقال كينان بلهجة خاطفة بعد أن عاد إلى المنزل و انضم للجميع:

- هل يعني هذا بأنها قد خطفت؟

وقعت كلماته على الجميع كالصواعق.. يا للمصيبة! أبعد كل ما قاسته المسكينة من مآسي و أحزان يتم خطفها قبل حفل زفافها؟

نظرت إليه ديلارا و قالت:

- يا إلهي! ما الذي فعلته المسكينة حتى تواجه كل هذا الظلم؟

ثم انتفضت و اصفرت و ارفضّ جبينها عرقاً، ثم
قالت بصوت خافت لا يكاد يسمع:

- اللهم ارحمنا!

و لم تنزل هكذا منذ أن أيقنت باختفاء ابنتها، تهذاً
أحياناً و تثور أخرى.. و كذلك كان شأنها دائماً كلما وقع
مكروه لصغيرتها، و لا تبارح حالها تلك حتى تتبدد
مخاوفها و تطمئن على ابنتها. ثم تراءى إليها شبح والدة
إنجي غاضباً، كأنما توبخها على تفريطها في حفظ الأمانة
فتطأئى رأسها خجلاً و حياءً. ثم التفتت فجأة نحو هيفين و
صاحت بها:

- إن كان لديك أي دخل بما يحدث، فأقسم بأنني
سأسلمك للشرطة مع كل الأدلة التي بين يدي بخصوص
فعلتك الشنيعة أنت و ابنة أختك الحقيرة!

فردت هيفين بصوت متلعثم كمن يريد دفع التهمة
عن نفسه رغم أن كل الدلائل تقف ضده:

- أقسم بأنه لا دخل لي بما يجري! لم أعد أتدخل بين
ابني و زوجته بعد كل الذي حدث.

كان الجميع يبحثون عن إنجي، كل على طريقته، و
قد تم إبلاغ الشرطة بالأمر منذ اللحظات الأولى لاختفائها

لكن الامور ازدادت تعقيدا، فقد كثر أعداء إنجي، فتولين تتوعد من جهة، و جيندا قد ثار غضبها بسبب فقدان وظيفتها و حرمانها من رؤية ابنها، فعزمت هي الأخرى على رد الصاع صاعين، أما هيفين فقد كان الشر يتطاير من عينيها بعدما فقدت مشروع حياتها، حتى أركان أصبح عدوا لها و لكينان، و هذا بعد أن اكتشف كينان تحايله من أجل الحصول على ثروة إنجي، و لم تكن إنجي على علم بتورط أركان مع المافيا و دخوله السجن إلا عندما قرأت ذلك بالصحيفة التي أحضرها إليها كينان إلى غرفتها عندما كان يحاول استرضاءها بعد عودتها من باريس.

انقطع لسان كينان، و توقف قلبه عن النبض، و داخله الذعر مما شل حركته و كَبَل إرادته، فقام في مكانه لا يستطيع الحراك، ضرب أخماسه في أسداسه من الهم الذي ألمّ به، لقد كَدَّر اختفاء حبيبته لذة حياته، فهجست نفسه و وسوست له بالشر، أليس هو سبب كل هذا؟ أليس مذنبا هو الآخر؟

و بينما هو يصارع أفكاره و هواجسه، وصل شاتاي و شقيقته و دخلا المنزل فجأة، فانتشله صوت صديقه الوفي من هواجسه قائلا:

- كان يجب أن تضع الجميع تحت الحراسة يا كينان.

- ما كنت أظن أن الأمر سيبلغ هذا الحد، لكن الحق معك.

- لا عليك يا كينان، سيكون كل شيء على ما يرام.
- أرجو ذلك!

ثم انضم إليهما جانسل قائلاً:

- حاول أن تهدأ قليلاً يا كينان.
- لا أستطيع! أنا أشعر بالذعر و الخوف لأول مرة بحياتي يا جانسل.. أقسم بأنني وصي سيء، حبيب أسوأ و زوج أشد سوءاً.

ثم انصرف كينان مسرعاً، لكن جانسل حاول اللحاق به فمنعه شاتاي قائلاً:

- أتركه يا جانسل، هو محتاج لأن يبقى لوحده قليلاً.
- لقد تعب كلاهما، هو تعذب بحبها منذ أن عشقها، أما إنجي فقد اكتوت بنيران الغيرة و الحقد.
- الحب لا يجلب علينا سوى المتاعب يا جانسل، و حالك هذه الأيام خير دليل على هذا.
- لا تقلق يا شاتاي، لقد قررت إغلاق المسألة للأبد.
- و هل تستطيع ذلك؟
- أنا لست مثل كينان، أنا لا أستطيع أن أدلل و أتحمّل مثله يا شاتاي.

- أنت مخطئ يا صديقي، أنت و كينان تتشابهان كثيرا، و لا مناص من أنك ستعود من أجلها و تصبر على لهيب جفائها و دلالتها.

- دعنا من هذا يا شاتاي، هلمّ نتواصل مع بعض معارفنا علنا نتوصل لخيط ما حول مكان إنجي، فقلب كينان المسكين يكاد يطير شعاعا.

في المنزل، و بعد أن نالت هيفين قسطها من التويخ و التفریح، هرولت إلى غرفتها مذعورة، و بعد أن أغلقت الباب اتصلت بتولين:

- اصدقيني القول يا تولين، هل أنت خلف كل ما يحدث من فوضى؟

- ماذا تقصدين يا خالتي؟ عن أية فوضى تتحدثين؟

- لا تثيري غضبي، هل أنت من خطفها يا تولين؟

- خطفتُ من يا خالتي؟ أنا لا أكاد أفهم شيئا مما

تقولين.

- أنا أقصد إنجي أيتها الغبية!

- ماذا؟ أتقصدين بأن إنجي قد تم خطفها؟ إن كان ما

تقولينه صحيحا فهذا أسعد أيام حياتي.

تهللت أسارير تولين بعد أن علمت بأمر اختطاف

إنجي، فاستبشرت بذلك الخبر و اعتبرت يومها هذا من

أسعد أيام حياتها، لقد تحقق انتقامها أخيرا.. إنها تتلذذ بالأم

الآخرين، و شخصيتها النرجسية السادية تهوى آلام
الآخرين و عذاباتهم، وهي تبلغ قمة نشوتها عند رؤية هذه
الأمور.

ثم استطردت هيفين كلامها:

- تقصدين بأنه لا علاقة لك بالأمر، أليس كذلك؟
- أجل يا خالتي، لكنني مبهجة لهذا، و لو كنت
أعرف من وراء هذا لشكرته من كل قلبي فقد شفى غليلي.

بينما كان كينان هائما على وجهه، لا يدري أين
يذهب و لا من يسأل، كأن الأرض قد انشقت و بلعت حبيبة
قلبه، رن هاتفه فجأة فرد قائلاً:

- خليل!

- أبشر يا كينان! لقد استطعنا تحديد مكانها، وافني
إلى المكان الذي حددته لك في الرسالة، أسرع قبل أن
ينكشف أمرنا.

تنفس كينان الصعداء من شدة حزنه ثم انتفض
صارخاً، ثم اندهش من المكان الذي حدده له خليل:

- كيف؟ من هذا الحقير الذي خطفها؟ أرجو أن
تكون بخير!

بدأت إنجي تستعيد وعيها شيئاً فشيئاً، و تتخلص من تأثير المخدر، وجدت نفسها مقيدة من كل الجوانب على سرير في مكان شبه مظلم كأنه قبو أو مستودع قديم، حاولت تحريك رأسها لكن حركتها كانت ثقيلة و بطيئة جداً، و قد ألمها ذلك كأنها خرجت من غرفة العمليات بعد عملية ولادة قيصرية، لم تتضح لها ملامح الرؤية، و لم تظهر معالم المكان أمامها بعد، فمفعول المخدر لا يزال في جسدها.

عدالة السماء

وبعد فترة استعادت إنجي وعيها تماما، مع آلام شديدة برأسها، فنظرت بصعوبة للمرأة التي كانت جالسة مقابلها على كرسي مهترئ من خشب، ثم هتفت بصوت مرتعش و قد اختلجت أهدابها، و تملكته الحيرة و الدهشة:

- أين أنا؟ لماذا أنا مقيدة؟ أنتِ..

ضحكت المرأة بمكر و قالت:

- نعم هذه أنا بشحمي و لحمي!

لقد أدركت إنجي بعد اتضاح معالم المكان بأنها بنفس المنزل الذي أحضر فيه رجال كينان الخادمة و ذاك الشاب الذي كان معها فقالت:

- لكن لماذا أنا مقيدة هكذا؟ أين كينان؟

فردت عليها بلهجة تنم عن التشفي:

- كينان هو سبب كل مصائبك، ألم أقل لك بأنك ستندمين لأنك أخذتني مني؟

- و ما ذنبي أنا إن كان هو لا يحبك و لا يريدك؟

ففزعت عن كرسيها و قالت بصوت مرتفع مزمر
و هي تشير بيديها:

- لقد كان لي أيتها السافلة، إلى أن ظهرت و خربت
كل حياتي!

فردت إنجي بحزم و هدوء لا يخلوان من الخوف و
الهلع:

- ألم تتعظي بعد كل الذي صنعه بك؟

ضحكت مقهقة كساحرات البراري و قالت:

- لا تقلقي أيتها الحشرة فلست من النوع الذي يستسلم
فورا.

جمعت إنجي نفسها و حاولت التغلب على ذعرها، و
هي تعلم جنون غريمتها ثم قالت مدارية خوفا:

- أنا متاكدة بأن ما ستلاقيه جزاء فعلتك هذه لن
يكون هيئا أبدا.

فاقتربت منها و أجابتها بلهجة حادة:

- هذا لو استطاع هو التغلب على صدمة ما سأصنعه
بك الآن أيتها السافلة!

تغلب الذعر على مشاعر إنجي، و أصبح باديا على
وجهها، فقالت بلهجة متضرعة:

- لماذا تكرهيني يا تولين؟ أنا لم أفعل لك شيئا
فاتركيني أذهب.

- أخبرتك بأن ثأري عندك، لقد دمرت حياتي و أنت
تعلمين أن بعض الشر أشقى للصدر، و لست أنا بالتي
تهان أمام تركيا كلها!

فقالت إنجي باللهجة نفسها:

- كينان لي منذ زمن.. هو ليس لك و لا لجيندا، و قد
كان يحبني حتى في فترة زواجه منها، و أنا أيضا أحبه و
سيظل لي فلا تتعبي نفسك يا تولين.

فردت تولين بلهجة القانط الفاقد للأمل بالحياة:

- لقد تركته لك و لم أعد أريده، لأنني أدرك جيدا ما
تقولينه.. صحيح أنه لن يكون لغيرك، لذي سأحرق قلبه بما
سأفعله بك اليوم.

نظرت إليها إنجي نظرة المتضرع المتوسل، وقالت
بعد أن حاولت تخليص نفسها من القيد فلم تستطع:

- الأمر ليس بيدنا يا تولين، و الحب ليس بالطريقة
التي تظنين.

نظرت إليها شزرا و صاحت:

- سأشوه وجهك الجميل! سأقطع جسدك و أترك
حية حتى تتذوقي مرارة العذاب الذي أعيشه.

ارتعشت أوصال المسكينة، و جف حلقها بعد أن
سمعت كلمات تلك المجنونة، و جمد الدم بعروقها ثم قالت:

- لكنني لم أؤذك يوما يا تولين!

كانت تولين تكنّ لأنجي حقدا و حنقا شديدين لا
حدود لهما، ثم قالت بعد أن بدأ الحسد يطفو على وجهها:

- و هل هناك أذى أشد من أخذ الرجل الوحيد الذي
عشقته طوال حياتي؟

توقفت إنجي عن الكلام قليلا، لكنها استجمعت قواها
الخائرة فجأة و تجلّدت و واجهت الأمر، بعد أن أدركت أنه
لا مفر من ذلك، ثم قالت بكل ثبات و تحدّ:

- هو لن يكون لك و لا لغيرك، فلتفعلي أسوأ ما
تستطيعين، و إن أفلت من عدالة الدنيا، فلن تفلتي من عدالة
السماء أيتها المجنونة!

أعمى الحقد و الغضب بصيرتها، فلم تعد تبصر شيئاً
أمامها غير الشر و الانتقام فقالت:

- لا يهم! سأشوه وجهك حتى لا يستطيع أي أحد
التعرف على ملامحك مهما فعل، ستحولين إلى مسخ..

ثارت تولين و هاجت، و راحت تنتم بين شفئتها
بكلمات تنذر بالشر، و انفجرت كالبركان الثائر الذي يأتي
على كل ما يصادفه في طريقه فلا يبقى و لا يذر.. حملت
بيدها قارورة و هي تستعمل قفازات واقية، وكان يقف
خلفها الشابان اللذان قاما بخطف إنجي من سيارتها عندما
كانت في طريقها إلى منزلها، و هذا بعد أن قام أحدهما
بوضع خرقة مبللة بمحلول الهالوثان على أنفها و فمها
دفعة واحدة، أما الآخر فقد خبأ سيارتها في مكان شبه
مهجور، و مع الأسف فلم تكن سيارة إنجي مزودة بشريحة
تحديد المكان مما صعب عملية البحث عنها.

ذعرت إنجي مما كانت ترى، و علا وجهها
الشحوب و اصفر لونها فنظرت إليها تولين نظرة احتقار و
هي تتلذذ بخوفها قائلة:

- انظري جيداً أيتها الحقيرة! نقطة واحدة فقط كافية
لتحويل حياتك إلى جحيم أبدي، و لولا هذه القفازات التي
أضعها لما بقي من يداي سوى العظام.

ثم التفتت إلى أحد الشابين و قالت:

- أحضر لها تلك المرأة حتى تستمتع برؤية وجهها الجميل لآخرة مرة في حياتها.

ضحك الشاب مقهقها و أحضر مرآة دائرية صغيرة من الداخل، ثم قدمها لإنجي التي أغمضت عينيها و رفضت رؤية وجهها.

فتحت تولين القارورة بالقرب من إنجي، وقد كانت قارورة بنية غامقة عليها ملصقة حمراء مرسوم أسفلها جمجمة و تحت الجمجمة عظمتان متقاطعتان على شكل X. انتاب إنجي الذعر بعد أن تصاعد بعض الدخان من القارورة فهتقت متوسلة:

- أرجوك يا تولين! أرجوك لا تفعلي هذا بي..
- أجل أيتها الكلبة المتشردة.. توسلي إلي هكذا، ألم أقل لك بأنك ستندمين؟ حتى لو وقعت السماء على الأرض ما أنا بتارككِ.. فاصرخي كما تشائين لعل والدك يقوم من قبره لينقذك مني!

- اتركوني و شأني! ابتعدوا عني..!

حاولت مجددا التملص من قيودها لكن القيود كانت أشد من أن يمزقها رجل شديد البنية، فكيف بأيادي إنجي الناعمة الرقيقة؟

كان الغيظ يعتصر، تولين فراحت تزرأ و تتوعد:

- أتركك! هل جننت؟ و هل تركتني و شأني حتى
أتركك الآن؟

اقتربت تولين من وجه إنجي و مالت نحوها، و
أبعدت رجليها قليلا للوراء حتى لا تتأذى..

كانت دموع إنجي تنهمر بشدة، و هي ترتجف
كالقصبلة لشدة فزعها و خوفها، لقد كانت كل فرائصها
ترتعش و ترتعد، و منظرها يثير الرهبة في النفوس، ثم
صرخت صرخة عميقة نابغة من أعماق وجدانها:

- كينان!..!

فاندفع الباب الخارجي فجأة، و اندفع كينان نحو
الداخل و إخوته من خلفه، فارتبكت تولين و فزعت ثم
حاولت الإستواء قائمة، لكن إحدى رجليها انزلقت فسقطت
على ظهرها، و سقطت فوقها القارورة، فانتشر المحلول
على صدرها و غطى معظم وجهها.

حل الأمل مكان الفزع، واطمأنت إنجي لما رأت
حبيبها الذي أنقذها بثوان معدودة قبل وقوع الكارثة فهتفت
صارخت:

- كينان! كينان!..!

أسرع هو و جانسل فحلا قيودها، ثم ضمها إلى صدره، و حاول أن يغطي وجهها حتى لا ترى الحالة التي آل إليها وجه تولين و جسدها و التي كانت تصرخ:

- أنا أحترق! أنا أموت.. أنقذوني!

اقشعر بدن إنجي، و سرت فيه رعشة و هي غير مصدقة أنها قد أفنت بأعجوبة، فراحت تتحسس وجهها و بشرتها براحتيها و أناملها.

و بعد أن انقضى الأمر، كانت إنجي برفقة حبيبها في سيارته و قد زال عنها بعض ما كانت فيه فقال لها:

- لا تقلقي يا روجي، انت الآن بمأمن معي.

- لقد سمعتها تصرخ يا كينان، لقد تشوهت..

- هذه عدالة السماء حبيبتي، الجزاء من جنس العمل

و لا دخل لنا بهذا.

ترقرقت الدموع بعينيها و قالت:

- ربما لو لم نتزوج لكنت الآن بخير، إن المسكينة

لا تزال في مقتبل العمر.

- أتشفقين عليها بعد كل الذي صنعه بك؟ لله درك ما

أحلمك، لو كان الجميع مثلك لكنت الملائكة جيراننا.

بعد أن وصلا للمنزل، ورحب الجميع بإنجي و
اطمأنوا عليها، سعدت لغرفتها لتستحم و كينان جالس
بقربها فهمست له:

- لن تذهب لأي مكان، أليس كذلك حبيبي؟
- سأكون كظلك منذ اللحظة حياتي، و منذ الغد
سيكون هناك طاقم حراسة شخصية للجميع، فقد تبين أن
الشابين اللذين كانا مع تلك الحقيبة يعملان تحت إمرة
أركان، و قد بعثهما بعد أن زارته تولين بالسجن و تحالفت
معه ضدنا.

- أنا متأكدة بأن فكرة الحراسة الشخصية لشتاي.
- الأمر يستحق أكثر من ذلك يا روجي، كدت أفقد
عقلي عندما لم أجدك، لقد تملكني الخوف بشكل لم أشهده
أبدا بحياتي.. لن يمس أحد شعرة من رأسك مادام هناك
نفس بهذا الجسد.

في ذلك الوقت، كانت تولين تصرخ بالمستشفى و
أمها بقربها:

- لقد تشوهت.. لقد أصبحت مسخا.. وجهي .. أمي!

فأعطتها الممرضة حقنة منومة بعد استشارة الطبيب
المشرف على حالتها.

أما حيندا فقد بلغها كل ما حدث فاتصلت بنيار بعد
إذن كينان، فقالت:

- أنا مسافرة حبيبي، و سأعود من أجلك كل شهر..
أنا متأكدة بأنك ستكون بخير مع بابا.
- أجل ماما، أنا سعيد معه و مع إنجي.

تملكت نفسها و قد أثرت بها كلماته، لكنها حاولت
مسح دموعها و هي تقول:

- أجل حبيبي، أنا متأكدة من ذلك، أنت لا تكرهني
أليس كذلك صغيري؟

- لا ماما! أنا لا أكرهك أبدا، و بابا يقول أنك أنت
من منحنى الحياة، و تعبت كثيرا بحملي في بطنك و يوم
ولادتي.. حتى إنجي قالت لي بأنني يجب أن أتذكرك في
كل وقت، و هي تقول بأن الأمهات أعظم هدية من الرب.

مسحت دموعها بعد أن غمرتها سعادة غريبة، رغم
بعدها عن فلذة كبدها ثم قالت:

- شكرا لوالدك و لإنجي لأنهما لم يملأ قلبك حقدا
عليّ.. وداعا صغيري، كن فتى مطيعا!

فرد بكل براءة:

- غدا زواج بابا و إنجي، أكيد أنك قادمة، أليس كذلك ماما؟

- لا حبيبي، لا أستطيع لكنك ستفهم هذا عندما تكبر.

لحظات الوداع هي أقسى تجربة يمر بها الشخص، صفة تنقله من عالم الأحلام الجميل إلى أرض الواقع المرير، فيستيقظ مدركا بأن لكل بداية نهاية و لو لفترة من الزمن..

فمهما تعلقنا بأحبائنا، فلا بد أن نفارقهم يوما ما، و لو لمدة معينة سواء شئنا ذلك أم أبيناه.

تتأرجح أمواج البحر لتدفع رمال الشاطئ بحنان، فتعانقها تارة و تودعها تارة.. أما الشمس فتستلقي على جانب السماء مودعة البحر ملوحة بخيوط برتقالية، و هي تعدّه بالعودة لتتربع على عرش السماء عند بزوغ فجر جديد، و الطيور تشدو و تعزف في الهواء مقطوعة الوداع بكل أسى و حزن، و قد عانقت نسائم الصيف طيف الشمس الذي كان يتوارى بين حنايا السحاب، نسائم ودعت خيوط الشمس و حملت معها عبق المساء.. و في آخر المساء رحلت الشمس، و اختفت خلف الأفق البعيد، بعد أن ضربت مع البحر النائر موعدا جديدا للقاء، و هاهي السماء تتوشح السواد مبتلعة لآلى النور قليلا قليلا..

و بعد آلام الفراق، و تعاويذ الوداع، ينبعث نور و
أمل جديد، فيتجلى القمر بكبريائه، و ما يلبث حتى ينشر
خيوط نوره بكل دلال، فيبدأ موج البحر بمداعبتها بأصوات
رصينة خافتة لا تكاد تسمع، على ألحان أغنية الحب و
الشوق..

ها هي قد انقضت الطقوس، و توقفت أجنحة
الطيور، و انتنت لحظات الغروب، فهل هذا موت قادم بعد
الوداع؟ أم أمل بلقاء قريب يتجدد؟

قبلة !

بعد أيام من التحضير، و في صبيحة يوم حفل الزفاف، كانت تولين مستلقية على سريرها بالمستشفى، بزّي أبيض و قد فقدت مقدمة شعرها بعد أن صارت مجعّدة يميل لونها إلى البني من أثر الإحتراق، فراحت تحدث نفسها قائلة:

- لقد كنت في يوم من الأيام جميلة كالملاك.. أجمل من القمر، اللعنة على تلك الحقيبة، لقد أردت تشويهها فشوّهت نفسي.. أجل لقد تشوّهت تماما..

ثم فههههت ضاحكة و هي تقول:

- أين المشكل في تشوّهي؟ لا أزال جميلة، ما علي الآن إلا القيام بتشويهه كي ينام فيعود لي و نصبح أحلى حبيبين مشوهين، فنحب بعضنا و نصنع من علاقتنا قصة حب خرافية مع الوحوش و الأشباح.

كانت والدتها بجانبها تسمع كلامها دون أن تحرك ساكنا و حبل الفجيجة ملتف على عنقها، يا لهول المنظر

الظيع! منظر يفتت الصخور، و تنفطر لرؤيته الأكباد.. ثم انصرفت نازلي خانم خارج الغرفة مسرعة، و أجهشت بالبكاء أسفا و حرنا على حال ابنتها، و على ما جرّته على نفسها من الجحيم، فاقتربت منها ابنتها يارا في رواق المستشفى و قالت:

- ما الخطب ماما؟

- لقد فقدت عقلها يا ابنتي! لقد جُنّت المسكينة!

فحاولت يارا أن تطمئنئها قائلة:

- لا تقلقي ماما، ستكون بخير و ما هي إلا مسألة أيام و تتحسن حالها بمساعدة العلاج النفسي.
- سأخذها و نساfer من إزمير إلى الأبد، حتى بشير لم يأت لزيارتها!
- أنت تدركين جيدا أن علاقة زوجك بتولين مكدرّة طوال الوقت يا ماما.
- و إن يكن يا ابنتي، هذه مصيبة حلت بالعائلة، فما كان يضره لو وقف إلى جنبي في هذه الأيام الحالكة؟

فرددت يارا بهدوء و رصانة:

- دعينا نواجه الأمر بصدق ماما، تولين هي التي أوقعت نفسها في هذا المأزق، و هي التي جرّت علينا و على نفسها كل هذه الويلات.. لقد نصحتها مرارا عديدة

بترك كينان و شأنه، لكنها كانت دائماً تعاند و تكابر.. لم يكن الحب بالغضب قط، و لن يكون كذلك أبداً.

آلم نازلي خانم ماحل بابنتها، فقالت و الحزن يملأ وجدانها:

- لقد انتهت أختك يا ابنتي، لقد تشوهت تماماً!
- لا تفقدي الأمل ماما، سنستعين بأمر أطباء التجميل.

- إن نسبة نجاح ذلك ضعيفة جداً، و لن تعود أبداً كما كانت عليه من قبل فقد أخبرني الدكاترة بهذا.

في تلك الأثناء، كان جانسل و شاتاي يساعدان كينان في تحضير نفسه للحفل، فقال جانسل مقهقها:

- العريس جد متوتر يا شاتاي!

ضحك شاتاي لذلك، فصاح بهما كينان قائلاً:

- ألا تستطيعان التزام الصمت أيها الحثالة، هذا ليس وقتاً للمزاح!

فرد شاتاي متهمكماً:

- أنحن في مدرسة أم ماذا يا جانسل؟

- اهدأ يا كينان، إن هذه مجرد مراسيم لا غير، أما الزواج الفعلي فقد أنهيته منذ أيام.

- شكرا على التذكير يا جانسل، اصمت الآن!

و بينما الجميع منهمك بالتحضير، هتف شاتاي:

- أين ربطة عنقك أيها العريس؟

ابتسم كينان مداريا توتره و قال:

- أظنني نسيتها..

- لا عليك سأقوم بإحضارها.

فقال كينان:

- و ماذا تنتظران أنتما أيضا، هيا استعدا فلا وقت

لدينا.

- حاضر، حاضر يا عريس، الظاهر أنه قد اشتاق

لحبيبته يا جانسل!

حينها كانت الفتيات تساعدن إنجي بارتداء فستان

الزفاف، فصاحت بهن:

- الوقت يمضي سريعا، و أنا لم أجهز بعد!

فقالته إليف:

- لم يبق الكثير حبيبتى.

ثم قالت روسيل:

- دعوا العروس و شأنها، فالمسكينة متوترة جدا.
- لا يحق لي التوتر، أليس كذلك يا روسيل؟ فأنا
أتزوج ألف مرة خلال السنة.

تعالت الضحكات، و عم السرور المكان ثم ردت
روسيل:

- معك حق يا إنجي، فقد تزوجتما سلفا و لا حق لك
بالتوتر الآن، فأنت كل يوم مع حبيبك على نفس السرير.
قهقهت الفتيات وتضرج وجه إنجي خجلا، فقالت
مدارية خجلها:

- اللعنة! روسيل..

ثم قالت توبا:

- اللعنة على أخيها هو الآخر!

فأجابتها إنجي:

- أرجو أن تقعي في شباك شاتاي، و تحبيه حتى آخر
نفس يا توبا!

فأسرعت روسيل بقولها:

- آمين! أرجو أن تكوني زوجة أخي يا توبا!

ثم فرّت هاربة و توبا تلاحقها، فضحكت إنجي و زال عنها بعض التوتر، ثم دخلت ديلارا الغرفة فجأة فالتفت الجميع لجمالها و أناقتها ثم هتفت إنجي:

- ماما! اقتربي مني فأنا أحتاجك إلى جنبي.

فضمتها ديلارا و هي تقول:

- ما أجملك يا روعي! أنت قمر في يوم زفافك.. هذه هي ابنتي التي أحبها.

ثم ترقرت دموعها، و تعانقتا طويلا إلى أن قاطعتهما توبا بقولها:

- كفانا بكاءً يا عمتي، فلا مجال للدموع اليوم.. إلا أنك لن تتركي لنا نحن الفتيات الغير مرتبطات مجالا، و لن ينظر نحونا أحد بسبب جمالك و أناقتك.
- توبا! أنت أشد فسادا من كينان.

و بعد ساعة، كانت إنجي قد تجهزت، ثم وصل كينان لاصطحابها، فبكت و تذكرت بأنه لا أب لها يقدمها لعريسها كما جرت العادة. دخل كينان الغرفة، و قد كانت

وحدها فأبهرتة و ملكت عقله بحسنها، رفع عينيه بلطف
فرأى حبيبته جالسة بين ألوان و أشكال من الورد و
الهدايا، في فستان الزفاف الناصع البياض، و على رأسها
تاج ذهبي ملكي، تنسدل خلف ظهرها حبايل حريرية.. لقد
حباها الله بجمال وضاح، و حسن زائد يسر الناظرين،
فغضت بصرها و افتر ثغرها عن ابتسامة رقيقة خجلة و
قد صار كينان منها قريبا جدا، فظل يحقق بحبيبته دون أن
ينطق بكلمة ثم قال بعد أن ارتوى من أناقته:

- أنت أجمل من أي وقت مضى حبيبتي.. أنت ملاك

ساحر!

ثم أحنى هامته بلطف و قبل يدها، ثم رفع ذقنها

قائلا:

- لا حبيبتي، لا دموع اليوم.. أعلم أن البابا ليس هنا،
لكن ها أنا ذا وصيك، حبيبك و زوجك و لن اسمح لأي
شخص بأن يقدمك لي.. حتى جانسل و شاتاي توسلاني
من أجل هذا لكنني رفضت، أنا من سيقدمك لنفسى.

فابتسمت من بين دموعها بعد أن انبسطت أساريرها

وغمرتها فرحة لا توصف، ثم قالت بصوت خافت:

- لطالما كنت عالمي، بابا، وصيي و حبيبي، و ها

أنت الآن زوجي و كل شيء بحياتي.

فابتسم و قد راقته كلماتها التي أصغى إليها بقلبه و
كيانه، ثم استطردت قائلة:

- أنت.. أنت وسيم جدا حبيبي!
- و أنت أحلى من القمر، حتى القمر يخجل من
النظر إليك.

أما العريس، فقد كانت بدلته السوداء الفاخرة شديدة
الأناقة تزيده هيبه و بهاءً، و خاتمه ذو الفص الماسي يزين
إصبعه، و على معصمه الساعة الذهبية التي تؤكد فخامة
ذوقه و دقة اختياره لهندامه.

بعد وصول العروسين لمنزل كينان، و في البهو
المترامي الأطراف، تزامم الجميع نساءً و رجالا في أبهى
و أفخر الثياب و الحلل، فشاع الحسن و الرقي في كل ركن
من القاعة، و ملاً الجو شذى العطور الفاخرة.

و بعد فاصل رقصة العروسين، انحنى كينان ليقبل
عروسه فسمع هتافا يرن بأذنه:

- لا نزال هنا يا كينان بيك!

احمر وجه إنجي خجلا، و رد كينان قائلاً:

- و هل تظن بأنني أستطيع أن أنسى وجودك يا
غلطة عمري؟ كانت أسوأ غلطة بحياتي يوم تعرفت عليك

يا جانسل.. لا أدري كيف قبلت صداقة شخص عديم الذوق
مثلك رغم أن صلة القرابة قد حتمت عليك عليّ.

و سرعان ما شئت في القصر يقظة عارمة، و
أشرق فيه نور ساطع و ضجة متناغمة، و قد كان الجميع
يتجاذبون أطراف الحديث باعئين الفرح و السلام و الحب
في كل الأركان، فقالت إليف:

- الحفل رائع جدا، أحسن شيء هو رقصة
العروسين.

و على منصة الرقص للعروسين، ابتسم كينان و قال
لحبيبته:

- نحن أروع ثنائي حبيبتني!

فردت بتوتر و خجل من دون أن ترفع طرفها إليه:

- ابتعد عني قليلا حبيبي!

فرد ضاحكا:

- عذرا حبيبتني، لكنني لن أبتعد عنك بعد اليوم،
يكفيني ما عانيته في حبك.

فهمست له بدلال:

- لكن الجميع ينظر إلينا!
- لا يهمني رأي الجميع يا روعي.. هذا أحلى يوم
بحياتنا حبيبتى.

ثم حانت اللحظة الأكثر جمالا و روعة في حياتهما
كلها، و قبل أن تستطيع سماع آخر كلماته، كانت يده اليمنى
تحت ذقنها و الأخرى خلف ظهرها، ثم رفع ذقنها نحوه
بلباقة فشعرت بالعجز و الغرق.. لكنها كانت دافئة و
خاطفة تركتها غارقة في العدم.

لقد انقلب العالم كله رأسا على عقب!
اختفى الجميع فجأة، فأصبحت هناك وحدها مع
حبيبها..

شعرت إنجي بأنها قد أعطيت هدية ملفوفة، و طلب
منها الاحتفاظ بها من دون النظر إليها..

لقد كانت ماسة، شيئا ثمينا إلى أبعد الحدود، شيئا لا
يقدر بثمن.

و بينما كانت تيارات الحب تتجاذب الحبيين،
انكشفت الهدية، أو أن شعاعا صدر من خلالها، فأثار ذلك
الشعور الرومانسي الغامض.

كانت قبلة سحرية، أدركت من خلالها أن الحب هو
المعركة الوحيدة التي يشترك فيها اثنان، إما يكسبان فيها
معاً، أو يخسران معاً.

و في وقت لاحق، ستدرك كيف أن رجلاً أحبها
لدرجة أنه كان يجرأ على فعل أي شيء من أجلها.
أجل، هذا هو الحب!

..تمت..